الاســـتبداد
عنـد
خير أمة أخرجت للناس



يعقوب محمد إسحق

الاستبداد
عند
خير أمة أخرجت للناس

توزيع



بيرسان

• اسم الكتاب: **الاستبداد عند خير أمة أخرجت للناس**
• تـــأليـــف: **يعقوب محمد إسحق**
• **الطبعة الأولى:** كانون الثاني (يناير) **2008م**

• التوزيع: **بيسان للنشر والتوزيع والإعلام**
ص. ب: 5261 ـ 13 بيروت ـ لبنان
تلفاكس: 351291 ـ 1 ـ 961
بريد الكتروني: bissan_bookshop@hotmail.com

فاتحة الكتاب

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

أجل كنا خير أمة أخرجت للناس في صدر الإسلام حينما قام النظام السياسي على أربعة أركان ثابتة، هي:

1 ـ الشورى..

2 ـ الحرية..

3 ـ العدالة..

4 ـ المساواة..

كنا خير أمة أخرجت للناس حينما كان الحكام المسلمون ملتزمين بتنفيذ القيم السياسية الإسلامية على أرض الواقع، وعندما كان المسلمون يعيشون في ظلالها في سعادة ورفاهية.

وقد نعم المسلمون بهذه القيم السياسية الإسلامية في صدر الإسلام لفترة قصيرة لم تتجاوز أربعين عاماً، أي لجيل واحد

فقط، ثم تحول النظام السياسي في العالم الإسلامي إلى مُلك عضوض..

وهذا يعني أن المسلمين عاشوا فترة سياسية مضيئة رائدة لمدة قصيرة جداً وبعد أربعين عاماً من عمر الإسلام غرق المسلمون في ظلام دامس، وعاشوا مضطهدين تحت سيف الاستبداد حتى هذه الأيام التعيسة، وبناء على ذلك قَسَّمْتُ تاريخ النظام السياسي في الإسلام إلى ثلاث مراحل:

1 ـ المرحلة النبوية..

2 ـ المرحلة الراشدة..

3 ـ المرحلة الاستبدادية..

ولما رأيت أن مرحلة الاستبداد طويلة جداً، غرق المسلمون في ظلامها منذ عام 41 للهجرة ولم يخرجوا منها لهذا اليوم، سألت نفسي سؤالاً: هل حقاً نحن خير أمة أخرجت للناس؟

وللإجابة عن هذا السؤال، قمت بهذا البحث في زوايا التاريخ، والتاريخ لا يكذب حتى لو حاول بعض المؤرخين إخفاء الحقائق التاريخية، أو حاول بعض المؤرخين تضليل القراء بانتقاء بعض الأحداث التاريخية التي تناسب أهدافهم وتخدم أغراضهم في إرضاء الحكام المستبدين..

لقد إنهارت القيم السياسية الإسلامية منذ بداية العصر الأموي في عام 41هـ وتحول النظام السياسي إلى نظام استبدادي يجمع فيه

الحاكم كل السلطات والصلاحيات في يده، إن شاء تكَّرمَ على الأمة ببعض حقوقها التي استولى عليها بالقوة . .

وأغلق الفقهاء والعلماء أفواهم من دون تعليق على ما يحيق بالناس من ظلم ومن دون إبداء رأيهم في قيام الحكام المستبدين بالظلم وإهدار حقوق الإنسان والاستيلاء على المال لأنفسهم ولأفراد أسرتهم وللمقربين منهم، ومن دون معارضة لاعتدائهم على الأراضي العامة للدولة وتوزيعها على أنفسهم وأقاربهم . .

ربما كان سكوت بعض هؤلاء الناس خوفاً من بطش الحكام المستبدين، ولكن المؤكد أن الكثيرين منهم باعوا أنفسهم للحكام، لم يسكتوا عن محاربة الفساد فقط وإنما ساهموا في زيادته عن طريق التبرير وتضليل الأمة باستخدام الدين لتأييد الحكام المستبدين . . وكلهم في الحقيقة مسؤولون بمواقفهم السلبية من الاستبداد، وسوف يحاسبهم التاريخ كما حاسب المستبدين حينما رصد أعمالهم الاستبدادية الوحشية التي لم تعرف الحيوانات المتوحشة مثلها . .

فهل نحن خير أمة أخرجت للناس؟

الجواب عن هذا السؤال يصبح سهلاً حينما يقرأ القارئ الكريم هذا الكتاب الذي لم أكتبه، وإنما كتبه التاريخ، ورصده المؤرخون، وأبدى الباحثون رأيهم فيه، وما أنا إلا قارئ مثل غيري من قراء هذا البحث التاريخي الذي قارنت فيه بين النظام السياسي الإسلامي الحق القائم على الشورى والحرية والعدالة والمساواة وبين النظام

السياسي الذي اغتال تلك القيم السياسية الإسلامية وعاش على الاستبداد القائم على الظلم واحتكار السلطة بالقوة تارة وبالوراثة تارة أخرى وإهدار حقوق الإنسان السياسية وسرقة الأموال العامة والاستيلاء على الأراضي العامة، وتوزيع المناصب الكبيرة على الأقارب، وصب الأموال المسروقة من خزينة الدولة في جيوب تنابلة السلطان، وشراء الذمم من أجل الحصول على شرعية مزورة يبيعها لهم علماء السلاطين، وتنشرها وسائل الإعلام التي يرأس بعضها أشخاص باعوا أقلامهم وضمائرهم للحكام الذين يوزعون عليهم الهبات المالية السخية في بعض المناسبات.

جدة في 24/ 6/ 1427هـ
20/ 7/ 2006م

يعقوب محمد اسحاق
ص.ب: 5588 ـ جدة: 21432
فاكس: 6933990 ـ 2 ـ 00966

المحور الأول

المرحلة النبوية



النظام السياسي في الإسلام

لقد مر النظام السياسي في الإسلام بثلاث مراحل حتى الآن، وهي:

1 ـ **المرحلة النبوية**: وهي مرحلة التأسيس.

2 ـ **المرحلة الراشدة**: وهي المرحلة التي حكم فيها الخلفاء الراشدون، وهي المرحلة التي حاول فيها هؤلاء الخلفاء ترسيخ مبادئ النظام السياسي في الإسلام.

3 ـ **المرحلة الاستبدادية**: وتبدأ هذه المرحلة من عصر معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية، وهي المرحلة التي بدأ فيها الاستبداد عام 41 للهجرة، وهي مرحلة طويلة جداً بلغت 1387 عاماً لم تنته حتى اليوم، ولم يطرأ خلالها أي إصلاح سياسي له قيمة، وهو الأمر الذي ساعد على تشكيل أخلاق المسلمين بشكل يرضي الحكام المستبدين، وجعل أخلاقهم كأخلاق العبيد، لا يعترضون على الفساد السائد..



النظام السياسي
في المرحلة النبوية

يعتبر الدكتور أحمد عبد الله مفتاح من أفضل مَنْ كتب عن نظام الحكم في المرحلة النبوية، وهو الذي قال: لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وحاكماً للدولة الإسلامية حيث اجتمعت له الزعامة الدينية والسياسية.

أولاً: الزعامة الدينية للرسول صلى الله عليه وسلم

كانت الزعامة الدينية للرسول صلى الله عليه وسلم بحكم التصديق بنبوته، لأن من مقتضيات الإسلام، الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه مبعوث العناية الإلهية لتبليغها إلى الناس كافة، وولايته عليه الصلاة والسلام في هذا الإطار ولاية نبي رسول، مناطها الوحي الإلهي بطريق القرآن الكريم، ثم الإلهام الرباني بطريق الحديث الشريف.

وفي فلك تلك الولاية، كانت تدور حياة المجتمع الإسلامي الخاصة والعامة فلا تخرج عما نزل من تشريعات إلهية.

ثانياً: الزعامة السياسية للرسول صلى الله عليه وسلم

لقد تمثلت زعامته السياسية عليه الصلاة والسلام، في كونه حاكماً للدولة الإسلامية ممارساً لسلطات تنفذية، وقضائية، وحربية، وإدارية. وهي زعامة تبوأها بمقتضى طبيعته البشرية، حيث كان الاجتهاد مناط حكمه في شؤون الحياة العامة والخاصة، فيما لم يرد فيه نص إلهي، وتتجلى هذه الطبيعة البشرية في قوله صلى الله عليه وسلم عندما عرض عليه نزاع بين اثنين في مواريث بينهما: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً، فإنما أقطع له قطعة من النار».

ولقد انعقدت ولاية المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم بأمرين:

الأول: بتسليم واختيار من المسلمين، وذلك بموجب بيعتي العقبة الأولى والثانية، وصحيفة المدينة، بالإضافة إلى حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن تعبر أمته عن رأيها في زعامته السياسية وقراراته، واختيار ولائهم عن طريق البيعة. وأبرز مثال لذلك بيعة الرضوان تحت الشجرة، وبيعة الرجال والنساء بعد فتح مكة، وبعد غزوة حنين.

الثاني: بتفويض إلهي حيث تردد فحوى هذا التفويض في طائفة من آي القرآن الكريم منها قوله جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ

﴿وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: 59] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: 7] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: 36].

ومن الجدير بالذكر أنه وإن كان التفويض الإلهي يغني عن البيعة حيث يكفي التسليم والطاعة بموجب النص القرآني، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم، باعتبار أن أفعاله سنة يجب أن يحتذى بها ويسير على هديها، أراد أن يرسي الطريقة الصحيحة لتولي أمر المسلمين.



قواعد النظام السياسي
في المرحلة النبوية

قام النظام السياسي في عصر النبي صلى الله عليه وسلم على أربعة قواعد هي:

القاعدة الأولى ـ الحرية:

شدد الإسلام على حرية الإنسان، يظهر ذلك في عدد من آيات القرآن الكريم:

- في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29].
- وفي قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: 256].
- وفي قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: 108].

إن هذه الآيات تؤكد على مبدأ الحرية بجميع صورها في الإسلام، وقد ذكر الدكتور حسين الحاج صور الحرية التي أتاحها الإسلام للإنسان، فقال:

1 ـ حرية العقيدة:

تبنى الإسلام الحرية الدينية في أرحب مفاهيمها، وكان الرسول صلى الله وسلم مبلغاً ونذيراً، وكانت خطته في إبلاغ مبادئه إلى المجتمع. قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿21﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: 21و22]، فمن شاء آمن ومن شاء ترك، قال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: 45].

والإسلام لم يكره الذميين على الدخول في الإسلام، بل تركهم وحريتهم يمارسون عقائدهم وشعائرهم أحراراً، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ وقال تعالى أيضاً مخاطباً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ؟﴾ [يونس: 99].

اعتمد الإسلام سياسة التسامح الديني مع كل الشعوب التي امتد إليها الفتح الإسلامي، ولم يكن اعتناقه أمراً محتوماً، فالذميون، كاليهود والنصارى، ظلوا يستمدون شرائعهم من كتبهم، كما كان في وسعهم أن يتمتعوا بحرية الشعائر وحماية الدولة الإسلامية، شرط أن يدفعوا ضريبة الرأس (الجزية)، أضف إلى ذلك أن المسلمين كانوا يتحلون بكثير من التسامح، فلم يرهقوا أحداً في شؤون الدين، بل ذهبوا في هذه السياسة إلى حدود بعيدة، ففي بلاد الهند مثلاً كانت شعائر تقام في الهياكل والمعابد في ظل الحكم الإسلامي.

ومن مظاهر هذه الحرية التامة في المجال العقائدي التي أعلنها الإسلام أنه ترك لغير المسلمين تطبيق أحكام شريعتهم في الأحوال الشخصية، ومن حرية العقيدة كانت حرية التفكير التي دعها إليها الإسلام، ففتح آفاق الكون أمام العقل ليحلق إلى الآفاق البيعدة في الاكتشافات الصالحة الخيرة، ويفكر في شؤونه في جميع مناحي الحياة الكريمة، ولقد نعى على الإنسان الجمود والخمول، وحثه على الاستزادة من المعارف والعلوم. قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

2 ـ حرية الرأي والتعبير

أباح الإسلام حرية إبداء الرأي لجميع الناس، وجعله حقاً طبيعياً لكل إنسان، فكل فرد كان له الحق في حرية التكلم بما شاء، وحرية المحاورة، وحرية النقد للحكم القائم إذا خرج عن طريق الحق.

3 ـ الحرية السياسية

الحرية السياسية جزء أساسي من الحرية الإنسانية، حيث يكون المرء عضواً فعالاً في الدولة ذات السيادة، وتكون الفرصة متاحة له ليعبر عن إرادته في سن القوانين، ورسم سياسة الحكومة، وذلك باستعمال حقوقه المشروعة في حرية الكلام وحرية الرأي والتعبير.

الإسلام منح الفرد الحرية السياسية، وهيأ له جميع وسائلها، فهو الذي وضع جميع المناهج الحية والأصول الثابتة للدولة، وأغناها عن سن القوانين واستيرادها.

ومن الحرية السياسية كانت حرية الاجتماع التي استساغها الإسلام وحث عليها، ولكن شرط أن لا تكون مخلة بالآداب الإسلامية أو منافية للمصالح العامة.

وكانت أيضاً حرية تأليف الأحزاب ومؤسسات المجتمع المدني، فلم يمانع الإسلام في تأسيس الجمعيات وعقدها، إذا كانت تعمل من أجل المصلحة العامة للمسلمين.

4 ـ الحرية المدنية

وهي إعطاء الفرد الحرية التامة في العمل الذي يرغب والمسكن الذي يريد، حسب ميوله ورغباته. ومن هذه الحرية كانت الحرية الشخصية، ونعني بها حرية الفرد في اختيار العمل الذي يريده من أجل كسب معيشته، فله أن يمارس أي حرفة أو مهنة أو صنعة، ما لم يكن ذلك العمل محرماً شرعاً في الإسلام، كصناعة الخمور وغيرها من المحرمات التي نهى الإسلام عن مزاولتها.

وله أيضاً الحرية الشخصية في العلم الذي يريد التخصص به، كما له الحرية في اختيار الزوجة التي يريدها شريكة حياته، من دون أن تكون من المحرمات اللواتي نص عليهن القرآن الكريم.

وللفرد حرية السكنى، فهو حر في أي بلد يقيم فيه سواء أكان في وطنه أم غيره، وله الحق في سكنى البيت الذي يريد ما لم يكن ذلك البيت مغصوباً.

5 ـ الحرية الاقتصادية

الحرية الاقتصادية: هي إباحة تصرف الفرد في ملكه حيثما

شاء، فله حرية اختيار نوع العمل الذي يريد ممارسته، كالزراعة والصناعة والتجارة، مما يرى فيها ربحاً وافراً. وقد حدد الإسلام الحرية الاقتصادية وفرض عليها بعض القيود من أجل المصلحة العامة. وذلك كمنعه الربا والاحتكار والغش وما إلى ذلك من الأمور التي توجب الضرر العام على المواطنين.

ومن الحرية الاقتصادية كانت الحرية الفردية في التملك: وهي حرية الشخص في استغلال ملكه، والتصرف فيه من بيع أو رهن أو إيجار، وقد أباح الإسلام حرية التملك ونهى عن بعض وسائله المضرة من أجل المصلحة العامة.

القاعدة الثانية: العدالة

أمر الإسلام بالعدل في القضاء، يظهر ذلك في عدد من آيات القرآن الكريم، كما يلي:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: 58].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8].

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25].

كما تواترت الأحاديث في الحض على العدل وتطبيقه، ووردت أخبار كثيرة في الثناء على الحاكم العادل وضرورة تأييده، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**عدل ساعة خير من عبادة**

سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها» والحاكم العادل هو الضمير الحي للأمة الإسلامية، وهو بمثابة الوالد الرحيم الذي يناط صلاح الأمة بصلاحه، وقال النبي عليه السلام أيضاً: **«إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر»** وقال أيضاً: **«لعمل الإمام العادل في رعيته يوماً واحداً أفضل من عبادة العابد في أهله مائة عام أو خمسين عاماً»**.

عدل النبي عليه السلام

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المرجع الرئيس للمسلمين وغيرهم في المدينة المنورة، يفزعون إليه في كل صغيرة وكبيرة، ويقصدونه للسؤال والفتوى والحكم وفصل الخلاف في جميع شؤونهم وحياتهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القاضي الأول والوحيد في المدينة، ولذلك صدرت عنه أحكام كثيرة، وفتاو عديدة، وأقضية سديدة، وهي بيان للقرآن الكريم من جهة، وبلاغ لشرع السماء من جهة، وفتاو في المسائل، وأقضية في المنازعات، وكلها في درجة واحدة، باعتبارها شرعاً للمسلمين في كل زمان ومكان.

وذكر الدكتور حسين الحاج حسن صور المساواة في الإسلام، فقال:

أ ــ المساواة الاجتماعية

أمر الإسلام بالمساواة بين المسلمين جميعاً وفرضها عليهم قال

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 131].

روى ابن عباس أن السبب في نزول هذه الآية أن أحد الموالي خطب امرأة من بني بياضة فأشار النبي صلى الله عليه وسلم على أهلها أن يزوجوها منه فقال له: «يا رسول الله، أنزوج بناتنا موالينا؟».

فنزلت على النبي هذه الآية الكريمة لتحطم العادات الجاهلية التي تقضي بتفوق بعض الطبقات على بعض.

فالإسلام قضى على نخوة الجاهلية وتفاخرها بالأنساب والآباء والأجداد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلكم بنو آدم، وآدم من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان**».

والمساواة في الإسلام موضوعة على أساس الفطرة الإنسانية السليمة، فلا تمييز بين فرد وآخر إلا بالعمل الصالح وتقوى الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم مخاطباً لأسرته: «**يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم نحن ذرية محمد صلى الله عليه وسلم**».

وقال لابنته فاطمة عليها السلام: «**يا فاطمة كوني أباك لا يغنيك شيئاً**»، تذكري قول الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105]، وروى أن عبداً أسود من عامة الناس خاصم عبد الرحمن بن عوف وكان من الشخصيات البارزة، فغضب ابن عوف وقال له: يا ابن السوداء..

فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا التنابذ، اندفع وهو مغيظ قائلاً له: «**ليس لابن بيضاء على ابن سوداء سلطان إلا بالحق**» فالمسلم هو كفء المسلمة ولا تفاضل بينهما من حيث العرق والنسب، وقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الواقعي للناس عندما زوج بنت عمته زينب جحش من غلامه ومملوكه وعتيقه زيد بن حارثة، ليقضي أمام القانون:

ب ـ المساواة أمام القانون

فرض الإسلام المساواة بين جميع الناس أمام القانون، فلا فرق بين رئيس ومرؤوس، ولا بين غني وفقير، ولا بين قوي وضعيف، فالأمراء والفقراء كلهم سواء أمام القانون. وقد طبق ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم على واقع الحياة عندما سئل أن يعفو عن سارقة لشرف أسرتها، فأجاب صلى الله عليه وسلم: «**إنما هلك من** كان قبلكم لأنهم كانوا إذا إذنب الضعيف فيهم عاقبوه وإذا أذنب الشريف فيهم تركوه، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها».

ولما شعر صلى الله عليه وسلم بدنو أجله، خرج وهو مريض واعتلى أعواد المنبر وخطب بين المسلمين، مبيناً لهم مدى المساواة التي ينشدها، فقال صلى الله عليه وسلم: «**أيها الناس من كنت قد جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد مني، ومن كنت قد شتمت له عرضاً فهذا عرضى فليستقد مني، ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء من قبلي فإنها ليست من شأني، ألا**

وإن أحبكم إليَّ أخذ مني حقاً إن كان له، أو حللني فلقيت ربي وأنا طيب».

وقد جرت السنة الإسلامية على محاكمة الخلفاء والولاة وتقديمهم إلى ساحة القضاء، لأن الألقاب والمناصب في الإسلام لا تحمى أصحابها. فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خاصمه يهودي في أيام الخليفة عمر بن الخطاب، فقال له عمر: قم يا أبا الحسن وقف مع خصمكَ، فتغير وجه علي بن أبي طالب، وبعد الانتهاء من المرافعة قالّ «إنما ساءني أنك كنيتني، ولم تساو بيني وبين خصمي، فالمسلم واليهودي أمام الحق سواء».

القاعدة الرابعة ـ الشورى

لقد جاء الإسلام بالشورى لكي تكون الوسيلة المثالية لاتخاذ القرارات في السلم والحرب، لأسباب عديدة، من أهمها:

1 ـ لأنها تؤدي إلى حكم الشعب للشعب.

2 ـ لأنها وسيلة تعبر بها الأمة عن رأيها في أمورها السياسية والاجتماعية والمالية.

3 ـ لأنها آلية جيدة لمراقبة الأداء الحكومي ومساءلة الحكام ومحاسبتهم.

وسرد علامة التفسير عماد الدين إسماعيل بن كثير جملة من وقائع الشورى على سبيل الاختصار الشديد والتعداد تذكيراً بها، وذلك لدى تفسيره آية الشورى في سورة آل عمران ﴿ . وَشَاوِرْهُمْ فِي

ٱلْأَمْرِ . .﴾، إذا قال ابن كثير: (شاورهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر في الذهاب إلى العير . . . وشاورهم أيضاً أين يكون المنزل «في بدر»؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحداً أكثر مشورة من رسول الله صلى عليه وسلم» . .

1 ـ الشورى لخوض المعركة في بدر

سلبت قريش من أموال الصحابة في مكة ما استطاعت سلبه عند هجرتهم إلى المدينة المنورة، ومنعت من استطاعت أن تمنع من نقل ماله، ثم علم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان من السنة الثانية للهجرة النبوية خبر العير المقبلة من الشام بصحبة أبي سفيان بن حرب، وكانوا نحو أربعين رجلاً، وفيها أموال عظيمة لقريش . .

فلما بلغ أبا سفيان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، استصرخ أهل مكة بالنفير إلى عيرهم، فنهضوا مسرعين، ولم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب، وحشدوا قبائل العرب من حولهم، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي، ثم خرجوا من ديارهم وأقبلوا بحدهم، يحادون الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: 47].

فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروجهم واستعدادهم لقتاله والمسلمين، ولم يكن النبي صلى الله وعليه وسلم مستعداً لذلك، لأنه إنما خرج لطلب العير، ولم يتضح أنه سيواجه جيشاً

كثيفاً من ثلاثة أضعاف ما معه صلى الله عليه وسلم، وجاء في الصحيح: «إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد».

فاستشار النبي صلى الله وسلم أصحابه في خوض المعركة، فكانت هذه الاستشارة اختباراً لإيمان المسلمين، وصلابة عقيدتهم، ومقدار استعدادهم للقتال والتضحية في سبيل الله، وقد أسفر الامتحان عن نجاح باهر، إذ أثبتوا بحق أنهم أهل لحمل الرسالة المحمدية والجهاد في سبيل الله، لتبليغها للناس كافة.

فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: «يا رسول الله، امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

وفي رواية في صحيح البخاري: «ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك وخلفك».

فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ودعا له بخير، غير أنه عليه الصلاة والسلام لم يكتف بقول المهاجرين، لأن قتالهم معه أمر لا يشك فيه، فقد باعوا أنفسهم لله وخرجوا من ديارهم وأموالهم فراراً بعقيدتهم ونصرة لنبيهم، فكرر صلى الله عليه وسلم

طلب المشورة قائلاً: «أشيروا عليّ أيها الناس»، وإنما يريد الأنصار، وذلك لأنهم عدد الناس، ففطن لذلك الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، فقال: لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن نلقى عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق اللقاء، لعل الله يريك ما تقر به عينك، فسر على بركة الله».

فسر الرسول صلى الله عليه وسلم بقول سعد، ونشطه ذلك، وأشرق وجهه، ثم بشر القوم بالنصر قائلاً: «سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم».

2 ـ الشورى في النزول عند ماء بدر:

ومضت قريش في طريقها إلى بدر حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي، والقلب[1] ببدر في العدوة الدنيا، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به.

فلما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين هذا المنزل،

---

(1) القلب: جمع قليب: البئر القديمة.

قال الحباب بن المنذر الخزرجي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا رسول الله! أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب، والميكدة»؟ قال صلى الله عليه وسلم: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**»، فقال الحباب: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل فنشرب ولا يشربون. فقال صلى الله عليه وسلم: «**لقد أشرت بالرأي**».

فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت[1]، وبنى حوضاً على القليب ونزل عليه، فملئ ماءً، ثم قذفوا فيه الآنية.

وفي رواية أخرى: سار الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نزل عشيا أدنى ماء من مياه بدر، فقال: «أشيروا عليّ في المنزل». فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله أنا عالم بها وبقلبها، إن رأيت أن نسير إلى قُلَّب قد عرفناها، فهي كثيرة الماء عذبة، فننزل عليها ونسبق القوم إليها، ونغور ما سواها من المياه.

3 ـ الشورى في شأن أسرى بدر:

أسفرت معركة بدر الكبرى عن قتل سبعين وأسر سبعين، فاهتم

---

(1) فغورت: معناها أن يقذفوا في القلب (الآبار القديمة) أحجاراً وتراباً فيفسدوها على أعدائهم.

الرسول صلى الله عليه وسلم بالأسرى، نظراً لكثرتهم، وما يترتب على الإقدام في شأنهم من نفع للإسلام والمسلمين.

فمضى النبي صلى الله عليه وسلم يستشير ذوي الرأي من أصحابه، فيما ينبغي أن يصنعه بهم من قتل أو فداء، فالمسلمون قلة قليلة يحسن تقوية شوكتهم وهيبتهم، وهم فقراء ينبغي إغناؤهم. قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه مستشيراً: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟».

فقال أبو بكر: «يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة» أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ترى يا ابن الخطاب؟». قال: قلت: لا والله يا رسول الله! ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان ـ نسيبا لعمر ـ فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديده. قال: فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، قال: فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرني عن أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أبكي الذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من الرسول صلى الله عليه وسلم. وأنزل

الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا. . .﴾ [الأنفال: 67] إلى قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: 69]. فأحل الله الغنيمة لهم.

وفي رواية أخرى: استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة، فقال: «يا رسول الله، أنظر وادياً كثير الحطب، فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً. قال: فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليه شيء، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر: وقالوا: يأخذ بقول عبدالله بن رواحة. قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليلين قلوب رجاله فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال: (فمن تبعنى فإنه مني، ومن عصاني فإنك غفور رحيم). ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر وترحم فإنك أنت العزيز الحكيم). وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً). وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال: (ربنا اطمس على أموالهم وشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم).

ثم قال صلى الله عليه وسلم: «**أنتم عالة فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضربة عنق**».

انقضت غزوة بدر الكبرى بأحداثها ومخاطرها ومشاهداتها

فأعز الله بها الإسلام وأهله وأذل بها الشرك والمشركين، على الرغم من كثرة عددهم وقوة عتادهم، وبرز للعيان تصميم الرسول القائد العظيم على الشورى في كل مهمات هذه الغزوة. وتجلت ماثلة للجميع بركة هذه الشورى وتحقيقها مصالح الإسلام والمسلمين، فأصبحت روح الشورى في نفوس الصحب الكرام عن معاينة، واقتناع ويقين (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون).

4 ــ الشورى يوم أحد:

بذل زعماء اليهود والمشركين جهوداً عظيمة في إثارة الحمية الجاهلية لدى قريش وحلفائها للانتقام لقتلاهم يوم بدر من الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ولتستعيد قريش مكانتها إذا أخذت بثأرها، بعد أذا أخذت بثأرها، بعد أن تزعزعت مكانتها وتدهورت بسبب هزيمتها النكراء التي مُنيت بها في غزوة بدر الكبرى. كما رغبت قريش أن تضمن أمن طريق تجارتها إلى الشام، فهذا أمر عظيم الأهمية لقوم يعتمد اقتصادهم على رحلتيْ الشتاء والصيف، وحرصت قريش أيضاً أن تقضي على جماعة المسلمين قبل أن تتعاظم قوتهم تعاظماً يغير توازن القوى في جزيرة العرب ويقضي على الشرك وأتباعه قضاء مبرماً، وقريش في مقدمة أهل الشرك، فهذه أهم أسباب غزوة أحد.

جيشت قريش جيشاً قوياً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل من قريش وممن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة، ومعهم مائتا فرس.

واستشار النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخطر الداهم،

وأبدى لهم رأيه، وأشار عليهم بوجهة نظر حصيفة، بأن يمكث المسلمون في المدينة ويتأهبوا للقتال، فإن دخل العدو قاتله الرجال في الشوارع والأزقة، ورماه النساء والصبيان من سطوح الحصون والمنازل ومنافذها، فيكون ذلك للعدو هلاكاً محتماً، وهذا ما يسمى في عصرنا بحرب الشوارع، أو حرب المدن.

«قال ابن إسحاق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوعم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوها علينا قاتلناهم فيها». وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يرى رأيه في ذلك، وأن لا يخرج إليهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج».

فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين كان من أمرهم حُب لقاء القوم، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته فلبس لأمته[1]، وذلك يوم الجمعة[2] حين فرغ من الصلاة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو، أحد بني النجار، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج عليهم وقد نَدِمَ الناس وقالوا: استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك.

---

(1) اللأمة: الدرع، وقد يسمى السلاح كله لأمة.

(2) وقعت معركة أحد يوم السبت الذي يليه مباشرة في الخامس من شوال في السنة الثالثة من الهجرة النبوية.

فلما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، استكرهناك، ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل»، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه.

قال ابن إسحاق: حتى إذا كانوا بالشوّط ـ بين المدينة وأحد، انخذل عنه عبد الله بن أبي سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس؟ فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب..

وتهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال، وهو في سبعمائة رجل، وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخاً بني عمرو بن عوف، وهو معْلم يومئذ بثياب بيض، والرماة خمسون رجلاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انضحوا الخيل عنا، لا يأتون من ورائنا، إن كانت لنا، اثبتوا مكانكم لا نؤتين من قبلكم، الزموا مكانكم لا تبرحوا عنه، وإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا، حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا فلا تُعينونا ولا تدفعوا عنا، وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل، إنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم. اللهم إني أشهدك عليهم».

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب أن قَدِّم الراية، فتقدم عليٌّ فقال: أنا أبو القَصْم. فتحدى حامل لواء

المشركين طلحةُ بن أبي طلحة عليَّ بن أبي طالب، ودعاه للمبارزة، فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين، فضربه علي فصرعه. .

وحمل لواء المشركين عثمان بن أبي طلحة، وأنشد الشعر يتحدى به المسلمين فقتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، أسد الله وأسد رسوله.

قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شك فيها.

وروى ابن إسحاق بإسناده عن الزبير رضى الله عنه أنه قال: «والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مُشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا وصرخ صارخاً: ألا إن محمداً قد قتل، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم».

كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه نحو سبعين من المسلمين بالشهادة، ومنهم عم النبي صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب.

وروى ابن إسحاق عن أنس بن مالك قال: كُسِرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم «فأنزل الله عز وجل في ذلك:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: 128].

خلد الله بالقرآن العظيم هذه الغزوة بعظاتها وعبرها، وإذ أنزل فيها نحو ستين آية، وصف فيها أهم ما حدث يوم أحد، وعاتب من عاتب، وأمر نبيه بالشورى، وبالعزم على إمضائها مع التوكل على الله وحده. وذلك بدءاً من قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 121].

5 ـ الشورى في حفر الخندق

لما رأى اليهود انتصار المشركين من المسلمين يوم أحد، خرج بعض أشرافهم إلى قريش يحرضونهم على غزو الرسول صلى الله عليه وسلم، فأجابتهم قريش، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا، ثم طافوا في قبائل العرب يدعونهم فاستجاب لهم من استجاب، وتجمعت الأحزاب لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان، وخرجت بنو أسد، وفزارة، وبنو مرة، وغطفان، حتى صاروا عشرة آلاف، وساروا قاصدين المدينة.

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيرهم إليه، استشار أصحابه أيقيمون في المدينة؟ أم يخرجون للقاء العدو؟

تقدم سلمان الفارسي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه أن يحفر المسلمون خندقاً في الجهة الشمالية، وهي عورة المدينة، لا يستطيع المهاجرون نفاذاً إلى المدينة إلا منها، لأن

بقية المداخل للمدينة ضيقة المسالك مشتبكة البيوت والنخيل، لا يستطيع العدو النفاذ منها.

فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: «إنا إذا كنا بأرض فارس، وتخوفنا الخيل خندقاً علينا، فهل لك يا رسول الله أن نخندق؟».

فأعجب رأي سلمان المسلمين، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه، فجعل صلى الله عليه وسلم جبل سلع خلف ظهره، وخط لهم مكان الخندق، فعمل فيه ترغيباً للمسلمين في الأجر، فحفر معهم بيده الشريفة، وعمل معه المسلمون فيه، فدأب ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين رجال من المنافقين، يتخاذلون إلى أهليهم بغير علم من الرسول صلى الله عليه وسلم ولا إذن.

وأقبلت قريش بجموعها، فَأُسْقِطَ في أيديهم عند هذه المكيدة التي ما كانوا يعهدونها، وظل المسلمون خلفه أمام حصن حصين، وخلفهم جبل سلع يحمي ظهورهم، فلا يستطيع الأعداء أن ينالوا منهم، حتى طال مُكثُ الفريقين نحو شهر، وأرجف المنافقون واليهود في المدينة، فبلغ حال المسلمين ما ذكره الحق سبحانه بقوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿10﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 263].

6 ـ الشورى في تفريق الأحزاب

فلما تفاقمت المحنة وأضحى المسلمون في تلك الشدة

الشديدة، التي لا يطيقها البشر عادة على نحو ما ذكره الحق سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب، استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في تخذيل المشركين بتفكيك جموع الأحزاب المهاجمة للمدينة، إذ بعث إلى عيينه بن حصن، والحارث بن عوف المري، وهما قائدا غطفان، وساومهما على أن يأخذا ثلث ثمار المدينة، ويرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فقبلا، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان ليبرم أمراً لم ينزل فيه وحي حتى يستشير أصحابه.

فأرسل إلى سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: «يا رسول الله، أمراً تحبه فنصنعه؟ أم شيئاً أمرك الله به ولا بد لنا من العمل به؟ أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: «بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما». فقال له سعد بن عبادة: «يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلى قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا بالسيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم». فقال صلى الله عليه وسلم: «فأنت وذاك».

صمد الصحابة رضوان الله عليهم بالعزم والتصميم تجاه كثرة

الأعداء، وتخاذل المنافقون، وقلة الزاد وشدة البرد، وخيانة الأصدقاء «يهود قريظة» وتألبهم مع الأعداء، وإحاطتهم بالمسلمين إحاطة السوار بالمعصم.

جاءت الشورى بمزيد من التصميم على الصمود فكانت برداً وسلاماً على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل عن رأيه إلى رأي السعدين الجليلين السعيدين، ولم يجد سيد المرسلين في ذلك أدنى غضاضة.

ثم هبت الريح فاقتلعت الخيام وقلبت القدور عند المشركين، وألقى الله الفزع والرعب في قلوبهم فرحلوا..

7 ـ الشورى في قصة الإفك

استمرت مشاورات الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه كلما حَزَبَهُ أمر يخصه شخصياً أو يعم المسلمين. وقد جعله القدوة الحسنة لهم، لذا شاور أصحابه في الحادثة التي روجها المنافقون في شأن السيدة الطاهرة العفيفة الصديقة بنت الصديق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

وكان صلى الله عليه وسلم يعلم براءة أهله، فشاور عليا وأسامة بن زيد وبريرة مولاة عائشة فيما يفعل في هذا الأمر الذي أبطأ الوحي في بيانه.

جاء في صحيح البخاري من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، في بيان قصتها، قالت: «دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم

علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما فراق أهله، فأما أسامة فأشار بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه. فقال: «أهلك، ولا نعلم إلا خيراً» وأما علي فقال: «يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك». فقالت: فدعا رسول الله صلى الله وسلم بريرة فقال: «أي بريرة! هل رأيت من شيء يريبك؟». فقالت له بريرة: «والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه، غير أنها جارية تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله». فقام صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال: «يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيراً» وذكر براءة عائشة.

ولكن سرعان ما ظهرت آثار الشورى، فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استوثق في نفسه براءة أهله، أن قام خطيباً فجعل الشورى عامة في رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «أما بعد، فأشيروا عليَّ في أناس أبنُوا أهلي، وأَيْمُ الله ما علمت على أهلي من سوء قط، وأبنوهم بمن والله ما علمت عليه من سوء قط، ولا دخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غاب معي...».

ولم يمض إلا القليل من الوقت حتى نزل الوحي ببراءتها في عشر آيات كريمات من سورة النور، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو

بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ. . . ﴾ [النور: 11] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 21].

وروى البخاري في صحيحه عن عروة قال: «لما أخبرت عائشة بالأمر قالت: يا رسول الله! أتأذن لي أن أنطلق إلى أهلي؟ فأذن لها وأرسل معها الغلام، وقال رجل من الأنصار: سبحانك ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم».

استحوذت قصة الإفك على اهتمام كبير لدى الصحابة الكرام، وكانت الروح العامة فيهم ـ كما أظهرت مداولاتهم ومشاوراتهم ـ استنكار هذه التهمة للصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كما رأيت آنفا في حديث الإمام البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما.

ويؤكد لك ذلك ما رواه الإمام محمد بن إسحاق بن يسار «أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعلة، قالت: لا والله، ما كنت لأفعله، قال: فعائشة ـ والله ـ خير منك، قالت: فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، و[يقال]: ذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا.

قال ابن هشام: ويقال: وذلك عبد الله بن أبي وأصحابه.

قال ابن هشام: والذي تولى كبره عبد بن أبي، وقد ذكر ذلك ابن إسحاق في هذا الحديث قبل هذا.

ثم قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته».

قال الحافظ بن حجر: «فعمل النبي صلى الله عليه وسلم بقول أسامة في عدم المفارقة، لكنه أذن لها في التوجه إلى بيت أبيها».

وتدل الأحاديث التي وردت في قصة الإفك أن الرسول صلى الله عليه وسلم استشار في هذه الحادثة استشارات خاصة، إذ استشار علياً وأسامة، واستشار أيضاً استشارات عامة، يريد معرفة رأي الصحابة في عقاب من يعمل على إشاعة مثل هذا الإفك بين الناس عن أعراضهم.

8 ـ الشورى في غزوة الحديبية

وصل صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية فبعث من يأتيه بخبر قريش، ثم أتاه فقال: «إني تركت قريشا قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعاً، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت». فاستشار صلى الله عليه وسلم أصحابه قائلاً: «أترون أنْ نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا موتورين محزونين، وإن نَجوا تكن عنقاً قطعها الله، أم ترون أن نؤمّ هذا البيت، فمن صدّنا عنه قاتلناه».

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين، ولم نجئ لقتال أحد، ولكنْ مَنْ حال بيننا وبين البيت قاتلناه». فوافقه الرسول صلى الله عليه وسلم على رأيه.

9 ـ مشورة أم سلمة في الهدي بعد عقد صلح الحديبية

لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضية الصلح، قال: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قالها ثلاث مرات فلم يقم أحد، عند ذلك دخلَ صلى الله عليه وسلم على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: «يا رسول الله، أتحب ذلك؟ أُخرجْ ثم لا تُكلم أحداً حتى تَنْحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك». فخرج صلى الله عليه وسلم فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا.

وللشورى في قصة الحديبية فوائد منها: استحباب مشورة الإمام رعيته وجيشه، استخراجاً لوجه الرأي، واستطابة لنفوسهم، وأمناً لِعَتْبهم، وتعرفاً على مصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض، وامتثالاً لأمر رب العالمين في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾.

على أن الشورى كانت سجية من سجايا الرسول الكريم في الأمور الخاصة والعامة، في السلم والحرب على حدٍّ سواء، ولم يأت تاريخ البشرية بنموذج يقارب أو يداني ما كان عليه سيد المرسلين في التزام الشورى فضلاً عن أن يماثله، وذلك على الرغم من خصوبة فكره صلى الله عليه وسلم واكتمال عقله وحضور بديهته

وفطنته، وهذا ما يثير غاية العجب من عظيم تصميمه على التزام الشورى وتنفيذ قراراتها.

ولا تفسير لهذا إلا تصريحه صلوات الله وسلامه عليه من الشورى فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما إذ قال: لما نزلت ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أما إن الله ورسوله لغنيان عنها. ولكنْ جعلها الله رحمة لأمتي، فمن شاور منهم لم يعدم رشداً، ومَنْ ترك المشورة لم يعدم عناءً**».

فأفادك أن الشورى في حياتك الشخصية وفي حياة المسلمين العامة ليست مَعْلماً تحسينياً من القول أو العمل، فما دام التزمها إمام المتقين والمرسلين على هذا المستوى من الرفعة والوفرة، فهي نهج أساسي في حياة المسلم اليومية، فلا بد لك وللأمة الإسلامية من التزامها تأسياً برسول الله وطاعة لأمر الله عز وجل..

الأمة مصدر السلطات

عملاً بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ طبق الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ الشورى في السلم والحرب كما رأينا، وقال: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» وقد نفذ هذا الحديث عن طريق الشورى حينما استشار الصحابة في أمور دنيوية كثيرة.

كان عليه الصلاة والسلام قدوة للمسلمين من بعده في الالتزام بهذه القيمة السياسية الإسلامية لكي يعمل الحكام المسلمون على أخذ رأي الناس عند اتخاذ القرارات السياسية، وهذا دليل قوي بأن الأمة مصدر السلطات.

طلاق بائن للشورى

في وقت مبكر من تاريخ الإسلام، طلق العرب زوجهم الجميلة الشورى رغم أن الطلاق يؤدي إلى تفكك الأسرة وانحراف الأطفال، فأعطاها الغرب تأشيرة دخول إلى بلدانه، وتزوجها، وأنجب منها أولاداً وبنات صالحين تضمهم أسرة وارفة الظلال عرفت باسم أسرة الديمقراطية، وحتى هذا اليوم لم يعرف العرب ديموقراطية حقيقية في بلدانهم، وما وجد منها إنما هي ديموقراطية شكلية لا تستطيع أن تقوم بدورها في خدمة المجتمع لأنها أفرغت من معانيها.

إن الشورى في اعتقادي هي أُمَّ الديموقراطية، وخير الأبناء يتخرجون من حضن الأم، وهذه الأم المعروفة باسم الشورى تزوجها الغرب فولدت له الدستور والانتخابات والقوانين وحقوق الإنسان والأحزاب السياسية والحريات العامة ومحاسبة المسؤولين، والبرلمانات.. وهلم جرا..



المحور الثاني

المرحلة الراشـدة



النظام السياسي في المرحلة الراشدة

كان الرسول صلى الله عليه وسلم ولي أمر المسلمين وإمامهم ورئيس الحكومة الإسلامية، وكان المشَرِّع والقاضي والمنفذ والمدبر لأمور المسلمين، وبوفاته احتاج المسلمون إلى خليفة لهم يدير حياتهم السياسية، وتولى خلافته أربعة من صحابته، هم: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب.

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، اتخذ المسلمون أربعة مسالك لاختيار حكامهم، وهي:

الأول: الاختيار الحر من غير وصية من الحاكم السابق، وحدث هذا في اختيار أبي بكر الصديق حينما اجتمع كبار الصحابة في سقيفة بني ساعدة، وتشاوروا فيما بينهم في مَنْ الخليفة منهم، وقد انتهى الأمر على أن يكون أبو بكر أول الخلفاء الراشدين. .

الثاني: أن يوصي الخليفة القائم لشخص معين من بعده،

وذلك ما فعله أبو بكر الصديق الذي عهد بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب.

الثالث: أن يرشح الخليفة القائم عدداً من الصحابة، ليختار المرشحون واحداً منهم، وذلك ما فعله عمر بن الخطاب حيث رشح للخلافة من بعده ستة أشخاص يختارون واحداً منهم للخلافة، فكانت الخلافة من نصيب عثمان بن عفان..

الرابع: أن يختار المسلمون خليفة رسول الله عليه السلام بمحض إرادتهم حيث بايع الناس الإمام علي بن أبي طالب في كل الولايات الإسلامية باستثناء ولاية واحدة هي ولاية الشام التي كان يحكمها معاوية بن أبي سفيان..

لقد تولى الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم أربعة من الصحابة بطرق مختلفة، لأن الإسلام أعطى للناس الحرية في اتخاذ الوسيلة المناسبة للاختيار مراعاة للزمان والمكان..

النظام السياسي لحكومة عمر بن الخطاب (مثالاً)

لم يعرف التاريخ الإسلامي السياسي مثيلاً للخليفة الراشد عمر بن الخطاب في القيادة، ومن بين الكثيرين الذين أرخوا لعمر بن الخطاب، الدكتور حمدي شاهين الذي انطلق في عمله لدراسة حكومة هذا الخليفة العبقري من خطبه، فقال: «اختلف الرواة في أول خطبة خطبها الفاروق عمر، فقال بعضهم إنه صعد المنبر فقال: «اللهم إني شديد فَلَيِّنّي، وإني ضعيف فقوني، وإني بخيل فسخِّني»، وروي أن أول خطبة كانت قوله: «إن الله ابتلاكم بي

وابتلاني بكم بعد صاحبي، فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني، ولا يتغيب عني فآلو فيه عن أهل الجزْء ـ يعني الكفاية ـ والأمانة، والله لئن أحسنوا لأحسننّ إليهم، ولئن أساءوا لأنكلنّ بهم، فقال من شهد خطبته ورواها عنه: «فوا الله ما زاد على ذلك حتى فارق الدنيا».

وروى أنه لماولي الخلافة صعد المنبر وهمّ أن يجلس مكان أبي بكر قال: «ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر»، فنزل درجة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ـ اقرؤوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزِنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزيَّنوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يُطاع في معصية الله، ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم، إن استغنيت عففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف».

ويمكن الجمع بين هذه الروايات إذا افترضنا أن عمر ألقى خطبته أمام جمع من الحاضرين فحفظ بعضهم منها جزءاً فرواه، وحفظ آخر جزءاً غيره فذكره. . وليس من الغريب أن يمزج الفاروق في أول خطبة له بين البيان السياسي والإداري والعظة الدينية، فذلك نهج هؤلاء الأئمة الأولين الذين لم يروا فارقاً بين تقوى الله والأمر بها وسياسة البشر تبعاً لمنهجه وشريعته، كما أنه ليس غريباً على عمر أن يراعي حق سلفه العظيم أبي بكر فلا يجلس ونزل درجة عن مكان الصديق رضي الله عنه، وفي رواية أخرى أنه بعد يومين من

استخلافه تحدث فيما كانوا يخافون من شدته وبطشه، وأدرك عمر أنه لا بد من تجلية الأمر بنفسه، فصعد المنبر وخطبهم فذكر بعض شأنه مع النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته، وكيف أنهما توفيا وهما عنه راضيان، ثم قال: «... ثم إني قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أُضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي، ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يتعدى عليه حتى أضع خدَّه على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق، وإني بعد شدتي تلك أضع خدي لأهل العفاف وأهل الكفاف، ولكم عليَّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها، لكم أن عليّ لا أجتبي شيئاً من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا في وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكن عليّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأسُدّ ثغوركم، ولكم عليّ ألا ألقيكم في المهالك ولا أجمرِّكم في ثغوركم (أي لا أبقيكم على جبهات القتال بعيداً عن أهليكم مدة طويلة لا تحتملونها)، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفِّها عنيّ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم، أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم»..

ومن هذه الروايات لخطبة عمر لما ولي الخلافة يتضح منهجه في الحكم الذي لم يحد عنه، وأبرز ملامحه:

أولاً: أنه ينظر إلى الخلافة على أنها ابتلاء به سيحاسب عن أداء حقها . . فالحكم عند الراشدين تكليف وواجب وابتلاء، وليس جاهاً وشرفاً واستعلاء . .

ثانياً: وهذا الاستخلاف يتطلب منه أن يباشر حمل أعباء الدولة فيما حضره من أمرها، وأن يولي على الرعية التي غابت عنه أفضل الأمراء وأكفأهم، غير أن ذلك ـ فيما يرى عمر ـ ليس كافياً لإبراء ذمته أمام الله تعالى، بل يرى أن مراقبة هؤلاء العمال والولاة فرض لا فكاك منه، فمن أحسن منهم زاده إحساناً، ومن أساء عاقبه ونكّل به . .

ثالثا: إن شدة عمر التي هابها الناس سيخلطها لهم لينا ورحمة، وسينصب لهم ميزان العدل، فمن ظلم وتعدى فلن يجد إلا التنكيل والهوان «ولست أدع أحداً يظلم أحداً ويتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض . . . «أما من آثر القصد والدين والعفاف فسيجد من الرحمة مالا مزيد عليه، أضع خدّي لأهل العفاف . . . » .

رابعاً: تكفل الخليفة بالدفاع عن الأمة ودينها وأن يسدّ الثغور ويدفع الخطر، غير أن ذلك لن يتم بظلم المقاتلين، فلن يحبسهم في الثغور إلى حد لا يطيقونه، وإن غابوا في الجيوش فسيرعى الخليفة وجهازه الإداري أبناءهم وأسرهم . .

خامساً: تعهد الخليفة بأداء الحقوق المالية للرعاية الكاملة . . من خراج وفيء، لا يأخذ منه شيئاً ولا يضعه في غير محله . . بل

سيزيد عطاياهم وأرزاقهم باستمرار والحض على العمل وضبط الأداء المالي للدولة . .

سادساً: في مقابل ذلك يطالب الرعية بأداء واجبها من النصح لخليفتها والسمع والطاعة له والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يشيع الرقابة الإسلامية في المجتمع . .

سابعاً: نبه إلى أنه لا معين على ذلك إلا بتقوى الله ومحاسبة النفس واستشعار المسؤولية في الآخرة».

وتناول الدكتور حمدي شاهين الجوانب المختلفة لسياسة حكومة عمر بن الخطاب بشيء من التفصيل الضروري، فقال:

1 ـ شدة عمر في محاسبة نفسه وأهله

«كان عمر ـ قبل أن يلي الخلافة رجلاً تاجراً يشغله الصفق بالأسواق عن بعض ما يحبه من طول صحبه النبي صلى الله عليه وسلم والأخذ عنه، وكان لا يتحرج في التمتع بما يحل من طعام ونساء، ولكنه بعد أن ابتلي بالخلافة تفجرت في نفسه ينابيع الخوف من ثقيل التبعة وعظيم المساءلة عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فأخذ نفسه بشدة وصرامة هي جزء من طبيعته، فلما ولي الخلافة مكث زماناً لا يأكل من بيت مال المسلمين شيئاً حتى أصابته الحاجة واضطر إلى أن يسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عما يحلّ له من مال المسلمين، فقال بعضهم: غذاء وعشاء، قال: صدقت، فكان عمر يستنفق كل يوم درهمين له ولعياله ويكتسي حُلَّة في الصيف فما يستبدل بها ـ وإن رقعها رقعاً عديدة، حتى يأتي أوان ذلك، فلما

كلمته ابنته حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قال: إنما أكتسي من مال المسلمين، وهكذا يبلغني. وكان يقسو على نفسه في طعامه وهو العليم بأطايبه، ويقول: «لنحن أعلم بلين الطعام من كثير ما أكلته، ولكننا ندعه ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع فيه ذات حمل حملها».

وكان عمر شديداً مع أهله.. فقد كان يعلم أن الأبصار مشرئبة نحوه وطامحة إليه، وأنه لا جدوى إن قسا على نفسه ورتع أهله فحوسب عنهم في الآخرة ولم ترحمه ألسنة الخلائق في الدنيا... فكان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال: لا أعلم أحداً وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة.. ولما شرب ابنه عبد الرحمن الخمر في مصر ـ وهو لا يحسبها خمراً ـ فسكر، ذهب إلى عمرو بن العاص والي مصر فطالبه أن يقيم عليه الحد، فحدّه عمرو في صحن بيته حيث يقيم الحدود للناس جميعاً، فلما علم عمر كتب إلى عمرو يلومه ويعذله ـ إذ ظن أنه إنما أقام عليه الحد في بيته مراعاة لمكانة أبيه خليفة المسلمين، وطالبه أن يرسل به إليه في عباءة في قتب كي يعلم سوء ما صنع، فأعاد عمر جلد ولده تعزيراً له وعقاباً «لمكانته منه، فلبث عبد الرحمن شهراً صحيحاً ثم أصابه قدره فمات».

2 ـ رعاية عمر الضعفاء من الرعية

كان عمر يتعهد ـ وهو خليفة المسلمين ـ عجائز المدينة وضعيفاتها، يأتي لهن بما يصلحن، ويخرج عنهن الأذى.. ويرقب

ضيفان المدينة والوافدين عليها ليلبي لهم حاجاتهم ويكفل لهم راحتهم.. فلما قدمت رفقة من التجار المدينة، بادر عمر إلى حراستهم ومعه عبد الرحمن بن عوف ليلاً، ولما سمع بكاء صبي نهر أمه إذ لم تكفكف دمعه بعد أن أوصاها به ثلاثة.. فقالت: يا عبد الله ـ وهي لا تعرف أنه عمر ـ قد أبرمتني منذ الليلة، إني أريعه (أي أريده) عن الطعام فيأبى عليّ، فقال عمر: ولم؟ قالت لأن لا يفرض (في العطاء) إلا للفطيم، فلما مضى عمر لصلاة الفجر، كان الناس لا يستبينون قراءته من غلبة البكاء، فلما انقضت الصلاة قال عمر: بؤساً لعمر كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر منادياً فنادى: أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق..

وشهيرة قصة المرأة التي قدمت إلى المدينة فضربها وأبناءها البردُ والليل، فمضى الصبيان يبكون جوعاً، وهي لا تملك ما تطعمهم إياه، فتسكتهم بماء يغلي في القدر الفارغ، فلما رآهم عمر وهو يسعى خارج المدينة، حمل إليهم بنفسه الدقيق والشحم، ومضى يصنع لهم الطعام وينفخ في النار لينضجه، فلما أكلوا وشبعوا، مضى عمر يركض للصبية ركض السبع يداعبهم بذلك حتى أضحكهم، وقال لغلامه الذي يعجب لحاله: إن الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت..

3 ـ تقديمه أهل السابقة والفضل وشدته على أهل التجاوز والتعدي

كان كبار الصحابة هم أعضاء مجلس شورى عمر ومحل سرّه

ونجواه، لا يعدل بهم غيرهم، استأثر بهم على أهل الأمصار لشدة حاجته إلى رأيهم وتدبيرهم، وقدمهم عمر على من سواهم في تنظيمه ديوان العطاء، بل كان يحفظ ذكرى السابقين إلى الإسلام بعد وفاتهم، فقد جاءته إحدى النساء تشكو الفقر وضيعة الأولاد بعد وفاة زوجها، وأخبرته أنها ابنة خفاف بن إيماء، من أهل بيعة الرضوان، فأعطاها عمر بعيراً مملوءاً طعاماً، وأعطاها نفقة وثياباًووعدها خيراً، فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها، فقال عمر: ثكلتك أمك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء سهامنا فيه..

4 ـ مباشرته أمور الخلافة بنفسه

كانت سياسة عمر تطبيقاً أميناً لتعهده في خطابه بعد توليه الخلافة وقوله فيه: «ولا يحضرني من أموركم شيء فيليه أحد دوني»، فكان يلخص ذلك في قوله: «لو ماتت شاه على شط الفرات ضائعة لظننت أن الله سائلي عنها يوم القيامة»، وقوله: «لو مات جمل ضياعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه»..
فكان عمر يعسّ بنفسه ليتفقد أحوال رعيته ليلاً، بل يباشر إبل الصدقة ـ المملوكة للدولة ـ فإن ندّ منها بعير عدا عمر في طلبه، وقد رآه عليّ بن أبي طالب مرة يفعل ذلك فقال: «لقد أذللت الخلفاء بعدك»، فقال عمر: «لا تلُمني يا أبا الحسن، فوالذي بعث محمداً بالنبوة، لو أن عَناقاً ـ وهي أنثى المعز ـ ذهبت بشط الفرات لأُخِذ بها عمر يوم القيامة».. وهكذا كانت الخشية من المحاسبة

أمام الله تعالى عن أمة النبي صلى الله عليه وسلم هي التي تؤرق على عمر عيشته ويُذهب تذكارها راحته . .

5 ـ سياسة عمر مع ولاته

أ ـ أسس اختياره الولاة:

مر بنا حديث عن إجلال عمر كبار الصحابة واحتجازهم بالمدينة ليكونوا مجلس شوراه، إلا أنه اختار بعضهم ليكونوا ولاته على الأمصار، مثل عمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة وعمار بن ياسر وغيرهم، وكان يستعمل هؤلاء ويترك من يعلوهم في الفضل والدين، مثل عثمان وعلي وطلحة والزبير، وكان ذلك بصيرة من عمر، «لقوة أولئك على العمل والبصر به، ولإشراف عمر عليهم وهيبتهم له، وقيل له: مالك لا تولي الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أكره أن أدنسهم بالعمل، ولا ريب أن من ولآهم عمر كانوا أهيب له وأطوع وأحرص على استشارته في كبير أمورهم ودقيقها عما كان قد يحدث لو ولّى أمثال عثمان وعلي والزبير مع ما لهم من اعتداد بمكانتهم واستقلال في رؤيتهم، فوضعهم عمر في موضعهم كأهل الشورى والنصح، ليستفيد الجميع من كل الطاقات والمواهب لهؤلاء النفر الممتازين. . وكان عمر إذا رأى خللاً في إدارة أحدهم لعمله عزله، ولم يشفع له قدمه في الإسلام ولا مكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ما تواضعت كفاءته . . وكان ذلك منسجماً مع تعهده في أول خطبة أن

يولى «أهل الجزء والأمانة»، فقد ولى عمار بن ياسر الكوفة ثم عزله لما شكاه أهلها وقال: «لقد علمت ما أنت بصاحب عمل، ولكنّي تأولت: (ونريد أن نَمُنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين).. ولما تعددت شكاوى أهل الكوفة من عماله، اهتمّ لذلك عمر فسأله أصحابه: ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوي مشدّد؟ فقال المغيرة بن شعبة: «أما الضعيف المسلم فإن إسلامه لنفسه وضعفه عليك، وأما القوي المشدد فإن شداده لنفسه وقوته للمسلمين»، فولاه عمر الكوفة..

ويلحظ الطبري اختيارات عمر بن الخطاب لقادته وأمرائه فيقول: «... كان لا يعدل أن يؤمّر الصحابة إذا وجد من يُجزي عنه في حربه، فإن لم يجد ففي التابعين بإحسان، ولا يطمع من انبعث في الردة بالرياسة، وكان رؤساء أهل الردة في تلك الحروب حشوة إلى أن ضرب الإسلام بجِرَانه»، وامتد اشتراط عمر الكفاءة والقوة لشتمل جميع ولاته، فكان يقول: «إني لأتحرج أن أستعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه»... ويقول: «والله لأنزعن فلاناً عن القضاء، ولأستعملن على القضاء رجلاً إذا رآه الفاجر فَرِقَه» أي خاف منه.

وفضلاً عن الدين والكفاءة والإدارية، كان عمر يتوخَّى في ولاته الرحمة والشفقة على الرعية.. وكم من مرة أمر قادته في الجهاد ألا يغرروا بالمسلمين ولا ينزلوهم منزل هَلَكة.. وكتب عمر لرجل من بني أسلم كتاباً يستعمله به، فدخل الرجل على عمر

وبعض أولاد عمر في حجر أبيهم يُقبِّلهم. فقال الرجل: تفعل هذا يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما قبّلت ولداً لي قط، فقال عمر: فأنت والله بالناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملاً، ورده عمر فلم يستعمله...

وكان عمر حريصاً على أن لا يولي أحداً من أقاربه رغم كفاية بعضهم وسبقه إلى الإسلام، مثل سعيد بن زيد ـ ابن عمه وعبد الله بن عمر ابنه، وقد سمعه رجل من أصحابه يشكو إعضال أهل الكوفة به في أمر ولاتهم. وقول عمر: «لوددت أني وجدت رجلاً قوياً أميناً مسلماً أستعمله عليهم». فقال الرجل: أنا والله أدلك عليه، عبد الله بن عمر، فقال عمر: «قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا»، وقد استبعد عمر ابن عمه سعيد بن زيد من مجلس الشورى الذي جعل إليه تعيين الخليفة بعدما طُعن عمر، ولم يجعل لابنه عبد الله من الأمر شيئاً إلا أن يرجح كفة أحد الفريقين إن تساوى عدد كل منهما..

وكان عمر يقول: «من استعمل رجلاً لمودة أو لقرابة ـ لا يشغله إلا ذلك ـ فقد خان الله ورسوله»..

ب ـ تحديد مهمة الولاة:

كان عمر يوضح لعماله مهمتهم بدقة ويعلن ذلك على الرعية ليكونوا شركاءه في رقابتهم، فمن خالف ذلك منهم اقتص منه.. فقد أمر عماله أن يوافوه في موسم الحج، وفي ذلك المؤتمر الكبير الذي يؤمُّه المسلمون أوقف عمر عماله ثم قال: «أيها الناس إني لم

أبعث عمالي عليكم لُيصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيئكم بينكم»، وقال عمر لولاته: ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيّعوهم». .

وكان عمر إذا استعمل عاملاً، كتب عليه كتاباً وأشهد عليه رهطاً من الانصار: أن لايركب بِرذَوْناً، ولا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين، ثم يقول: اللهم اشهد، وقد كان عمر نفسه يقسو على نفسه أشد من ذلك كما مر بنا. . وقد رأينا أنه كان مما يشترط عمر على ولاته «ألا يغلقوا أبوابهم دون حاجات المسلمين:، وصل إلى سمعه أن عامله على الكوفة سعد بن أبي وقاص اتخذ داراً بها كانت الأسواق قريبة منها فتمنعه أصوات أهلها من الراحة والعمل، فاتخذا لبيته باباً يحجز عنه أصوات الناس، فبلغ عمر أن الناس يسمُّون البيت قصر سعد، وأنه اتخذ له باباً فحجبه عن حاجات الناس، فأرسل عمر محمد بن سلمة الأنصاري إلى الكوفة وأمره أن يعمد إلى قصر سعد فيحرق بابه ثم يرجع إلى المدينة، ففعل. .

ج ــ محاسبة الولاة وعزل من يقصّر منهم:

كان عمر يفرض على عماله رقابة لصيقة ليضمن سير أعمالهم على مقتضى الدين والعدل، وفي ذلك الرحمة بهم فلا يقعون في مظلمة ولا يلاقون الله بسخط من استرعاهم. . وكان أمير المؤمنين يحرض رعيته على مراقبة عمالهم ومحاسبتهم والمطالبة بحقوقهم، فإن نزلت بهم مظلمة فليخبروا أمير المؤمنين. .

وكان موسم الحج فرصة لعمر ليستقصي أخبار رعيته وولاته، فجعله موسماً للمراجعة والمحاسبة واستطلاع الآراء في شتى الأنحاء، فيجتمع فيه أصحاب الشكايات والمظالم، ويفد فيه الرقباء الذين كان عمر يبثهم في أرجاء دولته لمراقبة العمال والولاة، ويأتي العمال أنفسهم لتقديم كشف الحساب عن أعمالهم.. فكان موسم الحج «جمعية عمومية كأرقى ما تكون الجمعيات العمومية في عصر من العصور»..

وكان عمر الذي يخشى لو عثرت دابة بالعراق أن يسأله الله عنها يقول: «أيما عامل لي ظلم أحداً فبلغتني مظلمته فلم أغيرّها فأنا ظلمته»، وقال يوماً لجلسائه: أرأيتم إن استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أكنت قضيت ما عليّ؟ قالوا: نعم، قال: حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته أو لا؟ وكان يقول: «اللهم إني لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم ولا ليضربوا أبشارهم، من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دوني».

د ـ عزل الولاة بالشبهات والشكايات:

لجأ عمر أحياناً متعددة إلى عزل بعض أكفأ عماله لما شكتهم بعض رعيتهم لشبهات طارئه، وهو يعلم براءة ساحتهم من كل ما يشين، فقد كان يؤمن بوجوب إبعاد المسؤولين عن كل شبهة حرصاً على رضا الرعية وسلامة الدولة ومصالحها، إذ إن ظروف الدولة الإسلامية آنذاك كانت تقتضي توافر درجة عالية من الرضا بين الحاكمين ورعاياهم، نظرا لما تشهده من توسع هائل في مساحاتها

الجغرافية ودخول أعداد غفيرة من البشر تحت سلطانها وما تتطلبه أحوالها من تطوير، فكان يقول: «هان شيء أصلح به قوماً أن أبدلهم أميراً مكان أمير» . .

ومن ذلك أن عمر عزل المغيرة بن شعبة عامله على البصرة لما اتهمه بعض جيرانه ـ وكانت بينه وبينهم ملاحاة وخصومة ـ أنه زنى بامرأة، فأرسل عمر يعزله ويستقدمه، وولى بدله أبا موسى الأشعري سنة 17هـ. . ولما تضاربت أقوال الشهود في مجلس التحقيق الذي مثل أمامه المغيرة ولم تكن على ما تقتضيه ضوابط الاتهام بالزنى في الإسلام، جلدهم عمر حد المفترى ثمانين جلدة، وأقرّ عزل المغيرة رغم عدم ثبوت التهمة عليه. . ولكنه عاد فولاه الكوفه ـ لا البصرة التي شكاه بعض أهلها ـ لما عزل عنها عمار بن ياسرو فلم يزل والياً عليها حتى مات عمر . .

ولما قدم عمر الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما دنا منه قال عمر: أنت صاحب الموكب؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: هذا حالك ما يبلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: هو ما بلغك يا أمير المؤمنين، قال: ولم تفعل هذا؟ لقد هممت أن آمرك بالمشي حافياً إلى بلاد الحجاز، قال: يا أمير المؤمنين إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن تُظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز الإسلام وأهله ونرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت، فقال عمر: لئن كان ما قلت حقاً إنه لراي أديب، ولئن كان باطلاً إنه لخدعة أريب، قال: فمرني ياأمير

المؤمنين بما شئت، قال: لا آمرك ولا أنهاك، فقال رجل: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه؟ فقال عمر: لحسن موارده ومصادره جشمناه ما جشمناه.

السياسة المالية في المرحلة الراشدة

قامت السياسة المالية في عصر الخلفاء الراشدين على توازن مصادر الدخل والنفقات بالصورة الآتية:

أ ـ مصادر الدخل، وهي

أولاً ـ الخراج والجزية:

الخراج هو الضريبة التي فرضها المسلمون على الأراضي المفتوحة مقابل إبقائها بأيدي أصحابها من الفلاحين.

والجزية هي مقدار من المال فرضه المسلمون على أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي مقابل حماية المسلمين لهم.

ثانياً ـ خمس الغنائم:

وتشمل الغنائم الأسلاب من خيل وسلاح ودروع وأسرى، ونصيب الدولة من الغنائم هو الخمس والأربعة أخماس الباقية تُعطى للمقاتلين.

وقد بدأت أخماس الغنائم تتزايد في عهد أبي بكر منذ حروبه مع المرتدين، وكان أكثر الغنائم من الخيل والإبل والماشية والسبي والذهب والفضة، مما ساعد الدولة على تجهيز المقاتلين بالخيل والسلاح.

وفي عهد عمر بن الخطاب زادت موارد الدولة الإسلامية من الأخماس نظراً لاتساع الدولة وكثرة الفتوحات، ففي عهده فتحت الأقاليم الرئيسة والمدن الكبرى، كالمدائن وجلولاء وهمذان والري واصطخر، وقد حاز المسلمون أموالاً عظيمة في هذه الفتوحات.

ثالثاً ــ العشور:

من الموارد المالية لبيت المال في زمن عمر بن الخطاب أموال العشور، وهي الرسوم التي تؤخذ من التجار سواء أكانوا مسلمين أم أهل ذمة، فأخذ عمر من تجار المسلمين ربع العشر، ومن تجار أهل الذمة نصف العشر ومن تجار دار الحرب العشر. وقد فرضت الدولة الإسلامية هذه الرسوم على التجارة من أجل تأمين الحماية لهم ولأموالهم أثناء تنقلهم في الأراضي الإسلامية.

الزكاة (الصدقات):

تعد الزكاة مورداً مالياً هاماً للدولة الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك استمرت في عهد خلفائه.

وتجب الزكاة في أموال المسلمين من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والثمار، وتمثل آية الزكاة أول حكم تشريعي يحدد بدقة إيرادات مالية دورية واجبة الدفع للدولة الإسلامية التي تنفق

منها أو تنفقها كلها في مصارفها الشرعية المحددة.

الفيء:

ومن الموارد المالية الهامة للدولة الإسلامية أيضاً الفيء، وهو كلُّ مال أُخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال فدك.

المعادن والركاز:

المعدن هو أي عنصر ذو قيمة مالية خلقه الله تعالى تحت الأرض، ولا يد للإنسان فيه، أما الركاز فهو الكنز العادي، ويرى بعضهم أن المعدن والركاز لفظتان مترادفتان.

ونصيب بيت المال مماوجد من المعادن والركاز الخمس ويُصرف ما يأتي لبيت المال من أخماس المعادن والركاز مصرف أموال الفيء.

وهكذا نجد أن الدولة الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين كان لها العديد من الموارد المالية التي استطاعت من خلالها أن تغطي جوانب الإنفاق المختلفة سواء أكانت نفقات إدارية أم عسكرية أم نفقات على المرافق العامة.

ب ــ النفقات:

وتتألف النفقات في عصر الخلفاء الراشدين مما يلي:

أولاً ــ نفقات الخليفة الخاصة:

تولى أبو بكر الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم،

وحاول جاهداً السير على منهجه، فكان زاهداً، متقشفاً في نفقاته المختلفة. وكان عمر بن الخطاب أيضاً زاهداً في نفقاته طيلة فترة خلافته. وتمثلت نفقات الخليفتين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ بالعطاء الذي فرض لهما من بيت المال، بالإضافة إلى نفقات طعامهم وشرابهم، ولباسهم وحجهم ونفقات الوفود والعطايا والهبات.

وفيما يلي عرضٌ لأهم نفقات الخليفتين أبي بكر وعمر.

أ ـ عطاء الخليفة ورزقه:

كان أبو بكر تاجراً قبل توليه الخلافة، وكانت التجارة تمثل مصدر رزق له ولعياله، وبعد توليه الخلافة خرج إلى السوق لممارسة عمله، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة، فسألاه عن سبب خروجه للسوق فقال لهم: لأطعم عيالي، الأمر الذي دفع المسلمين لفرض رزق يكفيه وعياله من بيت المال، فكان عطاؤه ستة آلاف درهم في السنة. وفرضوا له رزقاً في كل يوم شطر شاة.

كان أبو بكر حريصاً كل الحرص على أموال المسلمين، ولذا نجده عندما حضرته الوفاة يقول: «ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإني لا أصيب من هذا المال شيئاً، وإن أرضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم».

وعندما علم عمر بذلك ترحم على أبي بكر وقال: «لقد أتعب من بعده»، فمات أبو بكر ولم يترك ديناراً ولا درهماً.

سار عمر على نهج أبي بكر في الزهد والتقشف في المعاش

والنفقة، لعلَّه يلحق بصاحبيه، وهذا ما يوضحه قول عمر لابنته حفصة عندما طلبت منه أن يوسع على نفسه في المعاش فقال لها: «وإنما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقاً فمضى الأول وقد تزود زاداً فبلغ ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه ثم اتبعه الثالث فإن لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما وكان معهما، وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما. .» وكان يقول: «إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف».

وبعد توليه الخلافة جمع عمر الصحابة وسألهم أن يفرضوا له شيئاً من بيت المال فقال: «قد شغلتُ نفسي في هذا الأمر، فما يصلح لي منه؟ فقال عثمان بن عفان: كلُ وأطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقال لعلي: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: «ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف ليس لك من هذا المال غيره».

وفي رواية أخرى أن عمر عندما ولي أمور المسلمين، قعد على رزق أبي بكر الذي فرض له ومقداره ستة آلاف درهم. ويورد ابن سعد أن رزق عمر من بيت المال كان درهمين كل يوم. ويبدو أن عطاء عمر لم يكن كافياً للإنفاق على نفسه وعياله، ولذلك كان يقترض أحياناً من بيت المال ثم يعود إلى سداد صاحب بيت المال وقت استلام عطائه، أو خروج سهمه من الغنائم. وقد حاول نفر من الصحابة أن يعرضوا على عمر زيادة في رزقه عندما علموا أن ما

فرضوا له لا يكفيه، وحملت ابنته حفصة هذه الفكرة إليه فغضب غضباً شديداً وذكّرها بزهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق.

وكما أنفق عمر على نفسه من بيت المال، فقد أنفق على عياله أيضاً. ومن نفقاته على عياله أنه أنفق على ابنه عاصم حين زوّجه شهراً من مال الله ثم قال عمر لمولاه يرفأ: «إحبس عنه» ودعا ابنه عاصماً وقال له: «. . . وقد أنفقت عليك من مال الله شهراً ولن أزيدك عليه».

وكان عمر بن الخطاب قد استلف من بيت المال ثمانين ألفاً فعندما حضرته الوفاة دعا ابنه عبد الله وقال له: «بِعْ فيها أموال عمر فإن وفت وإلا فسل بني عدي فإن وفت، وإلا فَسَلْ قُريشاع ولا تَعْدُهُم. وما مضت جمعة بعد أن دُفن عمر حتى حمل ابن عمر المال إلى عثمان بن عفان وأحضر الشهود على البراءة لدفع المال.

انظر عزيزي القارئ إلى ما يحدث هذه الأيام من استيلاء الحكام على أموال الدولة بدون رقابة أو حساب، ومن يعترض يكون مصيره السجن المؤبد. . .

ب ـ طعام الخليفة ولباسه:

كان أبو بكر من أشد الناس زهداً وتواضعاً في مأكله ومبلسه، ولذلك نجده يأكل طعاماً بسيطاً، ويتحدث عن بساطة طعامه وملبسه بقوله لعائشه «أما منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا

درهماً، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا».

وكما كان أبو بكر زاهداً في مأكله، نجده أشد الناس تواضعاً في ملبسه أيضاً، ومن ملابسه أنه كان له كساء فَدَكي يُخلُّه عليه وعندما بويع بالخلافة كان يأتي إلى المدينة من بيته بالسُنْح وعليه إزار ورداء مُمشقَّان، ومن ملابسه وهو خليفة الشملة والعباءة.

وسار عمر على نهج أبي بكر فيما يتعلق بمأكله وملبسه ففرض له المسلمون كسوته وكسوة عياله، وكذلك فرضوا له طعامه وطعام عياله. وحدد عمر رضي الله عنه لباسه من بيت المال بقوله: «ألا أخبركم بما أستحل من مال الله، يحل لي حلتان حلة الشتاء وحلة القيظ».

وعندما حاولت حفصة إقناع أبيها بأن يلبس ثياباً أفضل من ثيابه، رد عليها بقوله: «إنني أكتسي من مال المسلمين وهذا يُبلّغني» وبهذا يتجلى لنا مدى حرص عمر على أموال المسلمين ومحافظته عليها.

وعلى الرغم من تبوؤ عمر أعلى منصب في الدولة الإسلامية، إلا أنه لم يميز نفسه في اللباس عن غيره من المسلمين، فكان يكتسي كما يكتسون، وعندما لا تكفيه كسوته لتغطية جسده نجده يأخذ كسوة ابنه عبد الله. وعندما رأى صحابي عمر على المنبر وهو يكتسي بردين، قال له: «**لا سمع ولا طاعة لأنك كسيت المسلمين برداً واحداً وكسيت نفسك بردين**»، فتوجه عمر بالسؤال لابنه عبد

الله «ناشدتك الله أما كسوتك إحدى هذين البردين» فقال عبد الله: «بلى»: فقال الصحابي: «قل ما شئت نسمع لك ونطيع».

أما طعامه وشرابه فقد اهتمت المصادر التاريخية بالحديث عنه، وأسهبت ببيان مدى زهده وتقشفه في المأكل والمشرب. فكان أحب الطعام إلى عمر الثفل، وكان يأكل الخبز واللحم الغريض واللبن والزيت والبقل والخل والقديد والسمن.

ومن المأثور عن عمر أنه كان لا يأكل إلا نوعاً واحداً من الطعام في كل وجبة، ومن ذلك أنه أتي بلحم فيه سمن فأبى أن يأكلها لأن كل واحد منهما أدم. وفي يوم دخل على ابنته حفصة فجاءته بمرق بارد وخبز وصبت في المرق زيتاً فقال لها «أدمان في آن واحد، لا أذوقه حتى ألقى الله».

وعندما سُئل عمر عن سبب زهده في طعامه قال: «إنما مثلي ومثل هؤلاء القوم مثل قومٍ سافروا، فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم، فقالوا له انفق علينا، فهل يحل له أن يستأثر منها بشيء؟!».

ج ـ نفقات الحج والعمرة:

ومن نفقات الخليفة التي كان يأخذها من بيت المال نفقاته في حجه وعمرته، فعندما تولى أبو بكر الخلافة ترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله وما يحج به ويعتمر، إذ حج أبو بكر سنة 12هـ/ 633م، وفي هذه الحجة ساق معه عشر بدنات ونحرها. وأداؤه لمناسك الحج والعمرة استلزم بعض النفقات كانت تصرف للخليفة من بيت المال.

وعندما تولى عمر الخلافة، اشترط على المسلمين أن تكون نفقات حجه وعمرته من بيت مال المسلمين، وقد حج عمر أثناء خلافته عشر حجات.

ثانياً: العطايا والهبات:

أ ـ نفقات الوفود

كانت الوفود تأتي إلى المدينة ـ عاصمة الدولة الإسلامية ـ منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجيز الوفود ويقضي لهم حوائجهم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد خصص نصف غنائم خيبر لمن ينزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس. وقد أنفق الرسول صلى الله عليه وسلم على وفد عبد القيس عشرة أيام ثم أمر لهم بجوائز..

وفي عهد أبي بكر الصديق كانت الوفود تنزل في دار رملة بنت الحارث وكانت هذه الوفود تستلزم بعض النفقات.

وفي أيام الخليفة عمر بن الخطاب اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، واقتضت الحاجة في كثير من الأحيان أن تأتي الوفود إلى المدينة عاصمة الخلافة الإسلامية، سواء أكان ذلك بطلب الخليفة عمر من الولاة أن يرسلوا له الوفود، أم باجتهاد من الولاة أنفسهم. ومن الوفود التي جاءت إلى المدينة بطلب من عمر أنه كتب إلى ولاته في البصرة والكوفة والشام بأن يبعثوا له من كل ولاية رجلاً من صالحيها، فبعثوا إليه عثمان بن فرقد من الكوفة، ومعن بن زيد من الشام، والحجاج بن علاط السلمي من البصرة

فاستعلمهم على الخراج. كما كتب إلى أبي موسى الأشعري بأن يقدم عليه هو وعماله. وهذه الوفود كانت بحاجة إلى نفقات كان ينفقها عمر عليهم من بيت المال.

وأحياناً نجد الوالي بحاجة لاستشارة الخليفة في بعض الأمور، مما يدفعه لإرسال الوفود إلى المدينة، كما فعل أبو موسى الأشعري عامل عمر على البصرة عندما أرسل وفداً إلى عمر ليوقفوه على حوائجهم وحوائج أمصارهم. كما أن سعد بن أبي وقاص أوفد جرير بن عبد الله البجلي إلى عمر بعد فتح القادسية. وأرسل أبو موسى وفداً آخر إلى عمر برئاسة ضبة بن محصَن العنزي.

ب ـ العطايا والهبات:

كان عمر شديد الحرص على أموال المسلمين، ولذلك نجده ينهى أقاربه عن طلب الأموال والهبات من أموال الدولة، وها هو يقول لأحد أقاربه: أجئتني لأعطيك من مال الله؟ ماذا أقول لله إذا لقيته ملكاً خائناً؟ أفلا كنت سألتني من مالي؟ فأعطاه عمر من ماله.

ومن خلال ما ذكر عن نفقات الخليفة، نرى أن عطاء أبي بكر وعمر كان محدوداً يكاد يسدُ رمقهما فقط، أضف إلى ذلك أنهما كانا من أكثر الناس زهداً في عيشهما، وحتى في عطائهما المفروض لهما من بيت المال، فنجدهما عندما حضرتهما الوفاة يأمران بسداد ما أخذا من بيت المال.

المحور الثالث

المرحلة الاستبدادية



نشأة المرحلة الاستبدادية

كما قلنا سابقاً: تبدأ المرحلة الاستبدادية في تاريخ المسلمين من عصر معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية عام 41هـ، وهي المرحلة التي نشأ فيها الاستبداد الذي لم ينته حتى يومنا هذا، فرغم مرور مئات السنين من لم يطرأ إصلاح سياسي يخلّص المسلمين من حكم الأفراد الذين حكموا الأمة الإسلامية من دون دساتير تقرر حقوق الحكومات وحقوق المواطنين. . .

وفيه يسأل سائل: ما هو الاستبداد السياسي؟

الجواب: الاستبداد السياسي هو الاستيلاء على السلطة والاستئثار بها، ومنع تداولها سلمياً، والتوصية بها لابن أو أخ أو أي شخص يختاره المستبد؛ والاستبداد هو مصادرة حق الأمة في أن تختار بنفسها مَنْ يحكمها، وحرمانها من أن يتولى قيادتها أصلح أبنائها بناء على رغبتها في اختياره.

وقد يسأل آخر: متى بدأ الاستبداد السياسي؟

الجواب: كان المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة في عصر معاوية بن أبي سفيان، ويقول التاريخ بأن معاوية أراد أن يعزل المغيرة بن شعبة من منصبه والياً على الكوفة، فوصل هذا الخبر إلى المغيرة، فقرر أن يسافر إلى دمشق عاصمة الدولة الأموية، ويبادر بتقديم استقالته من منصبه قبل أن يُقال، لكي يوحي للناس أنه كاره للولاية والحكم، ولما وصل إلى دمشق خطر بباله أن يلتقي بيزيد بن معاوية قبل التقائه بمعاوية ابن أبي سفيان، ويحبذ ليزيد الخلافة بعد أبيه، ليتخذ من إغرائه وسيلة لبقائه في الحكم، كما صرح بذلك لبعض أصدقائه المقربين إليه، وحينما التقى بيزيد، قال له: إنه قد ذهب أعيان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وبقي أبناؤهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسنة والسياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة؟

ولما سمع يزيد هذا الكلام طار فرحاً وسروراً، ثم التفت إلى المغيرة بن شعبة، وقال له: أوترى ذلك يتم؟ فأجابه المغيرة قائلاً: نعم.

وذهب يزيد بسرعة إلى أبيه، وأخبره بمقالة المغيرة، فارتاح معاوية لهذه الفكرة الشيطانية، وأرسل إلى المغيرة لكي يأتي إليه، ولما حضر المغيرة قال لمعاوية: «يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خَلَفٌ، فاعقد له، فإن حدث بك حادث، كان كهفاً للناس، وخلفاً منك فلا تُسْفَكُ دماءٌ، ولا تكون فتنة..

وأصابت هذه الفكرة هدفاً كان يبحث عنه معاوية، فقال للمغيرة، مَنْ لي بهذا؟

فقال المغيرة: أنا أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك.

فاستحسن معاوية فكرة المغيرة الشيطانية، وكافأه على ذلك، فأقرَّه على عمله والياً على الكوفة، ثم أمره بالخروج إلى الكوفة ليعمل على تحقيق ذلك، ولما انصرف عنه، اجتمع المغيرة بن شعبة بحاشيته، فبادروه بالسؤال عن مصيره، فأجابهم قائلاً: لقد وضعتُ رِجْلَ معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وفَتَقْتُ عليهم فتقاً، لا يرُتَقُ أبداً.

وحينما عاد المغيرة بن شعبة إلى الكوفة، أعرب لجماعة ممن عرفهم يمتازون بالولاء والطاعة للبيت الأموي عن مهمته القادمة، وطلب منهم المساعدة في تنفيذ الفكرة، فأجابوه إلى ما أراد، فأوفد المغيرة عشرة منهم إلى معاوية بعد أن قدم لهم رشوة قدرها ثلاثون ألف درهم، وجعل عليهم ولده موسى رئيساً، فلما انتهوا إلى معاوية، حبذوا له الأمر، ودعوه إلى إنجازه فشكرهم معاوية، وأوصاهم بكتمان الأمر ثم التفت إلى ابن المغيرة، فَسَارَّه قائلاً: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ فقال ابن المغيرة: بثلاثين ألف، فضحك معاوية بن أبي سفيان، وقال: لقد هَانَ عليهم دينهم. .

ثم أخذ معاوية بن أبي سفيان في تنفيذ هذه الفكرة التي لاقت هوى في نفسه معتمداً على حلفائه في الشام، وكان عليه كما يقول

الدكتور محمد سهيل طقوش تذليل بعض العقبات التي اعترضت تنفيذ هذه الفكرة، لعل أهمها:

- إقناع كبار شخصيات الحجاز، لا سيما أبناء الصحابة. فكان عليه أن يحظى بتأييد الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فبالإضافة إلى بعض الشخصيات الأموية الذين كانوا يتطلعون إلى خلافته، أمثال مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص.
- تهيئة يزيد لتحمل المسؤولية.
- إلغاء نظام الشورى في الاستخلاف، وجعل الحكم وراثياً.

أما فيما يتعلق بإقناع كبار شخصيات الحجاز، فقد كتب معاوية إلى مروان ابن الحكم عامله على المدينة. ليستشير الناس في أمر اختيار خلفٍ له، من دون أن يسمي يزيدَ. ولما جاءه الجواب بالموافقة، كتب إلى مروان ليخبر الناس باختيار يزيد، كما كتب إلى عماله يأمرهم بمدحه وتقريظه، وبإرسال الوفود إليه من الأمصار، فأقبلت الوفود من العراق وسائر بلاد الشام تبايعه.

وسرعان ما تبين أن المدينة ستكون أكثر المدن الإسلامية معارضة لهذه البيعة، حيث برز تيار بزعامة عبد الرحمن بن أبي بكر، وحجته في ذلك أن معاوية يكون قد خرج عن سياسة أسلافه وجعل الخلافة وراثية، وأنكر الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر هذا التدبير. فكتب مروان بذلك إلى معاوية.

وتوافق هؤلاء الأربعة أنه إذا كانت الخلافة وراثية فإن حقهم

فيها أكثر من حق يزيد. أما إذا كانت بالاختيار لأفضل المرشحين فإن يزيد يغدو بعيداً عن كل حق فيها لعدم وجود أيٍّ من الصفات المطلوبة فيه.

لكن بيعة الحجازيين كانت ضرورية، لأن الحجاز مهد الإسلام ويعيش فيه الصحابة وأبناؤهم، لذلك كان لا يد لمعاوية من الإقدام على عمل ما لتأمين هذه البيعة، فرأى أن يستعمل اللين أولاً مع المعارضة، فقدم نفسه إلى المدينة عام (40هـ/ 670م) واجتمع بالعبادلة أبناء الصحابة، وهم: عبد الله بن عباس وعبد الله ابن جعفر بن أبي طالب وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير، وأبدى أمامهم رغبته في أخذ البيعة لابنه يزيد، فعارضوه وفشل في استمالتهم. ويبدو أنه قرر أن يتجاوزهم، فعاد إلى دمشق وأخذ يعدُّ العدَّة للحظة الحاسمة من دون الالتفات إلى رأي المعارضين، خاصة وأن أهل الشام والعراق بايعوا يزيدَ.

وبدا لمعاوية أن يحاول مرة أخرى قبل الإقدام على تنفيذ البيعة لابنه. واستخدم عامله على المدينة سعيد بن العاص وسائل العنف والغلظة لحمل المعارضين على ذلك، فأبطأوا عنها إلا اليسير منهم لا سيما بنو هاشم.

وفي عام (56هـ/ 676م) أعلن معاوية رسمياً البيعة لابنه يزيد، وجرت احتفالات التنصيب في دمشق وكان الحجاز وحده غائباً عن المشاركة فيها.

وخشي معاوية من تطور المعارضة إلى عصيان فتوجه إلى

المدينة ليضمن عن طريق شخصيته ومكانته تحقيق النجاح في كسب تأييد أهلها وإرغام المعارضين على قبول البيعة ليزيد.

وما كاد يصل إلى المدينة حتى غادرها المعارضون إلى مكة، وبايع من بقي فيها ليزيد، وقرر معاوية أن يجدّ السير في طلب المعارضين، وقد بلغ به الغضب أشده، وفي المسجد حيث اجتمع بهم، دافع ابن الزبير باسم رفاقه عن موقفهم الرافض، وجرى حوار فاشل، عندئذٍ أدرك أنه لا بد من اللجوء إلى التهديد بالعقاب بعد أن فشلت وسائل الإقناع، إذ قال لهم معاوية بن أبي سفيان: «قد علمتم نظري لكم، وتعطُّفي عليكم، وصلتي أرحامكم، ويزيد أخوكم وابن عمكم، وإنما أردت أن أقدمه باسم الخلافة، وتكونوا أنتم الآمرين الناهين بين يديه» فرد عليه عبد الله بن الزبير: «عندنا إحدى ثلاث، أيها أخذت فهي لك رغبة وفيها خيار، إن شئت فاصنع فينا ما صنعه رسول الله: قبضه الله ولم يستخلف، فدع هذا الأمر حتى يختار الناس لأنفسهم، وإن شئت فما صنع أبو بكر: عهد إلى رجل من قاصية قريش، وترك من ولده ومن رهطه الأدنين مَنْ كان لها أهلاً، وإن شئت فكما صنع عمر: صيرها إلى ستة نفر من قريش، يختارون رجلاً منهم، وترك ولده وأهل بيته، وفيهم مَنْ لو وليها لكان أهلاً لها».

قال معاوية: هل غير هذا؟

قال عبد الله بن الزبير: لا..

ثم قال معاوية بن أبي سفيان للآخرين: ما عندكم؟

قالوا: نحن على ما قال عبد الله الزبير..

فقال معاوية: إني أتقدم إليكم وقد أعذر مَنْ أنذر، فأنا قائل مقالة، وأقسم بالله، لئن رَدَّ عليَّ رجل منكم كلمة في مقامي هذا، لا ترجع إليه كلمته حتى يضرب رأسه».

وقال أيضاً: إني كلما قلت لكم قولاً عارضتموني، وسأذهب بكم إلى المسجد وعلى رؤوسكم السيف، فمن خالف أمري أصابه السيف.

وسار بهم معاوية إلى المسجد النبوي، وهناك خطب في الناس قائلاً: «إن هؤلاء النفر الذين يرجع إليهم الأمر، قد وافقوا على بيعة يزيد، فَهَلُمُّوا إليها، وسكت النفر، فأقبل الناس عليها.

واستطاع معاوية باستخدام الشدة حمل المعارضين على الاعتراف بولاية العهد ليزيد، باستثناء الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير.

أما الشخصيات الأموية التي كانت تتطلع نحو الخلافة، فلم تُثر أي مشكلة جدِّية في وجه معاوية، بفعل سياسته التي اتبعها تجاه الشخصيات القائمة على التفرقة والإيقاع بينها، خاصة بين مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، واستطاع عن طريق شخصيته وأسلوبه تجاوزها، واقتنع المعارضون أخيراً أن الأحداث قد تجاوزتهم، فمالوا إلى المهادنة.

أما فيما يتعلق بتهيئة يزيد لتحمّل المسؤولية، فقد أردفه على رأس قوة عسكرية إلى بلاد البيزنطيين لمساندة الجيش الإسلامي

الذي كان يحاصر القسطنطينية آنذاك بقيادة سفيان بن عوف، وحشد معه عدداً من كبار الشخصيات الإسلامية أمثال: ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري وغيرهم. وكان هدف معاوية أن يظهر ابنه أمام المسلمين بمظهر المجاهد، ممَّا يساعده على تأهيله لمنصب الخلافة، ويمحو من ذاكرتهم ما عُرف عنه من تهاون، فيحرز بذلك كسباً أدبياً يرفع من شأنه.

أما فيما يتعلق بمبدأ تحويل نظام الحكم، فقد كان على معاوية إقناع الناس بقبول مبدأ الحكم الوراثي وتعيين ابنه يزيد. فهو يمتلك القدرة على تنفيذ ما يريد، وتوظيف ثقله السياسي في إقناع المعارضين، وقد نجح في ذلك.

ومهما يكن من أمر، فقد خالف معاوية شروط الخلافة، وانتقل بها من خلافة إسلامية شورية إلى ملكية وراثية، وَمُلْكٍ عضوض.

قال أحد العلماء الألمان: «إنه كان ينبغي لنا أن نصنع لمعاوية تمثالاً من ذهب في عواصمنا، لأنه لو لم يحوّل سلطة الخلافة عما وضعها عليه الشرع، وجرى عليه الخلفاء الراشدون، لملك العرب بلادنا كلها، وسيّروها إسلامية عربية».

وقال الأستاذ نبيل هلال: «ويرى بعض الغافلين أنه من حُسْنِ التدين عدم النظر في أخطاء السلف والتابعين، وكأنهم معصومون، ولا يأتيهم الباطل من بين أيديهم ولا من خلفهم، فيرون عدم انتقاد معاوية بن أبي سفيان، بدعوى أنه صحابي، ولا يجوز رميه

بالاستبداد، أو محاكمته أمام التاريخ، بتهمة أنه أول مَنْ أصَّلَ الاستبداد السياسي في الدولة الإسلامية.. لأنه من كتبة الوحي، ولم يعلموا أن كتابة الوحي ليست بعاصمة له، فهذا كاتب الوحي: عبد الله بن سعد ابن أبي السرح، كان النبي عليه السلام قد أهدر دمه في فتح مكة، لولا شفاعة عثمان بن عفان، فما كانت كتابته للوحي لتعصمه من الشرك بالله، إذ كان يُغَيِّر ما يمليه عليه النبي عليه الصلاة والسلام».

وقد حَرَّم معاوية بن أبي سفيان وخلفاؤه من الحكام المستبدين الخروج عليهم عن طريق بعض الأحاديث المزورة المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم التي تدعو المسلمين إلى طاعة الحكام وعدم الخروج عليهم حتى لو ضربوهم وأكلوا مالهم، ورموا الخارجين عليهم بالكفر..

ثم يقول الأستاذ نبيل هلال: «والحاكم الذي يستأثر بكرسي الحكم حتى يموت مستبد، والذي يوصي بولاية العهد لذويه وأقاربه مستبد، والذي ينهب مال الأمة مستبد، والحاكم الذي يحرص على تجنب مزاحمة أحد له، أو أن يحول دون أن يلمع نجم غيره على الساحة السياسية مستبد، والذي يستولي على السلطة بالغلبة وحد السيف مستبد».



أقوال تدل على الاستبداد

● قال معاوية بن أبي سفيان: «إني لا أحول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا».

● قال معاوية بن أبي سفيان في إحدى خطبه: «يا أهل الكوفة: أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج؟! ولكني قاتلتكم لأَتَأَمَّرَ عليكم وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا إن كل دم أصيبُ في هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدميَّ هاتين!».

● قال لأهل المدينة: «أما بعد: فإني والله ما وليتُها بمحبة علمتها منكم، ولا مَسَرَّة بولايتي، ولكني جالدتكم عليها بسيفي هذا مجالدة، وقد رُضْتُ لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتُها على عمل عمر، فَنفرت من ذلك نفاراً شديداً...».

● قال معاوية أيضاً: «الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما أخذتُ فلي، وما تركته للناس فبالفضل مني».

● كان عبد الملك بن مروان في المسجد يقرأ القرآن الكريم حينما جاءه خبر وصول الخلافة إليه فترك المصحف الشريف، وقال: «هذا آخر عهدنا بك».

● بعدما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة خطب في الناس قائلاً: والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربتُ عنقه».

● خطب عبد الملك بن مروان على منبر الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: «يا معشر الأنصار: إنكم لا تحبوننا أبداً، وأنتم تذكرون يوم الحَرَّة، ونحن لا نحبكم أبداً، ونحن نذكر مقتل عثمان... إني لا أدواى أدواء هذه الأمة إلا بالسيف، حتى تستقيم لي قناتكم.. ألا إن الجامعة - هي القيد الذي يجمع اليدين إلى العنق - التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي، والله لا يفعل أحد فعله إلا جعلتها في عنقه».

● خطب عبد الملك بن مروان في المدينة، وكانت مركزاً للمعارضة، فقال: «أما بعد: فلستُ الخليفة المستضعف - يعني عثمان - ولست الخليفة المداهن - يعني معاوية - ولا الخليفة المأفون - يعني يزيد بن معاوية - ألا وإن مَنْ كان قبلي من الخلفاء، كانوا يأكلون ويطعمون هذه الأموال، ألا وإني أداوي أدواء هذه الأمة بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربتُ عنقه».

● أوصى عبد الملك بن مروان ابنه الوليد، فقال له: «وادع

الناس إذا مِتُّ إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا ـ أي رفض ـ فقل بسيفك هكذا ـ أي أضرب عنقه».

● خطب الوليد بن عبد الملك في المسجد قائلاً: «إنكم كنتم تكلمون مَنْ كان قبلي من الخلفاء بكلام الأكفاء، وتقولون: يا معاوية، ويا يزيد، وإني أعاهد الله، لا يكلمني أحد بمثل ذلك إلا أتلفتُ نفسَه».

● كان الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك يرمي القرآن بالنبل، ويقول:

أتوعدُ كلَّ جبار عنيدٍ؟ فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا لاقيتَ ربك يوم حشرٍ فقل: يا ربُّ مَزَّقَنِي الوليد

● دخل الحجاج بن يوسف الثقفي الكوفة وحده، وذهب إلى مسجدها واعتلى منبرها وقد اعتم بعمامة غطت أكثر وجهه، متقلداً سيفه، متنكباً قوسه، وقد عرفه البعض، فصاحوا هذا الحجاج قدم أميراً على العراق. وطال به المقام على المنبر وهو ساكت، حتى قال بعضهم: «قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق»، وعندها حسر اللثام عن وجهه، وصاح:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

يا أهل الكوفة: أما والله إني لأحمل الشر محمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى رؤوساً قد أينعت، وحان قطافها، وإني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى، قد شمرت عن ساقها تشميراً.

إني والله يا أهل العراق ما أغمز كتغماز التين، ولا يُقعقع لي بالشنان، ولقد فُررت عن ذكاء، وجريت إلى الغاية القصوى، إن أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته، ثم عجم عيدانها فوجدني أَمَرَّها عوداً، وأصلبها مكسراً، فوجهني إليكم طالماً أوضعتم في الفتن، وسننتم سنن الغي.

أما والله لألحونكم لحو العود، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، إني والله لا أعد إلا وفيت، ولا أخلق إلا فريت، فإياي وهذه الجماعات، وقيلاً وقالاً، وما يقول فيم أنتم وذاك. والله لتستقيمن على سبل الحق، أو لأدعن لكل رجل منكم شغلاً في جسده من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه، وأنهبت ماله.

واستمر في خطبته يقول: شاهت الوجوه «إن الله ضرب مثلاً: قرية آمنة مُطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون». وأنتم أولئك، وأشباه أولئك فاستوثقوا واستقيموا فوالله لأذيقنكم الهوان، حتى تذروا، ولأعصبنكم عصب السلمة حتى تنقادوا.

أقسم بالله لتقبلن على الإنصاف، ولتدعن الإرجاف، وكان وكان، وأخبرني فلان عن فلان، والهبر وما الهبر، أو لأهبرنكم بالسيف هبراً يدع النساء أيامى، والولدان يتامى، وحتى تمشوا السمهي، وتقلعوا عن هواها».

«يا أهل العراق، وأهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق،

إني سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذي يُراد الله به، ولكنه التكبير الذي يُراد به الترهيب وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قصف. يا بني اللكيعة، وعبيد العصا، وأبناء الأيامى: ألا يربع رجل منكم على ظلعه، ويحسن حقن دمه، ويبصر موضع قدمه، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالاً لما قبلها، وأدباً لما بعدها».

● كان خالد القسري والياً على الكوفة عام 120هـ، وقد خطب في صلاة العيد، فقال: «أيها الناس: اذهبوا وضحوا بضحاياكم، تَقَبَّلَ الله منا ومنكم، أما أنا فإني مضح اليوم بالجعد بن درهم، فإنه يقول: ما كَلَّمَ اللهُ موسى تكليماً، ولا اتخذ خليلاً، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً، ثم سكت ونزل واستل سكيناً، وذبحه أسفل المنبر..

● قال أبو جعفر المنصور مؤسس الدولة العباسية: «أيها الناس: إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه ورشده، وخازنه على فيئه ـ أي ماله ـ أقسمه بإرادته، وأعطيه بإذنه».

● وقال أيضاً: «أيها الناس: إن بكم داء هذا دواؤه ـ يعني سيفه ـ وأنا زعيم لكم بشفائه، فليعتبر عَبْدٌ قبل أن يُعْتَبَرَ به».

● وقال كذلك: «إن مَنْ نازعنا هذا القميص أوطأناه ما في هذا الغمد، ومَنْ نكث بيعتنا، فقد أباح دمه لنا».

● كتب أبو جعفر المنصور وصية لابنه المهدي يقول فيها:

«إني تركت لك الناس ثلاثة أصناف».

- فقيراً لا يرجو إلا غناك.
- وخائفاً لا يرجو إلا أمنك.
- ومسجونا لا يرجو الفرج إلا منك..

مظاهر الاستبداد

للاستبداد قديماً وحديثاً مظاهر كثيرة من أهمها:

1 ـ الاستيلاء على كرسي الحكم بالثورة المسلحة أو بالوراثة.

2 ـ كون الحاكم المرجع الوحيد للسلطات الثلاث: سلطة التشريع وسلطة القضاء وسلطة التنفيذ...

3 ـ استخدام الدين لتحقيق الأهداف السياسية...

4 ـ عدم مراعاة حقوق الإنسان..

5 ـ احتكار في السلطة حتى الممات.

6 ـ الاستيلاء على المال العام وإنفاقه على تكريس الحكم والملذات الشخصية وتخصيص مرتبات عالية لذوي القربى من تنابلة السلطان الذين لا يعملون، وشراء ذمم الكُتَّاب والمؤرخين.

7 ـ أن المستبد يحول دون إصدار القوانين المنظمة للعلاقة بين

الحاكم والمحكوم وتحديد حقوق الطرفين، لكي يصدر أحكاماً تناسب هواه وتساعده على التمكين.

8 ـ تلفيق التهم ضد الأبرياء متى لزم الأمر..

9 ـ دفع القضاء إلى إصدار أحكام وحشية في حق المتهمين بدون دليل شرعي أو قانون أرضي..

10 ـ اتهام بعض المعارضين بالردة عن الإسلام وتلفيق تهم الخيانة الوطنية ضدهم من أجل القضاء عليهم.

11 ـ تقييد الحريات العامة بمنع حق النقد في وسائل الإعلام وحق الاجتماع وحق السفر وحق الحرية في النقد.

12 ـ تعطيل القيم السياسية الإسلامية: (العدل والمساواة والشورى والحرية).

13 ـ عدم تنفيذ القوانين التي تحمي المواطن من الظلم..

14 ـ تعذيب أو قتل المعارضين السياسيين بدعوى الفتنة وشق الصفوف والعصيان.

15 ـ بذل المال بسخاء لبعض علماء الدين الذين يعملون على تضليل الشعوب وتبرير قرارات المستبد.

16 ـ تعيين علماء دين متخلفين الرجعيين في المؤسسات الدينية ومنحهم سلطات كبيرة ودعمهم مالياً من أجل الحصول على فتاويهم التي تكرس حكمهم.

17 ـ شراء أقلام بعض الكتاب . .

18 ـ شراء بعض الوسائل الإعلامية من صحافة وإذاعة وتلفاز لكي تعمل على تلميعه وتحسين صورته . .

19 ـ شراء سكوت رؤساء الدول في الدول الكبرى التي تهدف إلى نشر الديمقراطية . .

20 ـ منع تكوين النقابات المهنية ومؤسسات المجتمع المدني . .

21 ـ محاربة الانتخابات بحجة أن الشعب غير مؤهل لانتخاب ممثليهم الذين يعملون من أجل مصلحة الأمة .

22 ـ تحريم تأسيس الأحزاب السياسية .

23 ـ اعتبار المعارضة السياسية من أعمال التمرد والخروج على الحكم . .

24 ـ تجريم المظاهرات وإطلاق اسم «الشغب» عليها لتشويه صورتها وأهدافها السياسية العادلة .

25 ـ مراقبة وسائل الإعلام المحلية . .

26 ـ فرض الرقابة على الكتب ومنع ما يتعارض منها مع سياستها، ومراقبة الكتب القادمة مع المسافرين الداخلين إلى البلاد .

27 ـ منع إصدار أي وسيلة إعلامية من غير إذنه . .

28 ـ عدم تعيين رؤساء لتحرير الصحف من غير موافقة وزارة الداخلية للتحري عن مدى ولاء المرشح لذلك العمل الصحفي للمستبد . .

29 ـ منح مكافآت يسيل لها اللعاب لرؤساء تحرير الصحف المرافقين للحاكم المستبد في رحلاته الرسمية الخارجية . .

30 ـ استخدام حكم التعزير في التهم التي لا تخضع لأحكام الحدود بشكل متعسف وإصدار أحكام وحشية ضد كل معارض سياسي لإرهابه وتخويف الآخرين لكي لا يفكروا في المعارضة . .

31 ـ التجسس على الناس بتعيين مئات الألوف من العاطلين باستغلال حاجتهم للعمل والمال من أجل رصد همسات المواطنين، ودفع رواتب كبيرة للجواسيس المتعاونين، وهي أموال مقتطعة من الأموال العامة التي يستحقها المواطنون . . .

32 ـ اختراع مشاريع باهظة التكاليف للحصول على عمولات من المقاولين الذين يقومون بتنفيذها . .

33 ـ استباق تنفيذ المشاريع التنموية باستملاك الأراضي التي تقوم عليها عن طريق المنح المجانية من أجل الحصول على تعويضات مالية حكومية كبيرة عند مباشرة العمل فيها . . .

34 ـ التصنت على المكالمات الهاتفية . .

35 ـ مراقبة البريد الالكتروني وقراءة محتوياته . .

36 ـ شراء بعض المواقع الالكترونية في الانترنت لاصطياد الكتاب المشاركين فيها بآرائهم النقدية . .

فكرة عامة عن الممارسات الاستبدادية

تقف العقوبات الوحشية على رأس الممارسات الاستبدادية، وتاريخ الحكام المسلمين زاخر بأخبار الذين بغوا وظلموا، إذ ابتلى المسلمون بحكام قساة، ظلمة، قاموا بالتعذيب والتنكيل والقتل الفردي والجماعي، ومنه ما رأيناه من مقابر جماعية للعراقيين في عهد الحاكم المستبد صدام حسين.

والحق يقال: لم يمارس المسلمون في صدر الإسلام أي نوع من أنواع التعذيب، لأن الإسلام دين رحمة وسلام، حتى إنه يُشَرِّعْ عقوبة السجن.

وكان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب يقول لعماله: «إني إنما استعملتكم على الناس لتقضوا بينهم بالحق، وتقسموا بالعدل، ولم استعملكم لتضربوا أبشارهم أو لتأخذوا أموالهم».

وكانت الأخلاق الإسلامية في الحرب مضرباً للأمثال في الكليات الحربية الحديثة، فقد كان الخليفة الرابع علي بن أبي طالب

يوصي قواده في كل مواطن يلقون فيه عدواً، فيقول لهم: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم، فإذا هزمتموهم، فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثّلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلى رجال القوم، فلا تهتكوا سرّاً، ولا تدخلوا داراً إلا بإذن، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في معسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم وصلحاءكم».

يقول الأستاذ عبود الشالجي: «ولما تَسَلَّطَ الأمويون على الحكم، تغير الأمر عما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين، فظلم بعضهم الناس، وسَلَّطُوا عليهم عمالاً من الظالمين، وأول من سُلِّطَ على الناس من الظالمين: زياد بن أبيه، فعذَّبَ الناس، ودفنهم أحياء، وبنى عليهم الحيطان وقطع أطراف النساء».

ويضيف قائلاً: «كانت عاقبة ما صنعه بعضُ الأمويين بالناس، أن العباسيين لما انتصروا عليهم، قتلوهم صغاراً وكباراً حتى النساء قتلاً ذريعاً، في كل مكان، فلم يفلت منهم إلا الرضيع، أو مَنْ هرب إلى الأماكن القاصية، ثم تجاوزوا الأحياء منهم إلى الأموات، فنبشوا قبورهم، وأخرجوا رممهم، وضربوها بالسياط، وأحرقوها بالنار.. ولما استولى العباسيون على الحكم، أعلنوا أنهم حاربوا الأمويين لسوء سيرتهم وخرقهم بالناس وإذلالهم واستئثارهم بالفيء والمغانم، وكانوا يكررون أنهم غضبوا لما كان الأمويون يصنعون بالناس من قتل للرجال، وسبي للنساء، وأسر للأطفال، وصلب

على جذوع النخل، وإحراق النخل، وإحراق بالنيران، ونفي في البلدان.

أما العلويون الذي كانوا في العهدين الأموي والعباسي مضطهدين مشردين معذبين، فأصبحت قبورهم مزارات تشد إليها الرحال، ويفخر الناس بالانتساب إليهم».

ومارس التعذيب كثير من الحكام اللاحقين، إذ مارسوا ألواناً من التعذيب، يقشعر البدن منها، تدل على مقدار ما في المستبدين من وحشية.. وتطور التعذيب بمرور الزمن حتى صار أخذ الناس بالعنف والشدة باسم الدين أمراً عادياً، وصادر المستبدون، وسجنوا المعارضين السياسيين لمدة طويلة حتى مات بعضهم في السجون، وأشاعت حكوماتهم جواً من الإرهاب، وحرمتهم حرية التعبير، وأقامت لخصومها أساليب جديدة مستعينة بالتقنية الحديثة، ساعد عليها كما يقول عبود الشالجي زيادة المعرفة باستخدام الكهرباء والكيمياء وعلم النفس، مع شراء ضمائر بعض القضاة حتى إن متهماً معاصراً اشتكى للقاضي جهات التحقيق بأنها كانت تمارس التعذيب معه لانتزاع اعترافاته، إلا أن القاضي الظالم قال له: كيف يحصلون على اعترافاتك من دون ذلك التعذيب؟!



أشكال التعذيب

مارس المستبدون وأذنابهم أشكالاً كثيرة من التعذيب، لعل ذكر أشكالها يعطي صورة واضحة لمدى الوحشية التي كان المستبدون وأعوانهم يمارسونها في حق المتهمين الذين أُلْحِقَتْ بهم تهم ملفقة زورها جواسيسهم أو دبرها جلاوزة السلاطين الذين لا خلاق لهم تحقيقاً لرغبة المستبد، وإرضاءً له، لكي ينالوا ترقية لا يستحقونها أبداً طوال حياتهم، ولكنهم يستحقون أن يعذبوا في نار جهنم بعد موتهم. . .

وقراءة فهارس كتاب: (موسوعة العذاب) لمؤلفه الأستاذ عبود الشالجي تعطي القارئ صورة دقيقة لأشكال التعذيب التي مارسها عدد لا يستهان به من الحكام المستبدين في التاريخ الإسلامي، والسطور القادمة تذكرنا بأشكال التعذيب التي لا يعرفها الشيطان نفسه:

الشتيمة ـ الشتيمة مع ذكر الله تعالى ـ الشتائم على النفي (أي

المسبوقة بلا) ـ شتائم مختلفة ـ شتائم غير موجعة ـ المعايرة ـ المعايرة بالعاهة ـ المعايرة بالصناعة ـ المعايرة بالنحلة ـ المعايرة بالنسب ـ المعايرة بالأبوين ـ المعايرة بالصفات السيئة ـ المعايرة بالصفات الخلقية ـ المعايرة بالصفات العارضة ـ ألفاظ مختلفة في الشتم ـ تسمية المشتوم باسم حيوان ـ مجموعة ألفاظ في الشتيمة ـ الرفث في الشتيمة ـ طرائف في الشتم ـ ما يشبه الشتيمة ـ العفطة ـ الشتم بالإشارة أو التعريض ـ الثَفْل ـ عرك الأذن ـ السحب ـ الحصب ـ الحذف بما في اليد ـ العذاب بالتغطيس في مستودعات القذر ـ الضرب ـ الضرب بآلة الضرب ـ الصفع ـ الركل ـ اللطم ـ اللكم واللكز ـ وجء العنق ـ الرجم ـ التعذيب بالنطح ـ الوطء بالأقدام ـ الحبس والقيد والغلّ والمسوح ـ الحبس ـ السجون الاعتيادية ـ سجون الدولة ـ سجون الأمراء والأميرات والوزراء والعمال ـ حبس الإنسان في داره ـ الحبس عند أحد رجال الدولة ـ الحبس في دار الخلافة ـ الحبس في القلاع والحصون ـ السجون غير الاعتيادية ـ الحبوس الضيقة ـ الحبس في المطبق ـ المطمورة ـ الحبس في الجبّ ـ الحبس في السرداب ـ الحبس في زورق مطبق ـ الحبس بقصد الإهانة ـ الحبس في الكنيف ـ الحبس في الإصطبل ـ الحبس في دار المجانين ـ الحبس في قفص ـ القيد والغل ـ المسوح وجباب الصوف ـ النفي والإشهار ـ النفي ـ الإشهار ـ التعليق ـ التعليق من اليدين ـ التعليق من يد واحدة ـ التعليق من الساق ـ التعليق من الإبط ـ التعليق من الثدي ـ التعذيب بالقذارة ـ التعليق منكّساً ـ التسمير ـ التعذيب بالطعام والشراب ـ التعذيب

بإطعام ما ليس طعاماً ـ التعذيب بسقي الدواء المسهل ـ التعذيب بالملح ـ التعذيب بالحلق والنتف ـ الحلق ـ حلق اللحى واللمم ـ حلق اللمم ـ المسح ـ النتف ـ نتف اللحية ـ نتف شعر الرأس ـ نتف شعر البدن ـ التعذيب بالتعرض للعورة ـ التعذيب بالتعرض للقبل ـ التعذيب بالخصاء ـ التعذيب بعصر الخصيبة ـ التعذيب بجّب الذكر ـ التعذيب بالتعرض للدبر ـ التعذيب بالخوزقة ـ التعرض للدبر بألوان أخرى من العذاب ـ التعذيب بالتعرض للجوارح ـ السَّمل ـ التعرض لبقية الجوارح ـ قطع الأطراف ـ سلّ اللسان ـ جدع الأنف ـ صلم الأذن ـ قلع الأضراس ـ سلّ الأظفار من الأصابع ـ خلع المفاصل ـ تعذيب الوزراء والعمال المصروفين ـ حمل الأثقال ـ المساهرة ـ إرسال السباع والحشرات ـ شق لحم البدن بالقصب الفارسي ـ العصر ـ الدهق ـ التعذيب بالزمّارة ـ التعذيب بالمضرّسة ـ التعذيب بالدوشاخة ـ ثقب الكعاب ـ تنعيل الناس بنعال الدواب ـ قطع أجزاء من لحم البدن ـ قرض لحم البدن بالمقارض ـ قتل الأسير ووضع رأسه في حجر أقرب الناس إليه ـ التعذيب في قصص الاضطهاد الديني ـ اضطهاد أتباع الديانة الإسلامية ـ اضطهاد أتباع الديانة المسيحية ـ القتل بالسيف ـ القتل صبراً ـ القتل في المعركة ـ القتل غدراً ـ القتل غيلة ـ القتل من أجل الاستئثار بالسلطان ـ التوسيط ـ القتل بآلة من آلات القتل الأخرى ـ القتل بالشدخ بالعمود ـ القتل رشقاً بالسهام ـ القتل بالطبرزين ـ القتل قصعاً بالرماح ـ القتل بالبارود والرصاص ـ القتل بآلات غير معدة للقتل ـ القتل بكتم النفس ـ الخنق ـ الخنق

بالشارفة ـ الشنق ـ الغم ـ التغريق ـ التدخين ـ دفن الإنسان حياً ـ البناء على المعذّب ـ هدم البناء على المعذّب ـ القتل بالسم طعاماً وشراباً ودواءً أو بتسميم آلة الفتك ـ سمّ أداة القتل ـ الإحراق والتعذيب بالنار والماء المغلي ـ التعذيب بالنار ـ الإحراق بالنار ـ الكيّ بالنار ـ التعذيب بالماء المغلي ـ السلق بالماء المغلي ـ الحقن بالماء المغلي ـ القتل بالجوع والعطش ـ التعذيب بالعطش ـ التعذيب بالجوع ـ التعذيب بالجوع والعطش ـ القتل بصنوف العذاب ـ القتل بالتفريع ـ القتل بالبرد ـ القتل بالفصد ـ القتل بقصف الظهر ـ القتل ببقر البطن ـ القتل بدقّ المسامير في الآذان ـ القتل بطرح الإنسان للسباع ـ القتل بالطرح من شاهق ـ القتل بتحطيم الرأس ـ القتل بتمزيق البدن ـ القتل بتقطيع الأوصال ـ القتل والتعذيب بالسلخ ـ القتل بالنشر بالمنشار ـ الانتحار ـ المثلة ـ ألوان من المثلة ـ المثلة بسحب الجثث ـ المثلة بصلب الجثة ـ أول من عذّب النساء في الإسلام ـ قتل المرأة بالسيف ـ قتل المرأة خنقاً ـ قتل المرأة شنقاً ـ تعذيب المرأة بالنار ـ تعذيب المرأة بقطع الأطراف والتعرض للجوارح ـ تعذيب المرأة بالتعرض للعورة ـ تعذيب المرأة بالاسترقاق ـ تعذيب المرأة بالضرب ـ تعذيب المرأة بالحبس ـ إشهار النساء ـ انتحار المرأة.

الممارسات الاستبدادية

المرحلة الاستبدادية من تاريخ المسلمين التي بدأت عام 41 للهجرة في عصر معاوية بن أبي سفيان كانت البداية لسقوط القيم السياسية الإسلامية وانهيار القيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام. . .

اختفت الشورى والعدالة والمساواة والحرية، وحل محلها الطغيان السياسي والاستكبار والوحشية والقتل والتعذيب من أجل الوصول إلى السلطة والمحافظة عليها على حساب الحريات والأرواح البشرية التي حرم الله الاعتداء عليها إلا بالحق. . .

لقد سالت الدماء أنهاراً، وسقط كثير من الضحايا من أجل الوصول إلى السلطة والمحافظة عليها، وكما يقول الأستاذ عبود الشالجي في كتابه القيم: «موسوعة العذاب»: (التاريخ مشحون بأخبار قوم بغوا وظلموا، فمنهم مَنْ عوجل، ومنهم مَنْ أُمْهِلَ، غير أن عاقبة ظلمه لحقت أولاده وأحفاده وأهل بيته، مصداقاً لقول النبي ـ ص ـ : «من خاف على عقبه وعقب عقبه، فليتق الله».

وقد ابتلي الناس في مختلف أدوار التاريخ بأشخاص قساة ظالمين، ظلموا، وعَذَّبوا، ونكّلوا، واستأصلوا، وأبادوا أمما من الناس فكانت عاقبة هؤلاء الظالمين البوار، وتَرَدَّتْ أسماؤهم بأردية العار والشنار».

ويضيف الأستاذ عبود الشالجي قائلاً: «لم يكن العذاب ممارساً في صدر الإسلام، فإن الإسلام جاء بالسلام، والمودّة، والعطف والرحمة، وشعاره أن لا إكراه في الدين.

واختصر نبيّ الإسلام،عليه السلام جميع ما قام به، في كلمة واحدة، قال: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

وكانت وصيته لكل سرّية يبعث بها إلى الحرب، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً.

وخلفه أبو بكر الصديق، فكانت وصيته لأمراء جيشه: لا تخونوا، ولا تغلّوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، وسوف تمرّون بقوم قد فرغوا أنفسهم في الصوامع (يريد الرهبان) فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.

وجيء إليه مرّة برأس أحد القتلى في إحدى المعارك، فغضب وقال: هذا من أخلاق العجم، ومنعهم من تكرار ذلك، إذ اعتبر أنّ قطع الرأس من المثلة المنهيّ عنها.

وكان الخليفة عمر الفاروق يقول لعماله: إني إنما استعملتكم

على الناس لتقضوا بينهم بالحقّ، وتقسموا بالعدل، ولم استعملكم لتضربوا أبشارهم أو لتأخذوا أموالهم.

وبلغه أنّ أحد أولاد عمرو بن العاص عامله على مصر قنّع بعصاه رجلاً من الرعيّة، وقال له وهو يضربه: أنا ابن الأكرمين، فأحضر عَمْراً، وولده، وأحضر المضروب، ولما تحقق من صحّة القصة أعطى المضروب عصا، وقال له: إضرب ابن الأكرمين، حتى إذا ضربه إلتفت إلى عمرو، وقال له: يا عمرو، متى استبعدتم الناس، وقد ولدتهم أمّهاتهم أحراراً؟

وكان إذا بعث بعثاً للحرب، أوصاهم، قال: بسم الله، وعلى عون الله، لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند الغارة،و لا تسرفوا عند الظهور، ولا تقتلوا هرماً ولا امرأة، ولا وليداً.

وكان علي بن أبي طالب، يوصي قوّاده في كل موطن يلقون فيه عدّواً، فيقول: لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثّلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً إلاّ بإذن، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما وجدتم في معسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم وصلحاءكم.

ولما اغتال عبد الرحمن بن ملجم الإمام علي بن أبي طالب، أوصى الإمام ولده الحسن وهو يودّع الحياة، وقال في آخر وصيتّه: وأما عبد الرحمن فإن عشتُ فسأرى فيه رأيي، وإن متٌّ فضربة

بضربة، ولا يمثلن به أحد، فإني سمعت رسول الله يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور.

ولم ينس أبو الحسن وهو في حالته تلك، أن بوصيهم بالعناية بقاتله، لأنه أسير عندهم، فقال: أطيبوا طعامه وألينوا فراشه.

ولما تسلّط الأمويّون على الحكم، تغيّر الأمر عما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين، فظلم بعضهم الناس، وسلّطوا عليهم عمّالاً من الظالمين، وأول من سلط على الناس من هؤلاء الظالمين زياد بن أبيه، فعذّب الناس ودفنهم وهم أحياء، وبنى عليهم الحيطان وقطع أطراف النساء.

ثم سلّطوا ولده عبيد الله بن زياد، فسار على طريقة أبيه في الجور، وزاد عليه، بأنه كان يرمي الناس من شاهق، ويقتل الرجل البريء، ويبعث برأسه إلى ابنته الصبية، فإن جاءت الابنة تطلب جثة أبيها لتدفنها، أمر بالابنة فقتلت، وهو يمتع نفسه بمرآها وهي تقتل.

وجاء من بعدهما الظالم السيّئ الصيت الحجاج بن يوسف الثقفي فزاد عليهما في الظلم والبغي، وقتل ما يزيد على ألف ألف إنسان.

ولحق بهم في العهد العباسي، المنصور، فالمتوكل، فالقاهر، وأتباع لهم نشأوا في ظل حكمهم، كالبريديين الثلاثة الذين كانوا ينعلون الناس بنعال الدواب، ويسمرون الناس في الحيطان، ويسلون أظفارهم، ويشرحون لحومهم بجرّ القصب المشقوق على أبدانهم.

وكانت عاقبة كلّ ظالم من هؤلاء أسوأ العواقب، فهلكوا، وهلك نسلهم من بعدهم، ولم يبق لهم من أثر، سوى صفحات مظلمة دونها لهم التاريخ.

كانت عاقبة ما صنعه بعض الأمويين بالناس، أن العباسيين، لما انتصروا عليهم، قتلوهم صغاراً وكباراً حتى النساء قتلاً ذريعاً، في كل مكان فلم يفلت منهم إلا الرضيع، أو من هرب إلى الأماكن القاصية، ثم تجاوزوا الأحياء منهم إلى الأموات، فنبشوا قبورهم، وأخرجوا رممهم، وضربوها بالسياط وأحرقوها بالنار.

وقضى زياد مذموماً مشنوءاً، وقد صيرته مهزلة الاستلحاق موضع هزءٍ وسخرية، وغدا مثلاً في الادعاء الكاذب، قال الشاعر يهجو كاتباً:

حمارٌ في الكتابة يدّعيها   كدعوى آل حرب في زياد

وأما الحجاج بن يوسف الثقفي، فقد عمّ شؤمه جميع أهل بيته وأفراد عائلته، فإنه لماهلك، واستخلف سليمان بن عبد الملك، أمر بجميع الرجال من آل أبي عقيل، عائلة الحجاج، فاعتقلوا بواسط، وعذّبوا، حتى ماتوا بأجمعهم تحت العذاب.

ولما استخلف الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز، بعث بالباقين من أفراد عائلة الحجاج إلى الحارث بن عمر الطائي عامله على البلقاء، وكتب إليه: أما بعد، فقد بعثت إليك آل أبي عقيل، وبئس ـ والله ـ أهل البيت في دين الله، وهلاك المسلمين، فأنزلهم بقدر هوانهم على الله تعالى وعلى أمير المؤمنين.

ولما استولى العباسيون على الحكم، أعلنوا أنهم حاربوا الأمويين لسوء سيرتهم وخرقهم بالناس وإذلالهم واستئثارهم بالفيء والمغانم، وكانوا يكررون أنهم غضبوا لما كان الأمويون يصنعون بالناس، من قتل للرجال، وسبي للنساء، وأسر الأطفال، وصلب على جذوع النخل، وإحراق بالنيران، ونفي في البلدان.

ولكن بعض هؤلاء العباسيين، كالمنصور، والمتوكل، والقاهر تعدى ظلمهم من سبقهم، فإن المنصور مارس نحو الرعية جميع ألوان العذاب، فدق الأوتاد في العيون، وسمر المعذبين في الحيطان، ودفن بعضهم أحياء، وبنى على البعض الحيطان، وهدم على الآخرين البيوت.

أما المتوكل، فقد تعدى ذلك إلى نبش القبور، كان اتهام الإنسان عنده بأنه من شيعة آل علي كافياً لقتله.

وكان القاهر مثلاً من أمثلة القسوة، فقد بدأ خلافته بتعليق السيدة أمّ أخيه المقتدر تارة من ثدييها وتارة منكسة، ودفن قوماً أحياء، وكان يتلذذ بأن يأمر بقتل الابن، ثم يحضر رأسه فيضعه بين يدي الأب، ثم يأمر بذبح الأب ويضع الرأسين أمام ثالث يقتله من بعدهما.

لما مات المنصور، حفر له أكثر من مائة قبر، ثم دفن في قبر آخر، غير القبور المحفورة، ذلك لأن المحيطين به، يعلمون ما صنع، ويعرفون مقدار نقمة الناس عليه، فعموا موضع قبره لئلا ينبش ويحرق.

وكانت عاقبة تصرفات المتوكل، أن انتهى إلى تلك النهاية التي ينتهي إليها الظالمون، ففتح بنهايته تلك على من خلفه من الخلفاء، وعلى من يلوذ بهم من رجال الدولة، باباً استحال سدّه، وكان ما أصابه فاتحة لما أصيب به الخلفاء من بعده، والوزراء، وسائر رجال الدولة، من قتل وسمل وتشريد وامتهان.

أما القاهر، فإن البريديين لما دخلوا بغداد، وجدوه مسمول العينين، في سوق الثلاثاء، واقفاً يطلب الصدقة، فأنفذوا بمن أقامه، وأجروا له في كل يوم خمسة دراهم.

وأما البريديون الثلاثة، فكانت عاقبتهم، أن أحدهم قتل أخاه ثم مات من بعده بأشهر، أما الثالث فاعتقل ببغداد وضرب ضرباً مبرحاً، وقرض لحمه بالمقارض، ثم مات.

وقد أثبت ابن الاثير، في كتابه الكامل في التاريخ فصلاً في مظالم البريديين، ثم قال: إنه ذكر هذا الفصل ليعلم الظلمة أن أخبارهم تنقل وتبقى على وجه الدهر، فربما تركوا الظلم لهذا السبب، إن لم يتركوه لله سبحانه وتعالى.

وذكر الجاحظ، في أحد كتبه، نفراً ممن اشتهروا بالظلم، فبعث الله عليهم المحق، ولم يجعل من نسلهم عقباً مذكوراً، ولا ذكراً نبيها وذرية طيبة، مثل الحجاج بن يوسف، وأبي مسلم الخراساني، ويزيد بن أبي مسلم (خليفة الحجاج على العراق) فإن هؤلاء مع كثرة الطروقة، وظهور القدرة، ومع كثرة الإنسان، قد قبح الله أمرهم، وأخمل أولادهم، فهم بين من لم يعقب، أو بين من هو في معنى من لم يعقب.

إن هؤلاء الظالمين، الذين ضربوا أسوأ الأمثال، في الظلم، والقسوة والبغي، سود التاريخ صفحاتهم، ولاقوا ببغيهم سوء المصير، وتحقق فيهم قول النبي صلوات الله عليه: من خاف عقبه وعقب عقبه فليتق الله، فإن هؤلاء الذين لم يتقوا الله وبغوا وظلموا، كانت عاقبتهم أن انقرض عقبهم، فلا ترى من نسلهم أحداً.

كان عدد الأمويين الذين أخرجهم الحجازيون من مكة والمدينة، في عهد يزيد بن معاوية، ثلاثة آلاف رجل، وكان هذا عددهم في قطر واحد، وهو الحجاز، في القرن الأول للهجرة، وكان هناك أمويون غيرهم كثيرون في بقية الأقطار، فضلاً عمن موجود منهم في الشام مقر حكمهم.

فكم هو عدد المنتسبين إلى بني أمية الآن؟

وفي السنة 200 أحصى العباسيون، بناء على أمر المأمون، فبلغ عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً.

فكم عدد الذين ينتسبون إلى بني العباس الآن؟

الذي أعرفه، أنه لا يوجد الآن من ينتسب إلى بني العباس في العراق، مقر حكمهم الذي دام ستة قرون، سوى عائلتين اثنتين، واحدة في البصرة والأخرى في بغداد.

أما العلويون، الذين كانوا في العهدين الأموي والعباسي، مضطهدين، مشردين معذبين، فهم في أعلى الدرجات، وقد أصبحت قبورهم مزارات، تشد إليها الرحال، ويفخر الناس بالانتساب إليهم.

وهكذا الحال فيمن تعاقب على الحكم، من سلالات وأشخاص، فمن أحسن إلى الناس، لقي المدح والثناء، ومن أساء إليهم، لقي الذم والهجاء، وانقرض عقبه، وبقيت صحيفته السوداء مثبتة في صفحات التاريخ، تدل على أن التاريخ لا ينسى الإساءة، كما أنه لا ينسى الإحسان، لأنه عين نقادة لا تخفى عليه خافية، فهو في الوقت الذي يذكر فيه سيئات يزيد، وزياد، والحجاج، لا ينسى أن يسبغ أطيب الثناء على الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز، الذي ورث العدالة عن جده لأمه، عمر الفاروق، وقد قال فيه الزهري: كان بنو أمية دنّ خلّ، أخرج الله منه زق عسل، وقال فيه حسن إبراهيم حسن: كان حكم عمر بن عبد العزيز، غرة في جبين ذلك العصر الذي تلطخ بالاستبداد وسفك الدماء.

كما في الوقت الذي يذكر فيه سيئات المنصور، والمتوكل والقاهر، ولا ينسى أن يسبغ على المأمون، الخليفة العالم الفيلسوف، ما يستحقه من المدح والثناء، وهذا دليل على أن التاريخ لا يحابي، وإنما يُحسن إلى مَنْ أحسن، ويسيء إلى مَنْ أساء...».

كانت أخبار الممارسات الاستبدادية في تاريخ المسلمين مبعثرة في مئات المراجع حتى سخَّر الله لنا المؤوخ العراقي القدير الأستاذ عبود الشالجي الذي غاص بين تلك المراجع لكي يضع يده على مواطن الفساد في تاريخنا، ويروي أنين المظلومين في أقبية السجون المظلمة، وصراخ المعذبين، ويأس المضطهدين الذين انتزعت

أرواحهم بطرق وحشية تدل على أن كل عمل جائر كان مشروعاً عند كل المستبدين الذين ابتلى بهم المسلمون منذ عام 41 للهجرة حتى الوقت الحاضر.

وأمامي العمل التاريخي العظيم الذي قام به الأستاذ عبود الشالجي بعنوان: (موسوعة العذاب): وهي موسوعة مكونة من سبعة أجزاء، قَدَّمَ فيها للقراء والباحثين خدمة كبيرة تغنيهم عناء البحث عن الممارسات الاستبدادية التي اقترفها مَنْ اقترفها من الحكام الذين يحسبون على خير أمة أخرجت للناس، فشوهوا تاريخ المسلمين، وطأطأوا رؤوسنا بين الأمم، وهؤلاء الحكام المستبدون هم قدوة حكام اليوم في البلدان الإسلامية، واستبدادهم هو الذي أنجب الإرهاب والإرهابيين الذين انتشروا في كل أنحاء العالم يقتلون الأبرياء وينتحرون هرباً من إرهاب الحكام إلى جنة يتوهمون أنهم سوف يذهبون إليها وحوريات ينامون بين أحضانها، بينما هم ضحايا الظلم والاستبداد.. يرون أمامهم سقوط الطاغية صدام حسين الذي لم ينجب التاريخ طاغية مثله يتصاغر أمامه الحجاج بن يوسف الثقفي، يرونه يحاكم على جرائمه في حق الشعب العراقي ثم يُعدم شنقاً، ولكنهم لا يعتبرون، ويتوهمون أنهم مثل صدام حسين كما يكذب عليهم حاشيتهم المستفيدة منهم، وتصورهم وسائل الإعلام المأجورة بأنهم أعدل من عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز...

في الصفحات القادمة، أنقل شيئاً يسيراً جداً من الممارسات

الاستبدادية التي رصدها الأستاذ عبود الشالجي في كتابه القيم: (موسوعة العذاب) المكونة من سبعة مجلدات، لكي أضع الجيل الجديد في الصورة التي عاشها أسلافنا المساكين تحت ظلال الاستبداد وتحت حد السيف الذي قتل فيهم كل شيء جميل، والحقيقة هي أن الاستبداد هو سبب تخلف الأمة الإسلامية وبقائها عالة على الحضارة الإنسانية. .

ولن نخلص من الاستبداد إلا بالعودة للقيم الإسلامية السياسية، وهي:

1 ـ الشورى. . .

2 ـ الحرية. .

3 ـ العدالة. .

4 ـ المساواة. .

فالشورى التي عرفها المسلمون في حياتهم السياسية أيام النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، طلقها المسلمون العرب طلاقاً بائناً، فتزوجها الغرب، وكوَّن معها أسرة حضارية قوية اسمها: «الديمقراطية» وأنجب منها أنفع الأبناء الصالحين للسياسة الرشيدة التي منها: تداول السلطة، والانتخابات، والبرلمان، ومراعاة حقوق الإنسان، ومراقبة الحكام ومحاسبتهم، والمحافظة على المال العام. . الخ، وهو الأمر الذي يدل على أن الشورى أُمُّ الديمقراطية. .



الحبوس الضيّقة

إنها الحبوس التي تمتاز بضيق مساحتها، من أجل تعذيب المحبوس، فإن أوّل ما بلغنا خبره منها، سجن عبد الله بن الزبير، المعروف بسجن «عارم» حيث بنى عبد الله بن الزبير بمكّة، بناء ضيّقاً في السجن، ذراعين في ذراعين، وسجن فيه عارم، غلام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، وعدّة معه، وأطبق عليهم حتى ماتوا، فسمي السجن، سجن عارم، وفيه حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية وقوماً من بين هاشم، حتى بعث إليهم المختار من الكوفة، جنداً دخلوا مكّة، وكسروا باب السجن، وأخرجوهم، قال كثير عزّة يخاطب عبد الله بن الزبير:

تحدّثُ من لاقيت أنّك عائذٌ بل العائذ المحبوس في سجن عارم

فما ورق الدنيا بباق لأهلها ولا شدّة البلوى بضربة لازم

(أنساب الأشراف 4/ 2/ 27).

● وحبس عبد الله بن الزبير، في سجن عارم، الحسن بن محمد بن الحنفية وأراد قتله، فأعمل الحيلة حتى تخلّص من السجن، وتعسّف الطريق على الجبال، حتى أتى منى، وبها أبوه محمد بن الحنفية (شرح نهج البلاغة 20/ 146).

● وكان للحجّاج بن يوسف الثقفي، سجنان أحدهما واسع الرقعة، ليس فيه سترٌ يستر الناس من الشمس في الصيف، ولا من المطر والبرد في الشتاء. وربما كان المسجون يستتر بيده من الشمس، فيرميه الحرس بالحجارة، وكان أكثر المحبوسين فيه مقرّنين بالسلاسل، وكانوا يسقون الزعاف، ويطعمون الشعر المخلوط بالرماد، وخلف الحجاج فيه، لما هلك، ثمانين ألفا، حبسوا بغير جرم، منهم خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، وكان يحبس النساء والرجال في وضع واحد (مروج الذهب 2/ 128 والعيون والحدائق 3/ 10 ومحاضرات الأدباء 3/ 195).

● وكان للحجّاج سجن ثان يسمّى الديماس، والديماس الحفيرة في باطن الأرض، وكان الديماس من الضيق، بحيث لا يجد المسجون فيه إلا موضع مجلسه، وكان كلّ جماعة من المسجونين يقرنون في سلسلة واحدة، فإذا قاموا، قاموا معاً، وإذا قعدوا قعدوا معاً (الفرج بعد الشدة، لابن أبي الدنيا، مخطوط ص11)، ولا يجد المسجون المقيّد منهم إلا موضع مجلسه، فيه يأكلون، وفيه يتغوّطون، وفيه يصلّون، وقد وصف إبراهيم بن يزيد التيميّ، الرجل الزاهد، هذا الديماس لما حبسه الحجّاج، وأثبت ذلك القاضي التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدّة، ومما يجدر ذكره، أنّ هذا الرجل الزاهد، كانت خاتمة حياته في ديماس الحجّاج هذا، فإن الحجاج منع عنه الطعام، وأرسل عليه الكلاب تنهشه حتى مات (اللباب 1ئم190) ولما مات رمى بجثته في الخندق، ولم يجرؤ أحد أن يدفنه حتى مزّقته الكلاب (البصائر والذخائر م3 ق1 ص304).

الحبس في السرداب

السرداب: فارسية، معناها: الماء البارد (شفاء الغليل 105) وهو حجرة في باطن الأرض، تتخذ تحت مستوى أرض الدار، وقد اتّخذ السرداب في الأصل، ليستكنّ فيه من يريد الاحتماء من وقد الشمس إبان القيظ، فإن كانت الحجرة للعقوبة، تركت من دون كوّة، ولا نافذة، ولا منفذ لها إلا الباب، فساءت تهويتها، وشاعت الظلمة فيها.

أما إذا أريد بها التنعيم في الصيف، فيتخذ للسرداب، كوى لجلب الضوء، ومنافذ لجرّ الهواء تسمىّ: البادكير أو البادهنج، راجع وصف ذلك في حاشية القصة 180 من كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي.

● حبس المنصور، عبد الله بن الحسن، وأقاربه من بني الحسن، في سرداب تحت الأرض، لا يعرفون ليلاً ولا نهاراً، والسرداب عند قنطرة الكوفة، ولم يكن عندهم بئر للماء، ولا

سقاية، فكانوا يبولون ويتغوّطون في موضعهم، وإذا مات منهم ميت، لم يدفن، بل يبلى وهم ينظرون إليه، فاشتدت عليهم رائحة البول والغائط، فكان الورم يبدو في أقدامهم، ثم يرتقي إلى قلوبهم، فيموتون، ويقال: إن أبا جعفر، ردم عليهم السرداب فماتوا. وكان يسمع أنينهم أياماً (النجوم الزاهرة 2/ 4).

● ومات إسماعيل بن الحسن، فترك عندهم، حتى جيف، فصعق أخوه داود، ومات (مرج الذهب 2/ 236) وقيل إنّ بعضهم وجدوا مسمرين في الحيطان (اليعقوبي 2/ 370).

وغضب الأمين على عمّه إبراهيم المهدي، فأمر به فحبس في سرداب في داره، راجع القصة في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي، رقم القصة 185.

ولما اعتقل المعتصم، ابن أخيه العباس بن المأمون، وقتله، لاتهامه إياه بالتآمر عليه، اعتقل أشقاءه، أولاد سندس من المأمون، ودفعهم إلى القائد إيتاخ، فحبسهم في سرداب من داره، حيث ماتوا.

● وكان من أراد المعتصم أو الواثق، قتله، فعند إيتاخ يقتل، وبيده يحبس، منهم محمد بن عبد الملك الزيات، وأولاد المأمون من سندس، وصالح بن عجيف وغيرهم (الطبري 9/ 79 و167).

التعليق منكّساً

أول من مارس هذا اللون من العذاب عبد الله بن علي العباسي، مارسه مع من قبض عليه من بني أميّة، إذ كان يصلبهم منكّسين، ويقطع الأيدي والأرجل، ويسقيهم النورة والصبر، والرماد، والخلّ (شرح نهج البلاغة 7/ 156).

● وفي سنة 573 عذّب الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين زنكي، الخادم كمشتكين، بأن علقه منكساً، ودخن تحت أنفه حتى مات. (النجوم الزاهرة 6/ 81).

● وفي سنة 622 اتهم الملك المعظم، اثنين من الدماشقة، بالتآمر عليه، فصلبهما منكسين على رؤسهما، حتى ماتا (الذيل على الروضتين 144).

● وفي سنة801 توفّي الوزير ابن مكانس، وكان الظاهر برقوق قد صادره، واعتقله وعذبه، وعلقه في السجن منكساً على رأسه، فقال:

وما تعلقت بالسرياق منتكساً   لحرمة أوجبت تعذيب ناسوتي

لكنّي مذ نفثت السحر من أدبي   علقت تعليق هاروت وماروت

(النجوم الزاهرة 12/ 131).

● ولما فتح تيمور لنك دمشق في السنة 803 كان من جملة ما عذب به الدمشقيين أن يعلقوا منكوسين (النجوم الزاهرة 12/ 244 و245).

التعذيب بعصر الخصية

● وكان من جملة ألوان العذاب، الذي مارسه يوسف بن عمر الثقفي، على بلال أبي بردة، أن جعل الوتر في خصيتيه (البيان والتبيين 1/ 220).

● وفي سنة 245 بذل الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك، ألفي ألف دينار في نجاح بن سلمة، فأسلمه المتوكل إليهما، فضرباه بالمقارع مراراً، وعذّباه، وعصرت خصاه، فمات (تجارب الأمم 6/ 554 والطبري 9/ 214 ـ 217).

يقول عبود الشالجي: كان نجاح بن سلمة، على ديوان التوقيع، والتتبع على العمّال، فكان جميع العمّال يتقونه، ويقضون حوائجه، وكان المتوكل ربما نادمه، وكان الحسن بن مخلد على ديوان الضياع، وموسى بن عبد الملك على ديوان الخراج، وكان الحسن وموسى منقطعين إلى الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فكتب نجاح بن سلمة إلى المتوكل رقعة ذكر فيها خيانات الحسن

وموسى، وإنه يستخرج منها أربعين ألف ألف درهم، فأدناه المتوكل، وشاربه تلك العشية، وقال له: بكر إلى غداً حتى أدفعهما إليك، فغدا وقد رتب أصحابه، وقال: يا فلان خذ أنت الحسن، ويا فلان خذ أنت موسى، وبلغ الوزير عبيد الله الخبر، فأمر بأن يحجب نجاح عن المتوكل، وأحضره وقال له يا أبا الفضل، أنا أشير عليك بأمر فيه لك صلاح، وهو أن أصلح بينك وبين الحسن وموسى، وتكتب رقعة تذكر فيها أنك كنت شارباً وأنك تكلمت بأشياء تحتاج على معاودة النظر فيها، وأنا أصلح الأمر عند أمير المؤمنين، ولم يزل يخدعه حتى كتب رقعة بما أمره به، فأدخلها عبيد الله على المتوكل، وقال له: يا أمير المؤمنين قد رجع نجاح عما قال البارحة، وهذه رقعة موسى والحسن يتقبلان نجاح بما كتبا، فتأخذه ما ضمناه به، ثم تعطف عليهما، فتأخذ منهما قريباً مما ضمنا لك، فسّر المتوكل، وطمع فيما قال عبيد الله، وقال له: إدفع نجاح إليهما، فدفعه إليهما، فأخذاه وصار به موسى إلى ديوان الخراج، وأخذ ولده أبو الفرج، وكاتبه إسحاق بن سعد، وعبد الله بن مخلد المعروف بابن البواب وكان منقطعاً إلى نجاح، وأخذ جميع ما لنجاح من صامت، وغيره، وضرب مراراً بالمقارع «في غير موضع الضرب» نحواً من مائتي مقرعة، وغمز، وخنق، ثم عصرت مذاكيره وخصيتاه، فمات.

● وفي السنة 256 قتل الخليفة المهتدي العباسي، بعصر خصيتيه، وتفصيل ذلك، إن النزاع اشتد بين المهتدي وبين الأتراك، وحاول المهتدي أن يتقرب إلى قلوب العامة، فبنى قبة

للمظالم، وجلس فيها للخاص والعام، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وحرّم الشراب، ونهى عن القيان، وأظهر العدل، وكان يخطب بالناس، ويؤمهم في أيام الجمع، فشغب عليه الأتراك فخرج إليهم في السلاح، معلقاً في عنقه مصحفاً، واستنفر العامة، وأباحهم دماء الأتراك، وأموالهم، ونهب منازلهم، فحاربه الأتراك، وانتصروا عليه، فداسو خصيتيه، وصفعوه حتى مات، وأشهدوا على موته أنه سليم، ليس به أثر. لزيادة التفصيل راجع الطبري 9/ 458 و468 و469 ومروج الذهب 2/ 464 وفوات الوفيات 2/ 535 وتاريخ الخلفاء 163 وابن الأثير 7/ 228 ـ 233.

● وذكر صاحب وفيات الأعيان 2/ 61 أن ناصر الدولة الحمداني، قتل عمه سعيد بن حمدان، والد أبي الفراس الحمداني، بأن أمر فعصرت مذاكيره فمات.

يقول عبود الشالجي: كان ذلك في السنة 323، وقد ذكر صاحب تجارب الأمم سبب ذلك، أن أبا العلاء شرع في تضمن الموصل وديار ربيعة، وضمن ذلك سراً، وخلع عليه، مع أنها تحت ضمان ناصر الدولة ابن أخيه، وأصعد أبو العلاء إلى الموصل، وأظهر أنه يريد موافقة ابن أخيه ناصر الدولة على ما عليه من مال الضمان، وعرف ابن أخيه خبر موافقاته، فخرج نحوه مظهراً تلقيه، واعتمد أن يخالفه في الطريق، فلم يلتقيا، ومضى أبو العلاء إلى دار ناصر الدولة، فنزلها، وسأل عن خبره، فقيل له: إنه خرج ليتلقاه، فجلس ينتظره، ولما علم ناصر الدولة بأن عمه قد

حصل في داره، وجه بغلمانه، فدخلوا على عمه، وقيدوه، ثم وجه إليه من قتله (تجارب الأمم 1/ 323 و324).

● وذكر أن خمسة من الخدم، هاجموا الملك معزّ الدين أيبك، ملك مصر، سنة 656 في الحمام، وربطوا محاشمه بوتر، وجذبوه حتى مات. (بدائع الزهور 1/ 91).

● وفي السنة 744 قتلت الأميرة عزّة الملك زوجها الأمير حسن الجوباني بأن عصرت خصيتيه حتى قضى. (تاريخ العراق للعزواي 2/ 45).

● وفي سنة 1010 مات في سجنه بدمشق، الحاج أحمد العجمي، أمين البهار، بالضرب، وعصر مذاكيره. (تراجم الأعيان 1/ 135).

● وفي سنة 1043 قتل إبراهيم باشا، ابن عبد المنان الدفتردار بدمشق وكان من جملة ما عذب به أن عصرت مذاكيره (خلاصة الأثر 1/ 30).

التعذيب بِجب الذَّكر

الجبّ: القطع

والمجبوب: الخصيّ الذي استؤصل ذكره وخصيتاه.

والمرأة الجبّاء: التي لا إليتين لها.

والبعير الأجّب: الذي قطع سنامه.

● وكان لزنباع بن روح الجذامي، غلام اسمه سندر، فوجده يقبّل جارية له، فجبّه، وجدع أنفه، وصلم أذنه، فأتى سندر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل إلى زنباع، وقال له: لا تحملوهم من العمل ما لا يطيقون، وأطعموهم ممّا تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، فإن رضيتم فأمسكوا، وإن كرهتم فبيعوا، ولا تعذّبوا خلق الله، ومن مثّل به، أو أحرق بالنار، فهو حر، وهو مولى الله ورسوله، فأعتق سندر. (خطط المقريزي 2/ 136).

● وأمر الهادي، بتعذيب غلام سنديّ، بأفظع ما يمكن من العذاب، وقتله من بعد ذلك، وأن يطرد من مملكته كلّ سندي،

وسبب ذلك أنّ شريفاً من أولاد المهلّب في المنصورة من بلاد السند، وجد زوجته مع غلامه السنديّ على ريبة، فجّب ذكر الغلام، فتحيّن الغلام الفرصة، وأخذ غلامين ابنين لسيده، وصعد إلى أعلى مكان في داره، وهدّد سيّده بأن يرمي بهما، أو أن يجّب ذكر نفسه، كما جبّه من قبل، ووجدالمهلّبي أن لا محيص، فجّب ذكره أمام الغلام، وعندئذ رمى الغلام بالطفلين، فتقطعا.

السَّـــمْـلُ

السمل، وقد يسمّى: الكحل، وهو إزالة البصر من العين، بآلة حادة، أو بدواء كالكحل، يوضع فيها، وتربط عليه الأجفان.

وكان السمل من نصيب الطبقة العالية، إذ كان مقصوراً على الخلفاء والملوك والوزراء والقواد والدعاة.

● ولم يكن السمل معروفاً في القرن الأول الهجري، وندر أن مارسه أحد في القرن الثاني، إذ لم يمارسه إلا أسد القسري، ضد أحد الدعاة العباسيّن، كما مارسه مروان الحمار، ضد يزيد بن خالد القسري، بأن أحضره أمامه، ومَدَّ أصابعه فاقتلع عينيه بيده، ومارسه المنصور ضدّ شخص شتمه، فأمر به فدقت الأوتاد في عينيه، وضرب محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، فأصاب السوط إحدى عينيه، فسالت. فلما حلّ القرن الثالث أصبح السمل أسلوباً رسمياً من أساليب التعذيب، يمارسه المتغلّبون ضد خصومهم السياسيّن، وأصبح صناعة معروفة، بحيث أنّ الراضي

لما أراد أن يسمل عمّه القاهر، أحضر طبيباً، وسأله «عمن يحسن أن يسمل»، فذكر له رجلاً، فأحضره، وقام بالعمل المطلوب منه.

● ويتّضح لنا من كتاب «البرق اليماني» أن السمل كان في القرن العاشر الهجري، يمارسه القائد المنتصر، في أسراه، إذ كانت خاتمة الأسير، واحدة من اثنين، إما القتل بقطع العنق، وإما السمل، وأنّ سليمان الريس، أحد قوادّ العثمانيين، لما دخل مدينة زبيد باليمن، في السنة 933، على أثر معركة أسر فيها جماعة من الجنود، مع قائدهم ابن حمزة، فكان يأمر بقتل البعض، وبسمل عيون البعض الآخر، إلى أن سمل عيون طائفة كبيرة، أولهم ابن حمزة (البرق اليماني 51 و52).

● وأول من مارس هذا اللون من العذاب، أسد بن عبد الله القسري، عامل خراسان لبني أمية، إذ قبض في سنة 118 على عمّار بن يزيد، الداعية العباسي، الملقب بخداش، فلما مثل بين يديه سأله عن حاله، فأغلظ خداش له القول، فأمر به فقطعت يده، وقلع لسانه، وسُملت عينه، ثم دفعه إلى يحيى بن نعيم عامل آمل، فقتله وصلبه بآمل (الطبري 7/ 109 وابن الأثير 5/ 197).

● ومارس هذا اللون من العذاب من بعده، مروان الحمار، آخر الحكام الأمويين، فقد أدخل عليه يزيد بن خالد القسري، وكان قد حاربه قبل أن يلي الخلافة، فلفّ مروان منديلاً على إصبعه، ثم أدخلها في عين يزيد فقلعها واستخرج الحدقة، ثم أدار يده فاستخرج الحدقة الأخرى (فوات الوفيات 4/ 127).

● ومارس هذا اللون من العذاب، عبد الملك بن قطن الفهري، أمير الأندلس، إذ قبض على زياد بن عمرو اللخمي، وسمل عينيه، وسبب ذلك: أن البربر حصروا كلثوم بن عياض القشيري، بسبته، وكان معه ابن أخيه بلج، وجند من أهل الشام، حتى جاعوا، واستغاثوا بوالي الأندلس عبد الملك، فتقاعس عن نصرتهم، لخوفه على سلطانه منهم، فأغاثهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة، وبلغ ذلك عبد الملك، فأخذ زياد وضربه سبعمائة سوط، وسمل عينيه، ثم ضرب عنقه، وصلبه، وصلب على يساره كلباً، وعبر بلج إلى الأندلس بجيشه، وأسر الملك في السنة 123 فصلبه بقرطبة، وصلب على يمينه خنزيراً، وعلى يساره كلباً (نفح الطيب 3/ 19 ـ 21).

● وكان داود بن علي العباسي، يمثّل بمن يعثر عليه من بني أمية، يسمل العيون ويبقر البطون، ويجدع الأنوف، ويصلم الآذان (شرح نهج البلاغة 7/ 156).

● وجيء ببني الحسن، مغلوبين، إلى الربذة، وأدخلوا على أبي جعفر المنصور، ومعهم العثماني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأمّه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، فأمر بالعثماني فضرب بالسياط، فأخرج كأنه زنجي، قد غيرت السياط لونه، وأصاب سوط منها إحدى عينيه فسالت (مقاتل الطالبيين 220).

● ولما حمل إلى المنصور، رأس محمد بن عبد الله بن الحسن

(النفس الزكية) قال المنصور لمطير بن عبد الله: أما تشهد أنّ محمداً بايعني؟ قال له: أشهد بالله، أنك أخبرتني بأن محمداً خير بني هاشم، وأنك بايعت له، فقال له: يا ابن الزانية الفاعلة، أنا قلت ذلك؟ قال: الزانية ولدتك، قال: يا ابن الزانية الفاعلة، أتدري ما تقول؟ قال: التي تعني خير من أمك، فأمر به، فوتد في عينيه، فما نطق. (المحاسن والمساوئ 2/ 138).

● وفي السنة 802 حاول أحد اليمانيين أن يخرج من مدينة زبيد، وكان الوالي قد منعه من مبارحتها، فاتفق مع جمّال، على أن يخرجه في محارة على ظهر جمله، فلما وصل به إلى باب المدينة، أراد البوابون أن يختبروا ما في المحارة، فضربوا عليها بالحديد، فتوجع الرجل، وأنّ، فلزموا الجمل، وأبركوه، وأخرجوا الرجل، وقدّموه إلى الأمير، فأمر الأمير به وبالجمّال، فسملت عيناهما معاً. (العقود اللؤلؤية 2/ 312).

● وفي السنة 950 هلك الحسن بن محمد الحفصي من الملوك الحفصيّين، وكان قد تسلطن بعد وفاة أبيه في السنة 932، فاستولى جيش السلطان سليم العثماني، بقيادة خير الدين باشا على تونس، فحاربه الحسن، فانكسر، فاستعان بصاحب أسبانيا فأمدّه بأسطول، فانتصر على العثمانيين، وطردهم من تونس، ولكن تونس أصبحت تحت حكم الأسبان، ثم انتفضت القيروان على الحسن، فخرج لإخضاعها، فوثب على الحكم بتونس ولده أحمد بن الحسن، فاستعان الحسن عليه بالأسبان، ولكنّ الظفر كان لأحمد بن

الحسن، فقبض على أبيه، وسمل عينيه، فأعماه، ففرّ منه وهو أعمى إلى القيروان، فهلك فيها، أما أحمد فقد طرده الأتراك من تونس، فرحل إلى صقلية ومات بها. (الاعلام 1/ 107 و108 و2/ 234 و235).



قطع الأطراف

التعذيب بقطع الأطراف، كان متعارفاً منذ ابتداء العهد الأموي، وأول من مارسه معاوية بن أبي سفيان، ضدّ خارجي حاول قتله، إذ إنّ ثلاثة من الخوارج تعاهدوا على قتل الإمام عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص، وأقبل الذي تعهّد بقتل معاوية، واسمه النزّال بن عامر، فقام خلفه في الصلاة، ووجأه في إليته بخنجر كان معه، فأخذ، وأدخل عليه، فقال له: ألم أقتلك يا عدو الله؟ فقال معاوية: كلا يا ابن أخي، وأمر به معاوية، فقطعت يداه ورجلاه، ونزع لسانه، فمات. ثم أمر فاتخذت المقاصير في الجوامع (الأخبار الطوال 215).

● وفي السنة 50 توفي المغيرة بن شعبة، أمير الكوفة لمعاوية، فولاها زياداً، جمع له البصرة والكوفة، وقدم زياد الكوفة، فصعد المنبر، فخطب، فلما فرغ من الخطبة حصبوه وهو على المنبر، فجلس حتى أمسكوا، ثم دعا قوماً من خاصته، وأمرهم بأخذ أبواب المسجد، ثم جلس على كرسي بباب المسجد، فدعاهم

أربعة أربعة، يحلفون بالله، ما منا من حصبك، فمن حلف خلّاه، ومن لم يحلف حبسه ناحية، حتى صار إلى ثلاثين (أو ثمانين) فقطع أيديهم على المكان، ثم اتخذ من بعد ذلك المقصورة (الطبري 5/ 235 و236 وتاريخ الكوفة 43).

● وكان عبد الله بن عمر بن غيلان، عامل البصرة لمعاوية، يخطب على المنبر، فحصبه رجل من بني ضبّة، فأمر به فقطعت يده (الطبري 5/ 299).

● وأمر زياد بن أبيه، عامل معاوية على العراق، بجويرية بن مسهر العبدي، فقطعت يداه ورجلاه، ثم صلبه بالكوفة (تاريخ الكوفة 66 و271).

● ولما أخذ بيهس الخارجي، قطعت يداه ورجلاه، ثم ترك يتمرغ في التراب، فلما أصبح، قال: هل أحد يفرغ عليّ دلوين، فإني احتلمت في هذه الليلة. (البصائر والذخائر 3/ 2/ 51).

● وجيء إلى زياد، برشيد الهجري، من أصحاب الإمام علي، فأمر به فقطعت يداه، ورجلاه، ثم قطع لسانه، ثم صلب خنقاً في عنقه (شرح نهج البلاغة 2/ 294).

● وجيء إلى عبيد الله بن زياد، بابن مكعبر، فقطع يديه ورجليه، وسمل عينيه (أنساب الأشراف 4/ 2/ 82).

● وأخذ عبيد الله بن زياد، في السنة 58 عروة بن أدية، أخا أبي بلال، فقطع يديه ورجليه، وصلبه على باب داره، فقال عروة

لأهله، وهو مصلوب: انظروا إلى هؤلاء الموكلين بي، فأحسنوا إليهم، فإنهم أضيافكم (العقد الفريد 1/ 234).

● وجعل لأحد الناس جعل على أن يلطم سيد بني تميم، فجاء إلى الأحنف، فلطمه، فقال له الأحنف: يا ابن أخي ما دعاك إلى هذا؟ قال: قد جعل لي جعل، على أن ألطم سيد بني تميم، فقال له: ما أنا بسيد تميم، وإنما سيدها حارثة بن قدامة، وكان حديداً، فذهب الرجل، فلطم حارثه، فقطع يده، فبلغ ذلك الأحنف، فقال: أنا قطعتها. (المحاسن والمساوئ 2/ 166).

● وكان مالك بن النسير البدي، قد ضرب الحسين الشهيد في موقعه الطف على رأسه، وعليه برنس، فامتلأ دماً، فألقاه، فجاء مالك فأخذه، فبعث المختار لما ظهر بالكوفة، مالك بن عمرو النهدي، فجاء بمالك، فأمر بنار فأججت في الرحبة، ثم أمر فقطعت يده وألقيت في تلك النار، ثم قطعت رجله فألقيت فيها، وهو ينظر، ولم يزل يفعل ذلك بعضو منه بعد عضو حتى مات (أنساب الأشراف 5/ 239).

● وفي سنة 84 أحضر الحجاج حطيط الزيات الكوفي، وكان عابداً، زاهداً، يصدع بالحق، وقال له: ما تقول في أبي بكر وعمر؟

قال: أقول فيهما خيراً.

فقال له: ما تقول في عثمان؟

قال: ما ولدت في زمانه.

فقال له: يا ابن اللخناء، ولدت في زمن أبي بكر وعمر، ولم تولد في زمن عثمان؟

فقال: إني وجدت الناس اجتمعوا في أبي بكر وعمر، فقلت بقولهم، ووجدتهم اختلفوا في عثمان، فوسعني السكوت.

فقال معد، صاحب عذاب الحجاج، إني أريد أن تدفعه إليّ، فوالله لأسمعنك صياحه.

فسلمه إليه، فجعل يعذّبه ليلته كلّها، وهو ساكت، فلما كان وقت الصبح كسر ساق حطيط، ثم أعاده إلى الحجاج، فعذّبه بأنواع العذاب، وكان يأتي بالمسال فيغرزها في جسمه وهو صابر، ثم لفّه في بارية، وأبقاه حتى مات. (النجوم الزاهرة 1/ 208).

● وطلب الحجاج الثقفي، الهيصم بن جابر المدائني، فهرب الهيصم إلى المدينة، وطوّل شعره، واختضب، ولعب بالحمام، فلم يعرفه بها أحد، وبحث عنه الحجاج، فأعياه، ولم يعرف موضعه، ثم بلغ الوليد بن عبد الملك أنه بالمدينة، فكتب إلى عامله بها عثمان بن حيان بطلبه، ووصف له صفته، فقرأ عثمان الكتاب على الناس، والهيصم جالس، فنظر إليه رجل إلى جنبه، فقبض عليه، وجاء به إلى حيّان، فأقر بأنه الهيصم، فحبسه، وكتب إلى الوليد بوجدانه، وكان عثمان بن حيان يرسل إلى الهيصم في كل ليلة فيسامره، فأضحى معجباً به، وأتاه أمر الوليد أن اقطع يده ورجله، واقتله من بعد ذلك، فقال له عثمانّ أعهد، فقد كتب إليّ أمير المؤمنين في قتلك، فقال: جميعاً أم متفرقاً، قالّ إنا لله وإنا إليه

راجعون، وأوصى ببنية له أن تردّ إلى أهله، وأنفذ فيه أمر الوليد، فمر به عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وقد قطعوا يده ورجله، فقال له: إصبر يا هميس وكان هذا لقبه (العيون والحدائق 3/ 15 و16).

● وأمر هشام بن عبد الملك، بغيلان بن مسلم الدمشقي، رأس المقالة الغيلانية، فقطعت يداه ورجلاه، وصلبه على باب كيسان بدمشق (الطبري 7/ 203).

يقول عبود الشالجي: كان غيلان، رأس المقالة الغيلانية، وكان يقول بالقدر خيره وشره من العبد، وإن الإمامة تصلح في غير قريش، وإن من قام بالكتاب والسنة فهو مستحق لها، ولا تثبت إلا بإجماع الأمة، فأحضره هشام، وقال له: ويحك يا غيلان، قد أكثر الناس فيك، فأخبرنا بأمرك، فإن كان حقاً اتبعناه، وإن كان باطلاً نزعت عنه، قال: نعم، فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلمه، فقال له ميمون: سل، فإن أقوى ما تكونون إذا سألتم، فقال له: أشاء الله أن يعصى؟ فقال له ميمون: أفعصي كارهاً؟ فسكت، فقال له هشام: أجبه، فلم يجبه، فقال هشام: لا أقالني الله إن أقلتك، وأمر به فقطت يداه ورجلاه، وصلبه على باب كيسان بدمشق.

● وفي السنة 127 أسر مروان الجعدي، ثابتاً بن نعيم الجذامي وثلاثة من أولاده، وهم نعيم، وبكر، وعمران، فأمر بهم فقطت أيديهم وأرجلهم، وطرحوا على أبواب جامع دمشق، ثم صلبهم على أبواب دمشق (الطبري 7/ 296 ـ وابن الأثير 5/ 328 ـ 330).

● وفي السنة 145 ولّى المنصور العباسي على المدينة، عبد الله بن الربيع، فقدمها مع جند، وأخذ الجنود ينازعون تجار المدينة فيما يشترون، ولا يؤدون لهم ثمنه، فخرجت طائفة من التجار إلى ابن ربيع، وشكوا ذلك إليه، فنهرهم، وشتمهم، فطمع الجند فيهم، وحدث أن رجلاً من الجند اشترى من جزار لحماً، وأبى أن يعطيه ثمنه، فطعنه الجزّار بشفرته، فقتله، وتنادى سودان المدينة على الجند، فقتلوهم بالعمد في كل ناحية، فهرب ابن الربيع وجنده، وأخرج أهل المدينة ابن أبي سبرة من الحبس، فرقى المنبر وهو في كبله، ثم عاد ابن الربيع إلى المدينة، فقطع أيدي رؤساء السودان، وهم: وثيق، وأبو النار، ويعقل، ومسعر (الطبري 7/ 610 ـ 614).

● وبعث المنصور، في السنة 151 أسد بن المرزبان إلى البصرة، وكلفه النظر في أمر من الأمور فبلغه أنه قصر في تنفيذ أمر، فبعث إليه أبا سويد الخراساني، وكان صديق أسد، فلما وصل إليه، قال له: يا أسد هل أنت سامع مطيع؟ قال مدّ يدك، فمدّ يده، فضربها، فأطنها، ثم أمر فمدّ رجله، ثم يده، ثم رجله، حتى قطع أطرافه الأربعة، ثم قال له: مدّ عنقك، فمدّه، فضرب عنقه. (الطبري 8/ 40).

● وفي السنة 160 خرج بخراسان يوسف بن إبراهيم، المعروف بيوسف البرم، فوجّه إليه المهدي العباسي، يزيد بن مزيد الشيباني، فأسره، وبعث به إلى المهدي، وبعث معه جماعة من

وجوه أصحابه، فلما انتهى بهم إلى النهروان، حمل يوسف على بعير وقد حوّل وجهه إلى ذنب البعير، وأصحابه كلّ على بعير، فأدخلوا الرصافة، وأدخلوا إلى المهدي، فأمر هرثمة بن أعين، فقطع يدي يوسف ورجليه، وضرب عنقه، وأعناق أصحابه، وصلبهم على جسر دجلة الأعلى، مما يلي عسكر المهدي (الطبري 8/ 124 وابن الأثير 6/ 43).

● وفي السنة 193 كان الرشيد بطوس، يعالج سكرات الموت، لما أحضر أخو الثائر رافع بن الليث، فأدخل عليه وهو على سرير مرتفع عن الأرض بقدر عظم الذراع، وعليه فرش بقدر ذلك، فقال له: أما والله يا ابن اللخناء، إني أرجو أن لا يفوتني خامل (يريد رافعاً) ثم دعا بقصّاب، وقال لهّ لا تشحذ مداك، اتركها على حالها، وفصّل هذا الفاسق ابن الفاسق وعجّل، لا يحضرون أجلي وعضوان من أعضائه في جسمه، ففصّله حتى جعله أشلاءً فقال: عدّ أعضاءه، فعدّها، فإذا هي أربعة عشر عضواً (الطبري 8/ 324).

● وقدّمت يوماً لإسحاق بن إبراهيم المصعبي، هريسة، وإذا فيها شعرة فأمر بالطباخ، فقطعت يده. (الديارات 123 و124).

● وكان المعتصم، قويّ العضلات، شديد البطش، وكان يجعل زند الرجل بين إصبعيه، فيكسره (تاريخ الخلفاء 334).

● ولما ثار المازيار على حكم المعتصم، كان الدرنيّ، قائد جيشه في السهل، وكان شجاعاً بطلاً، فلما استولى جيش عبد الله بن طاهر على الجبل، أراد الدرني الانحياز إلى الغيضة، فأسر،

وأحضر أمام محمد بن إبراهيم بن مصعب، فأمر به، فمدّت يداه فقطعت من مرفقيه، ومدّت رجلاه فقطعتا من الركبة، فقعد الدرني على إسته، ولم يتكلم، ولا تغير، فأمر محمد بضرب عنقه (تجارب الأمم 6/ 513 ـ 515 والطبري 9/ 101).

● ولما فتح محمد بن سليمان مصر، أسرف في الشدّة على أهل مصر، من ضرب أعناق وقطع أيدي وأرجل، وتمزيق الظهور بالسياط، والصلب على جذوع النخل ونحو ذلك من أصناف النكال. (النجوم الزاهرة 3/ 139).

الـدَّهـقْ

الدهق: آلة تعذيب، تشتمل على خشبتين، يضيق بهما على ساقي المعذّب، أو على أحد أجزاء بدنه.

وقد عذّب الحجاج بن يوسف الثقفي، آزادمرد، بأن دقّ يده على رجله، ودهقه ودقّ ساقه.

● وحبس الحجاج، يزيد بن المهلب وأخويه المفضّل وعبد الملك، وأخذ يعذّبهم، وكان يزيد يصبر على العذاب، فيغتاظ الحجاج من صبره، فقيل له: إنه رمي بنشابة فثبت نصلها في ساقه، فلا يمسها شيء إلا صاح، فأمر أن يعذب بدق ساقه، فدهقت، فصاح، وكانت أخته هند بنت المهلب عند الحجاج، فلما سمعت صياح يزيد صاحت، فطلقها الحجاج (الطبري 6/ 448).

● وكان من جملة العذاب الذي عذّب به بلال بن أبي بردة، أن دهق حتى دقت ساقه، وجعل الوتر في خصيتيه. (البيان والتبيين 1/ 220).



قطع أجزاء من لحم البدن

ومن ألوان العذاب الذي يدّل على أشد القسوة، قطع أجزاء من لحم البدن، وهذا اللون من العذاب، قليل الممارسة.

● وأول ما بلغنا عنه، أنّ نصرانياً اسمه شمعلة، دخل على أحد الخلفاء الأمويين، فقال له: أسلم يا شمعلة، فأبى، فغضب وأمر فقطعت بضعة من فخذه، وشويت بالنار فأطعمها (الأغاني 11/ 282).

● وفي السنة 850 حاصر جهان شاه بغداد، وفتحها وقبض على الأمير شيخي بك، وقرن مع ابن العرية الجلاّد، وأسلما إلى نساء الأمير يزيد، الذي سبق أن قتله شيخي بك، فسحبنهما على الشوك، وقطعن لحم جسديهما بالسكاكين حتى ماتا (تاريخ العراق للعزّاوي 3/ 133 و135).

● وكان الأمير محمد أغا بن محمد كتخدا أباظة، المتوفى سنة 1209 قد تولّى الحسبة بمصر، وعاقب عقوبات شديدة، منها أنه وزن مرة جانباً من اللحم وجده مع من اشتراه، فوجده ناقصاً،

فأكمل الوزن بقطعة من جسد الجزار (الجبرتي 2/ 171 و172).

● وفي السنة 1232 لما دخل داود باشا بغداد، وتولى إدارتها، أخذ حمادي ابن أبي عقلين، وكان أثيراً عند سعيد باشا، سلف داود باشا في حكم بغداد، فعذبه بتقطيع لحمه حياً، فكان يلتمس أن يعجل بقتله فلا يجاب (تاريخ العراق للعزاوي 6/ 244).

قتل الأسير ووضع رأسه في حجر أقرب الناس إليه

وثمة لون من ألوان العذاب، دلت ممارسته على قسوة بالغة، وهو قتل الأسير، وقطع رأسه ووضعه في حضن زوجه أو أبيه.

● لما استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان، فرّ منه عمرو بن الحمق الخزاعي، وكان من أنصار علي، فأذكى عليه العيون والأرصاد، واعتقل امرأته، وحبسها في سجن من سجون دمشق، ثم أمسك عمرو فقتله، وقطع رأسه، وأمر أحد أعوانه بأن يدخل على المرأة في سجنها وأن يضع رأس زوجها في حجرها (بلاغات النساء 64 والديارات 179 و180).

وسار من بعده بهذه السيرة هشام بن عبد الملك، إذ أمر برأس الإمام زيد بن علي بن الحسين، فوضع في حجر والدته، ريطة بنت عبد الله بن محمد بن الحنفية.

● وقابل عامر بن إسماعيل، قائد الجيش العباسي، صنع هشام بأن أمر أن يوضع رأس مروان الحمار،آخر الأمويين في حجر ابنته (بلاغات النساء 145).

● ولما قتل المنصور إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، قتيل باخمرى، بعث برأسه إلى أبيه عبد الله بن الحسن، وهو مسجون عنده، فلما وضع الرأس بين يديه، قال: أهلاً وسهلاً، يا أبا القاسم، والله لقد كنت من الذين يوفون بعهد الله إذا عاهدوا، ولا ينقضون الميثاق، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، ثم تمثّل:

فتى كان يحميه من الذلّ سيفه ويكفيه سواءات الأمور اجتنابها

(مروج الذهب 2/ 237 وزهر الآداب 1/ 76).

● ولما قتل المستعين، أمر المعتز برأسه، فوضع بين يدي جاريته التي كان يتحظاها، فأخذت تصرخ: يا قوم أخذتموني غصباً، ثم تجيئوني برأس مولاي، فتضعونه بين يديّ (الديارات 170).

● ولما أصدر المقتدر أمره إلى نازوك، بقتل الوزير ابن الفرات، وولده المحسن، جاء نازوك إلى الحجرة التي كان ابن الفرات معتقلاً فيها، وجلس، وبعث عجيباً خادمه، ومعه جماعة من السودان، فضرب عنق المحسن ابنه، وجاءوا برأسه إلى أبيه، فوضعوه بين يديه، فارتاع لذلك ارتياعاً شديداً ثم عرض هو على السيف فضربت عنقه (الوزراء للصابي 71).

● وفي السنة 321 اعتقل القاهر كلاً من القائد علي بن يلبق، وأبيه القائد يلبق، والقائد مؤنس المظفر، ودخل القاهر إلى موضع اعتقالهم، فذبح علي بن يلبق بحضرته، وأخذ الرأس إلى أبيه، فوضع بين يديه، فلما رآه جزع، وبكى بكاءً عظيماً، ثم ذبح يلبق،

وأخذ الرأسين إلى مؤنس، ثم أمر القاهر، فجر برجل مؤنس إلى البالوعة، وذبح كما تذبح الشاة، والقاهر يراه (تجارب الأمم 1/ 267 و268).

● وفي السنة 534 قتل الحافظ الفاطمي، وزيره رضوان، وبعث برأسه إلى زوجته، وكانت في حبسه فوضع الرأس في حجرها، فنظرت المرأة إلى الرأس، وقالت: هكذا يكون الرجال (ابن الأثير 11(49).

● وأسر الأمير قماج، صاحب بلخ، الأمير زنكي، صاحب طخارستان، وولده فقتل الولد، وجعل يطعم أباه لحمه، ثم قتل الأب أيضاً (ابن الأثير 11/ 179).

● وفي السنة 818 عصى بعض النواب، على الملك المؤيد شيخ، فخرد إليهم بنفسه، ولما قبض على نائب حلب، إينال الصصلاني، قتله على صدر أبيه، ثم قتل الأب بعد ذلك (بدائع الزهور 2/ 5).



القتـل

القتل: بفتح القاف: الإماتة، وإزهاق الروح.

والقتل: في جميع الشرائع من أعظم الجرائم، والقاتل في شريعة الإسلام، مخلد في جهنم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا﴾ [النساء: 93]، وقال: و﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 93].

● وقد أورد الثعالبي في لطائف المعارف (1: 141): إن أربعة في الإسلام قتل كل واحد منهم أكثر من ألف ألف رجل، وهم الحجاج بن يوسف الثقفي، وأبو مسلم الخراساني، وبابك الخرّمي، والبرقعيّ، وأحسبه يريد بالبرقعي المقنع الخراساني، الثائر سنة 159 بخراسان.

● وإذا كان هؤلاء، قتل كلّ واحد منهم ـ طول حياته ـ ألف ألف رجل، أي مليون شخص، فإن هولاكو ـ على ما يقول

الذهبي، قد قتل في السنة 656، في موقعه واحدة، عند احتلاله بغداد أكثر من ألف ألف رجل (فوات الوفيات 2/ 233).

وقد كانت الدماء التي أراقها يزيد بن معاوية، في وقعة الطفّ بكربلاء، وفي وقعة الحرّة بالمدينة، ممّا كرّه الناس في آل أبي سفيان، كما إنّ ما أراقه الحجاج من الدماء، كان السبب الأقوى في زوال ملك بني مروان (السيادة العربية لفان فلوتن 44) إذ تألب عليهم الناس في كل مكان، حتى إذا باد ملكهم، عاد عليهم العباسيون بالسيف، قتلاً واستئصالاً، فلم يسلم منهم حتى الصبيان بل لم يسلم منهم حتى الموتى في قبورهم، حيث نبشت قبور آل مروان، وأحرقت عظامهم.

القتل بالسيف

كان القتل بالسيف أول الأمر، مقصوراً على قطع العنق بالسيف، ثم ابتكروا التوسيط، وهو قطع الوسط بالسيف، ثم زاد فيه جلادو السلطان محمد بن تغلق، سلطان الهند (725 ـ 752) فابتكروا قطع اليدين حمائل، ويعني ذلك أن يسري السيف في البدن، على الموضع الذي تعلق عليه حمالة السيف، فيقطع العنق، والكتف وفيه الذراع، وجزءاً من الصدر، كما ابتكروا قطع البدن إلى ثلاث قطع، الرأس، والصدر مع الذراعين، والجذع مع الساق.

● وفي السنة 37 قتل قوم من خوارج البصرة عبد الله بن خباب بن الأرت، لاقوه يسرق حماراً، وكانت امرأته معه، فسألوه عن الخلفاء الأربعة الراشدين، فأثنى عليهم، فأمسكوا به، وأضجعوه، وذبحوه، ثم أخذوا امرأته وهي حبلى فبقروا بطنها (الطبري 5/ 81 و82).

● وفي السنة 38 قتل محمد بن أبي بكر الصديق، عامل البصرة على مصر للإمام عليّ، وهو ابن 28 سنة، قتله معاوية بن حديج، من أصحاب معاوية بن أبي سفيان، ووضعه في جيفة حمار، ثم أحرقه، فجزعت عليه أخته أمّ المؤمنين عائشة، جزعاً شديداً، وأخذت عياله إليها، ولم تأكل منذ الوقت شواءً، حتى ماتت. (ابن الأثير 3/ 357).

● وأول من سنّ قتل الأطفال والنساء، في الإسلام، معاوية بن أبي سفيان، فإنه بعث بسر بن أرطأة، وبعث معه جيشاً، وأمر أن يسير في البلاد، فيقتل كلّ من وجده من شيعة علي بن أبي طالب وأصحابه، ولا يكفّوا أيديهم عن النساء والصبيان، فاجتاح المدينة، ومكة والسراة، واليمن قتلاً وهدماً، ووجد ابنين صبيين لعبيد الله بن العباس في اليمن، فأخذهما، وذبحهما بيده، بمدية كانت معه، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية (الأغاني 16/ 266).

يقول الأستاذ عبود الشالجي: لما أخذ بسر الصبيين ليذبحهما، قام أمامه رجل من بني كنانة، فحامى عنهما، فقال له بسر: ثكلتك أمّك، لم عرّضت نفسك للقتل، فقال: أُقتل دون جاري، فقتله بسر، ثم قدّم الغلامين فذبحهما فخرج نسوة من بين كنانة، فقالت إحداهن لبسر: هذه الرجال تقتل، فما بال الولدان؟ والله ما كانوا يقتلون في جاهلية ولا إسلام، والله إنّ سطاناً لا يشتدّ إلاّ بقتل الرضيع الضعيف، والشيخ الكبير، ورفع الرحمة، وقطع الأرحام لسلطان سوء، فقال بسر: والله لهممت أن أضع فيكن السيف،

قالت: والله إنه لأحب إليّ إن فعلت، ثم إنّ بسراً قتل مائة شيخ من أبناء فارس باليمن، لأنّ ابني عبيد الله بن العباس، كانا مستترين في بيت امرأة من أبنائهم. (شرح نهد البلاغة 3/ 14 و16).

● وخاطر رجل أن يقوم إلى زياد بن أبيه، وهو يخطب فيقول له: أيها الأمير من أبوك؟، فقال له زياد: هذا يخبرك، وأشار إلى صاحب الشرطة، فقدمه فضرب عنقه. (العقد الفريد 1/ 54).

● وفي سنة 41 قتل المغيرة بن شعبة، عامل معاوية على الكوفة، معين بن عبد الله المحاربي، أحضره، وسأله: أتشهد أنّ معاوية خليفة، وأنه أمير المؤمنين، فقال: أشهد أن الله عزّ وجلّ حقّ، وأن الساعة حق آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فأمر به فقُتل. (الاعلام 8/ 194).

● وفي السنة 41 قتل معاوية بن أبي سفيان، حجر بن عديّ، الصحابي، الناسك الزاهد، مع ستة من أصحابه، وهم شريك بن شداد الحضرمي، وصيفي ابن فسيل، وقبيصة بن ضبيعة، وكدام بن حيان، ومحرز بن شهاب وعبد الرحمن ابن حسان، وكانت التهمة التي استوجبوا بها القتل، أنهم من شيعة الإمام علي، وأنهم أبوا أن يتبرأوا منه.

● وفي السنة 62 لما انتهت معركة الحرة، التي استباح فيها جيش يزيد بن معاوية، مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، قتلاً ونهباً وسلباً وسبياً، وانتهاك حرمات، جلس قائد الجيش مسلم بن عقبة، لأهل المدينة، وطلب منهم أن يبايعوه على أنهم عبيد قنّ

ليزيد بن معاوية، إن شاء استرق، وإن شاء عفا، وجاء يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود، ومحمد بن أبي الجهم العدوي، فقالا له: نبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فقدمهما فضرب عنقهما، فقال له مروان بن الحكم: سبحان الله، أتقتل رجلين أتيا ليؤمنا؟ فنخس خاصرته بالقضيب، وقال: وأنت ـ والله ـ لو قلت مقالتهما ما رأيت السماء إلا برقة.

● وجاء معقل بن سنان، وكان صديقاً لمسلم بن عقبة من قبل، فقال له مسلم: أيّ الشراب أحبّ إليك؟ قالّ العسل، قال: أسقوه، فشرب حتى أرتوى، ثم قال له: والله لا تشرب بعده شراباً إلا الحميم في نار جهنم، وقدّمه فضرب عنقه. (الطبري 5/ 491 ـ 495).

● وفي السنة 66 كان على الكوفة إبراهيم بن مطيع، يليها لعبد الله بن الزبير، وعلى شرطته إياس بن مضارب، وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي يدبر للاستيلاء على الكوفة، وقد بايعه إبراهيم بن الأشتر، ومرّ إبراهيم بعد المغرب، بإياس بن مضارب، ومعه شرطة، فأراد إياس أن يعتقل إبراهيم، فقال له إبراهيم: لا أبا لك، خلّ سبيلنا، فأبى وكان مع إياس رجل يحمل رمحاً، فأخذ إبراهيم منه الرمح، وطعن به إياس في ثغرة نحره، فصرعه، وقال لرجل من أصحابه: إنزل إليه فاحتز رأسه، فنزل إليه فاحتز رأسه وتفرق أصحابه (الطبري 6/ 19 و20).

● وفي السنة 66 اشتبك المختار بن أبي عبيد الثقفي، وإبراهيم

بن مطيع والي الكوفة لابن الزبير، في معركة انتهت بظفر المختار، وأحضر إليه خمسمائة أسير، فأمر المختار بأن يعرضوا عليه، وأن يدلوا على من حضر منهم مقتل الحسين، فعرضوا عليه، فقدّم منهم مائتين وثمانية وأربعين، ممن شهد مقتل الحسين، فضرب أعناقهم وأمر المختار فنودي في الكوفة، كل من أغلق بابه آمن، إلا رجلاً أشرك في دم آل محمد (الطبري 6/ 50 ـ 52).

● وفي السنة 75 قتل الحجاج، عمير بن ضابي البرجمي، جاء يستأذن منه في التخلف عن البعث لشيخوخته فقتله. (الاعلام 5/ 265).

● ووافى الحجاج بن يوسف الثقفي البصرة، فأمر الناس بالخروج لحرب الخوارج، فجيء إليه بشيخ أعور، يضع على عينه العوراء صوفة، فكان يلقب ذا الكرسفة، فقالّ أصلح الله الأمير، إنّ بي فتقاً، وقد عذرني بشر بن مروان، وقد رددت العطاء، فقال له الحجاج: إنك عندي لصادق، ثم أمر به فضربت عنقه، وجيء إليه بآخر، فقال: أنشدك الله أيّها الأمير في دمي، فوالله ما قبضت ديواناً قط، ولا شهدت عسكراً قط، وأنا حائك أخذت من تحت الجفّة، فقال: اضربوا عنقه فقتل. (شرح نهج البلاغة 4/ 183 و184).

● وفي السنة 83 بعد انتهاء معركة دير الجماجم، التي انتصر الحجاج فيها على عبد الرحمن بن الأشعث، جلس الحجاج يبايع الناس من أصحاب ابن الأشعث، وكان لا يبايعه أحد، إلا سأله: أتشهد أنك كفرت بخروجك عليّ، فإذا قال نعم بايعه، وإلاّ قتله، فجاء إليه رجلّ من خثعم، كان معتزلاً الناس جميعاً من وراء

الفرات، فسأله عن حاله، فقال: ما زلت معتزلاً وراء هذه النطفة، فقال: أتشهد أنك كافر؟ قال: بئس الرجل أنا إن كنت عبدت الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر، وقال: إذن أقتلك قال: وإن قتلتني فوالله ما بقي من عمري إلاّ ضمء حمار، فقال: اضربوا عنقه، فضربت عنقه. (الطبري 6/ 365).

● وفي السنة 83 في يوم مسكن، قتل الحجاج من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث، أربعة آلاف رجل، بعد انتهاء المعركة، سوى من قتل في المعركة، وكان ممن قتل من الأشراف، مع ابن الاشعث، عبد الله بن شداد الهاد، وبسطام ابن مصقلة بن هبيرة، وعمر بن ضبيعة الرقاشي، وبشر بن المنذر بن الجارود، والحكم بن مخرمة، وبكير بن ربيعة الضبّي، وأحضرت رؤوسهم إلى الحجاج على ترس، فنظر إليهم ثم قال: ضع هذا الترس بين يدي مسمع بن مالك بن مسمع، فوضع بين يديه فبكى، فقال له الحجاج: ما أبكاك، أحزناً عليهم؟ قال؟ بل جزعاً لهم من النار (الطبري 6/ 382 و383).

● وفي السنة 83 أحضر الحجاج ابن القريّة، أيوب بن زيد الهلالي، أحد بلغاء الدهر، وكان قد لحق بابن الأشعث، فاعتذر إليه ابن القريّة، فقال له الحجاج: كلا والله، لأرينك ثم قال: قدّمه يا حرسي، فاضرب عنقه، فضرب عنقه (الطبري 6/ 385 و386).

● وفي السنة 83 جيء إلى الحجاج، بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر، صاحب شرطة عبد الرحمن بن الأشعث، فقال له: يا

عبد المرأة، تقوم بالعمود على رأس ابن الحائك (يريد ابن الأشعث) فقال له: أصلح الله الأمير، كانت فتنة شملت البّر والفاجر، فدخلنا فيها، وقد أمكنك الله منا، فإن عفوت فبحلمك وفضلك، وإن عاقبت عاقبت ظلمة مذنبين، فقال الحجاج، أمّا قولك إنها شملت البّر والفاجر، فكذبت ولكنها شملت الفجّار، وعوفي منها الأبرار، وأما اعترافك بذنبك فعسى أن ينفعك، فرجا الناس له العافية، ثم نظر إليه وقد نحّي عنه، فقال: اضربوا عنقه، فضربت عنقه (الطبري 6/ 374).

● وفي السنة 132 قام العباسيون بمذبحة عامة للأمويين، فأيادوا منهم خلقاً، وتولى كبر ذلك عبد الله بن علي، عمّ السفاح، فإنه قتلهم قتلاً ذريعاً في حران، وفي دمشق والبلقاء، وقتل على نهر أبي فطرس بضعاً وثمانين رجلاً، فيهم الغمر بن يزيد بن عبد الملك وبعث قسماً ممن قبض عليهم من بني أمية إلى أبي العباس السفاح، فقتلهم وصلبهم بالحيرة. (معجم البلدان 4/ 336).

● وفي السنة 134 خلع بسام بن إبراهيم، فوجه إليه السفاح، القائد خازم ابن خزيمة، فانهزم بسام واستبيح عسكره، فاتبعه خازم ومر في طريقه بذات المطامير، وبها أخوال السفاح من بني عبد المدان، فمر بهم في مجلسهم، فلم يسلم عليهم، فلما جاز شتموه فعاد وقتلهم وانتهب أموالهم، وبلغ اليمانيين ما صنع خازم، فشكوه إلى أبي العباس السفاح، فهم بقتل خازم، فكلمه بعض حاشيته، وقالوا: إن صممت على قتله فأبعثه في البعوث المخوفة، فإن ظفر

كان ظفره لك، وإن قتل فهو الذي أردت، فبعثه مع سبعمائة إلى الخوارج بعمان، فأوقع بهم، وقتل من أصحاب خازم عدد كبير، وكان النصر من نصيبه، فقتل منهم عشرة آلاف، بعث برؤوسهم إلى البصرة فحملت إلى السفاح (الطبري 7/ 461 ـ 473).

● وفي السنة 137 قتل المنصور، أبا مسلم الخراساني، وقد كانت له اليد الطولى في بناء الدولة للعباسيين، ثم بدرت منه بوادر، غرست الشكوك في قلب المنصور، فدبر له من يفتك به في مجلسه، ولما دخل عليه، أخذ في تعداد ما غاب عليه من تصرفاته ثم صفق بيديه، وكانت هذه الإشارة، إيذاناً بالفتك به، فخرجوا ووضعوا عليه سيوفهم فقتلوه. (ابن الأثير 5/ 468 ـ 478).

● وفي السنة 145 لما خرج محمد بن عبد الله (النفس الذكية) على المنصور، واعتقل أمير المدينة رياح بن عثمان المرّي، عمد صاحب شرطة محمد، واسمه إبراهيم بن خضير إلى رياح، فذبحه ولم يجهز عليه، وتركه يضطرب حتى مات. (العيون والحدائق 3/ 244).

● وفي السنة 158 بعد وفاة المنصور العباسي، فتح ولده المهدي باباً أفضى إلى أزج كبير، فيه جماعة من قتلى الطالبيين، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال، وشباب ومشايخ عدّة كبيرة، فارتاع المهدي وأمر فحفرت لهم حفيرة، فدفنوا فيها وعمل عليهم دكان (دكة) (الطبري 8/ 105).

● وروى أبو العتاهية، أن المهدي حبسه في سجن الجرائم، فوجد في السجن الرجل المسّمى حاضراً داعية عيسى بن زيد

العلوي، وإنّ المهدي أحضرهما أمامه، وسأل حاضراً عن عيسى بن زيد وأراد أن يدله على موضع استتاره، فقال له: ما يدريني أين عيسى بن زيد، طلبته وأخفته، فهرب منك في البلاد، وأخذتني فحبستني، فمن أين أقف على موضع هارب منك، وأنا محبوس؟ فقال له: إصنع ما بدالك، أنا أدلّك على ابن رسول الله لتقتله، وألقى الله ورسوله يطالبانني بدمه؟ والله لو كان بين جلدي وثوبي ما كشفت عنه، فأمر به المهدي فضربت عنقه، راجع التفصيل في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي في القصة رقم 173 ج2 ص116 ـ 119.

● وكان موسى الهادي، لما استخلف، يريد من هارون أن يخلع نفسه من ولاية العهد، لتكون لولده جعفر بن موسى، وأيده في ذلك بعض القواد، وحدث يوماً أن كان هارون وابن أخيه جعفر بن موسى راكبين، فبلغا قنطرة من قناطر عيساباذ، فالتفت القائد أبو عصمة، وكان مرافقاً لجعفر وقال لهارون: مكانك، حتى يجوز وليّ العهد، فقال هارون السمع والطاعة للأمير، ووقف حتى جاز جعفر، فلما مات موسى، كان هارون بعيساباذ، فلما دعي ليقدم إلى بغداد أمر بأبي عصمة فقطعت عنقه، وشدّ جمته في رأس قناة، وكانت في مقدمة موكبه الذي دخل به بغداد (الطبري 8/ 232).

● وفي السنة 187 قتل الرشيد، جعفر البرمكي، أرسل مسروراً الخادم ليلاً، وأمره بقتله فسأله إمهاله لكي يوصي فأمهله، فتوالت رسل الرشيد على مسرور، تستحثه، فعاد مسرور لمراجعته فقال له:

يا ماص بظر أمّه ائتني برأسه، قال مسرور: فعدت، فطلب مني جعفر أن أكرر مراجعته، فعدت إليه، فحذفني بعمود في يده، وحلف أنه إن لم يأته برأسه ليقتلنه فعاد إليه، وقطع رأسه وأحضره إلى الرشيد، فأمر أن يقطع بدنه إلى قطعتين، تنصب كلّ قطعة على جسر، وأن ينصب رأسه على جسر، وحبس أباه وإخوته. (ابن الأثير 6/ 175 ـ 179).

● وفي السنة 187 قتل عثمان بن إبراهيم أباه إبراهيم بن عثمان بن تهيك، وكان إبراهيم من رجال دولة الرشيد، وكان من خلصاء جعفر البرمكي، فلما قتل الرشيد جعفراً جاء عثمان فأوصل إلى الرشيد أن أباه يبكي جعفراً، ويتوعد بقتل قاتله، واستشهد بخادم لأبيه اسمه نوال، فأيد ذلك، وأراد الرشيد أن يمتحن إبراهيم فدعاه وتعشى معه، وشرب فلما انتشى إبراهيم قال له الرشيد: إبراهيم إني ندمت على قتل جعفر بن يحيى ندامة ما أحسن أن أصفها، فما وجدت طعم النوم مذ فارقته، فلما سمع منه إبراهيم ذلك، أسبل عبرته وقال: رحم الله أبا الفضل، والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله، وأين يوجد في الدنيا مثله؟ فصاح به الرشيد: قم عليك لعنة الله، يا ابن اللخناء، فقام ما يعقل ما يطأ، فانصرف إلى أمه فقال: يا أمّ، ذهبت والله نفسي قالت: كلاّ إن شاء الله، وما ذاك يا بني؟ قال: الرشيد امتحنني بمحنة، لو كان لي ألف نفس، ما خرجت بواحدة منها وبعد ليال قلائل، دخل عليه ابنه، فضربه بسيفه حتى مات (الطبري 8/ 310 ـ 312).

● وفي السنة 198 حصلت وقعة الربض بقرطبة، حيث كره

القرطبيون الحكم، لتشاغله باللهو والصيد والشرب، ثم قتل جماعة من أعيانهم، فصاروا يسبونه، فعمد إلى عشرة من رؤساء من شتمه فقتلهم، وصلبهم فهاج أهل الربض، وحصروه في قصره، فحاربهم الحكم ومعه قسم من جنده، فانهزم أهل الربض، وقتل منهم كثيراً، وأسر منهم جماعة وانتقى من الأسرى ثلثمائة من وجوههم، فقتلهم وصلبهم منكسين (ابن الأثير 6/ 299 و300).

● وفي السنة 254 اتفق المعتز وجماعة من القواد الأتراك يرأسهم بايكبال، على الفتك ببغا الشرابي، فتحرز منهم وعسكر مع جماعته في تل عكبرا، ثم بداله فعاد إلى سامراء ليلاً في زورق فاعتقله وليد المغربي صاحب الجسر وجاء فأبلغ المعتز، فأمر بقتله وقال له: ويلك جئتني برأسه، فرجع الوليد وقال للموكلين به: تنحوا حتى أبلغه رسالة، فلما تنحوا ضربه بسيفه على جبهته ورأسه، ثم تناهى على يديه فقطعهما، ثم ضربه حتى صرعه وذبحه، حمل رأسه في بركة قبائه، وأتى به المعتز، فوهب له عشرة آلاف دينار وخلع عليه، ونصب رأسه بسامراء، ثم ببغداد، ووثب المغاربة على جثته فأحرقوها بالنار (الطبري 9/ 379 و380).

● وفي السنة 256 كان صالح بن وصيف القائد التركي المسيطر على جميع أموال الدولة، بعد أن خلع المعتز وقتله، واستخلف المهتدي وقتل جماعة من الكتاب، وخشي بقية القواد سطوته، فكاتبوا موسى بن بغا، فلما حضر موسى بجيشه إلى بغداد، استتر صالح ثم عثر عليه صبي، فأخبر عنه فقصده خمسة من أصحاب

السلطان، وأخرجوه حافياً مكشوف الرأس، وعليه قميص ومبطنة ملحم وسراويل، فحمل على برذون، والعامة تعدو خلفه حتى انتهوا به إلى دار موسى بن بغا، ثم أخرجوا ليذهبوا به إلى الجوسق، فقتلوه في الطريق واحتزوا رأسه، وحمل على قناة وطيف به ونودي عليه: هذا جزاء من قتل مولاه، إشارة إلى قتله المعتز، ونصب باب العامة ساعة ثم نحي، وفعل به مثل ذلك ثلاثة أيام تتابعاً (الطبري 9/ 440 ـ 454).

● وفي السنة 287 خرج القائد عباس بن عمرو الغنوي من البصرة، على رأس جيش يقصد أبا سعيد الجنابي القرمطي، فلما التقى الجيشان، اشتبكا في معركة ضارية، فانكسر جيش العباس وقتل منهم كثير، وأسر العباس وأسر معه سبعمائة من أصحابه، فلما كان من غد يوم الوقعة، أحضر الجنابي الأسرى، وقتلهم جميعاً، ثم أمر بحطب فطرح عليهم وأحرقهم، وأطلق قائدهم العباس وحمله رسالة إلى المتعضد (الطبري 10/ 77 و78).

● وفي السنة 292 بعث المكتفي إلى مصر جيشاً بقيادة محمد سليمان، لاستئصال بني طولون، فاستولى على دمشق، ثم قصد مصر واستولى عليها، وذبح أمراء بني طولون، وكانوا عشرين إنساناً، هم وقوادهم، ذبحوا بين يديه كما تذبح الشياه، وأشخص من أبقى عليه منهم إلى بغداد (خطط الشام 1/ 207).

● لما حوكم الحلاج، في مجلس يرأسه الوزير حامد بن العباس، وكان متعصباً عليه، أصدر الفقهاء حكماً بقتله، فامتنع

المقتدر عن تنفيذ الحكم، وألح حامد، فكتب المقتدر بأن يسلم الحلاج إلى صاحب الشرطة، وأن يضربه ألف سوط، فإن تلف تحت الضرب، وإلا ضربت عنقه، فأخذه صاحب الشرطة ليلاً، بين جماعة من الساسة ليخفى أمره، فإنه كان يخاف أن ينتزع من يده، وأخرج في الصباح إلى رحبة مجلس صاحب الشرطة، وهو في الجانب الغربي من بغداد، في رأس الجسر، وحزّ رأسه وأحرقت جثته، فلما صارت رماداً ألقيت في دجلة. راجع تفصيل محاكمة الحلاج في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي، رقم القصة 6/ 51 ج6 ص79 ـ 92 حيث يتضح لمن يطالعها، أنّ الحلاج لم يرتكب ذنباً يستوجب العقوبة فضلاً عن القتل.

● وفي السنة 312 سلّم المحسن بن الفرات إلى أحد أتباعه، جماعة من العمال والكتاب والتجار، فيهم النعمان بن عبد الله، وعبد الوهاب بن ما شاء الله، ومؤنس خادم حامد، فأظهر أنه يطالبهم بما بقي عليهم من مبالغ المصادرة، فلما حصلوا في يده ذبحهم ذبح الغنم. (تجارب الأمم 1/ 123).

● وفي السنة 316 كان أسفار بن شيرويه الديلمي، قد ملك الريّ وطبرستان وجرجان وقزوين وزنجان وأبهر وقم والكرج، وعظمت جيوشه، فطغى وتجبر وقرّر أن يجعل لنفسه تاجاً، وأن ينصب لنفسه بالريّ سريراً من الذهب، وبطش بأهل قزوين وأخذ أموالهم، وعذبهم وقتل كثيراً منهم ،عسفهم عسفاً شديداً، حتى إنه سمع المؤذن فأمر به فألقي من أعلى المنارة إلى الأرض، فاستغاث

الناس من شره وظلمه، وخرج أهل قزوين بأجمعهم إلى الصحراء، رجالاً ونساءً وولداناً، يتضرعون إلى الله ويدعون عليه، ويسألون الله كشف ما بهم فبلغه ذلك، فضحك منهم وشتمهم، وكان قد بعث أحد قواده مرداويج إلى سلار صاحب شميران الطرم، يدعوه إلى طاعته، فاتفق مرداويج مع سلار، على محاربة أسفار، وتخليص الناس مما يلاقون من الجهد والبلاء من حكمه، وكتب مردوايج إلى جماعة من القواد الذين يثق بهم من جماعة أسفار، يعرفهم ما اتفق عليه هو وسلار، فأجابوه وكانوا قد سئموا حكم أسفار لظلمه وجوره، حتى إنّ مطرف بن محمد وزير أسفار، وافقهم على التخلص منه، فلما قصده مرداويج وسلار، ثار به جنده، فهرب منهم في جماعة، وركب المفازة يريد قلعة الموت، حيث أمواله وذخائره، وبلغ مرداويج خبره فخرج في أثره، وقدم بعض قواده بين يديه، فلحقه ذلك القائد وقد نزل يستريح، فسلم عليه بالإمرة، فقال له أسفار: لعل خيري قد اتصل بكم، وأرسلوك في طلبي، قال: نعم، فبكى أصحابه فأنكر عليهم أسفار ذلك، وقال لهم: بمثل هذه القلوب تتجندون؟ أما علمتم أنّ الولايات مقرون بها البليات، ثم أقبل على القائد وهو يضحك، وسأله عن قواده الذين أسلموه وخذلوه، فأخبره بأن مرداويج قتلهم، فتهلل وجهه وقال: كانت حياة هؤلاء غصة في حلقي، وقد طابت نفسي الآن، فحمله القائد إلى مرداويج، فلما رآه نزل إليه وذبحه (ابن الأثير 8/ 193 ـ 195).

● ولما عزل المقتدر في السنة 317 ونصب أخوه القاهر خليفة،

حضر قسم من الجند بعد يومين من بيعة القاهر، يطالبون بمال البيعة، واقتربوا من مجلس القاهر، فخرج إليهم نازوك، وكانت إليه الشرطة والحجابة، فشهروا عليه السلاح، فولى منهم، فعدوا خلفه وقتلوه وقتلوا غلامه عجيبّاً، وصاحوا: مقتدر يا منصور، وصلبوا نازوك وعجيباً على خشب الستارة التي على شاطئ دجلة، وأعادوا المقتدر إلى الخلافة (تجارب الأمم 1/ 195 و196).

● وفي السنة 321 احتال القاهر على القواد مؤنس ويلبق وولده عليّ فاعتقلهم، ثم دخل على عليّ بن يلبق، وأمر به فذبح أمامه واحتز رأسه، فوضعوه في طشت، ومضى القاهر والطشت يحمل بين يديه، حتى دخل على يلبق، فوضع الطشت بين يديه، وفيه رأس ولده، فلما رآه بكى، فأمر به القاهر فذبح أيضاً، وجعل رأسه في الطشت، وحمل بين يدي القاهر، ومضى حتى دخل على مؤنس، فوضع الطشت بين يديه، فلما رأى الرأسين، استرجع وتشهد، فقال القاهر: جروا برجل الكلب الملعون، فجروه وذبحوه، ووضعوا رأسه في الطشت، وطيف بالرؤوس في بغداد (ابن الأثير 8/ 260 و261).

● وفي السنة 332 قتل أبو عبد الله البريدي، أخاه أبا يوسف البريدي وكان أبو عبد الله عظيم البذل للمال، بخلاف أبي يوسف فإنه كان جماعاً للمال، مقتصداً في الصرف، وكان أبو عبد الله كلما احتاج إلى المال، وطلب من أبي يوسف أن يقرضه، خاشنه أبو يوسف وعيره بالتبذير، واحتاج أبو عبد الله مرة إلى مال، فبعث إليه

على سبيل الرهن، جوهراً كان بحكم قد أعطاه لسارة ابنة أبي عبد الله البريدي لما تزوجها، فأحضره أبو يوسف الجوهرية، وأراهم الجوهر لتقدير ثمنه، فلما أثنوا على الجوهر، خاشنهم أبو يوسف وقال لهم إنه لا يساوى أكثر من خمسين ألف درهم، وبعث إلى أخيه خمسين ألف درهم، وحفظ الجوهر في حوزته، فدمعت عينا أبي عبد الله، وعدد ما فعله مع أخيه أبي يوسف من الإحسان، فلما كان من الغد، أقام غلمانه في طريق مسقوف بين داره والشط، وأقبل أبو يوسف من الشط، فدخل في ذلك الطريق، فثاروا به، فقتلوه وهو يصيح: يا أخي، يا أخي، قتلوني، وأخوه يسمعه، ويقول: إلى لعنة الله، حتى قتلوه (ابن الأثير 8/ 409 و410).

● وبعث العزيز الفاطمي بمصر، إلى كتامة بالمغرب، داعياً يقال له: أبو الفهم الحسن بن نصر، يدعوهم إلى طاعته، ويطلب أن تميل كتامة إليه، وترسل إليه جنداً يقاتلون المنصور الصنهاجي المستولي على أفريقية، فدعاهم أبو الفهم، وكثر من تبعه منهم، فعزم المنصور على قصده، فكتب العزيز إلى المنصور يحذره من ذلك، فلم يستمع المنصور، وتجهز لحرب كتامة، وقاتلهم وهرب أبو الفهم إلى جبل وعر، والتجأ إلى قوم من كتامة يقال لهم: بنو إبراهيم، فأرسل إليهم المنصور يهددهم، فقالوا: لا نسلم ضيفنا، فأرسل فأخذه قسراً، وضربه ضرباً شديداً ثم قتله وسلخه، وأكلت صنهاجة وعبيد المنصور لحمه (ابن الأثير 9/ 54).

● وفي السنة 387 أمر الحاكم الفاطمي بالقاهرة، بقطع عنق

عيسى بن نسطورس، فقطعت عنقه بالمقس، وكان عيسى هذا أثيراً عند العزيز الفاطمي، فلما توفي قتله الحاكم، وقال عيسى وهو ماضٍ ليقتل: كل شيء كنت أحسبه إلا موت العزيز بالله، ولكن الله لا يظلم أحداً، والله إني لأذكر، وقد ألقيتُ في السنة 386 أوراقاً على بعض المتهمين بالنهب، وكان في بعضها القتل، وفي بعضها الضرب، فأخذ شاب ممن كان فيهم رقعة كان فيها القتل، فأمرت بقتله فصاحت أمه، ولطمت وجهها وحلفت أنها وابنها ما كانا ليلة النهب في شيء من أعمال مصر، وإنما وردا مصر بعد النهب بثلاثة أيام، وناشدتني الله تعالى أن أجعله ممن يضرب بالسوط، وأن يعفى من القتل، فلم ألتفت إليها، وأمرت بضرب عنقه، فقالت أمه: إن كنت لا بد قاتله، فاجعله آخر من يقتل، لأتمتع به ساعة، فأمرت به فجعل أوّل من ضرب عنقه، فلطخت بدمه وجهها، وسبقتني إلى القصر، وهي منبوشة الشعر ذاهلة العقل، فلما وافيت قالت لي: قتلته، كذلك يقتلك الله، فأمرت بها فضربت حتى سقطت إلى الأرض، ثم ترون الآن ما ترون. (خطط المقريزي 2/ 196).

● وفي السنة 388 قتل صمصام الدولة بن عضد الدولة، وحمل رأسه إلى أبي نصر بختيار، فلما وضع الرأس بين يديه، قال يخاطب الرأس: هذه سنة سنها أبوك، يشير إلى أنّ عضد الدولة، هو الذي سن هذه السنة بقتله ابن عمه بختيار والد أبي نصر (9/ 142 و143).

● وفي السنة 388 رحل صمصام الدولة من شيراز، يريد

الأهواز، فنهبه الأكراد في طريقه، وصار إلى الدومان، وهي على مرحلتين من شيراز، وطمع طاهر الدورماني رئيس القرية في صمصام الدولة فاعتقله إلى أن وافى خصومه أصحاب ابن بختيار، فأخذوه وقتلوه، فلما حصل بهاء الدولة أخو صمصام الدولة بفارس، أمر بنهب قرية الدودمان وإحراقها وقتل كل من وجد بها من أهلها، حتى استأصل شأفتهم انتقاماً لأخيه (تاريخ الصابي 8/ 314 و315 و327).

● وفي السنة 389 قتل زهمان الذي كان صاحب خانقين، وقتل معه أولاده الثلاثة، دلف ومقداد وهندي، وكيفية ذلك أنّ أبا الفتح محمد بن عناز كان قد احتال عليهم، فاعتقلهم ونقلهم إلى قلعة البردان، وحبسهم فيها وملك نواحيهم، ومضت مدّة فثار أولاد زهمان في القلعة، وكسروا قيودهم وحاولوا الفتك بالموكلين بهم فتجمع عليهم حماة القلعة، وقتلوا الأولاد الثلاثة بحضرة أبيهم، وأخذوا الأب فجعلوه في بيت وسدّوا بابه، وأبقوا كوة كانوا يلقون إليه منها قرصاً من الشعير وقليل من ماء، فبقي أياماً ومات (تاريخ الصابي 8/ 339).

● وفي السنة 406 تحرك على الأمير باديس بن المنصور بن بلكين عمه حماد بن بلكين، فبعث إليه أخا حماد واسمه إبراهيم بن بلكين، لكي يصلح أمره، فاتفق حماد وإبراهيم وجاهرا باديس بالخلاف، وسفكا الدماء وقتلا الأطفال وأحرقا الزروع والمساكن، وسبيا النساء، وحدث أن فر إلى باديس جماعة من جند قلعة حماد

وكان فيها إبراهيم، فأخذ إبراهيم أبناءهم، وذبحهم على صدور أمهاتهم، فقيل إنه ذبح بيده منهم ستين طفلاً، فلما فرغ من الأطفال ذبح الأمهات (ابن الأثير 9/ 254).

● وفي السنة 486 هجم غلمان نظام الملك، على تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسرو، وكان متهماً بالمواطأة على قتل نظام الملك، فقطعوه إرباً إرباً، وفصلوه أجزاء، وحُملت إلى بغداد إحدى أصابعه (المنتظم 9/ 74 وابن الاثير 10/ 216).

● وفي السنة 527 وثب أحد المماليك، على شمس الملوك صاحب دمشق وضربه بسيف، فخابت الضربة، فأخذه وقرره، فقال: أردت إراحة المسلمين من شرك وظلمك، ولم يزل يضرب حتى أقر على جماعة، فأخذوا وقتلوا من غير تحقيق، كما قتل شمس الملوك أخاه سونج (ابن الأثير 11/ 8 و9).

● وفي السنة 533 قتل السلطان مسعود وزيره كمال الدين محمد بن الحسين الخازن، وسبب قتله أنه كان شجاعاً عادلاً، كشف أشياء كانت مستورة فيها يُخان ويسرق، فثقل على المتصرفين وأرباب الأعمال، فأغروا به الأمراء لا سيما قراسنقر صاحب أذربيجان، فإنه فارق السلطان وأرسل يقول: إما أن تنفذ رأس الوزير وإلا خدمنا سلطاناً آخر، فقتله السلطان على كره منه، وأرسل رأسه إلى قراسنقر وكانت وزارته سبعة أشهر (ابن الأثير 11/ 64).

● كانت خاتمة حياة الملك المعظم توران شاه، آخر سلاطين

الأيوبيين بمصر في السنة 648 فاجعة من الفواجع، فقد خلف أباه الملك الصالح على العرش، على إثر انتصار عظيم، انتصر فيه الجيش المصري على الإفرنج فأسر ملك فرنسا، قائدهم ومعه مائة ألف أسير، واستعاد منه دمياط، وكان قد استولى عليها، ولكنه لم يستقر في السلطنة سوى أربعين يوماً، إذ تآمر عليه الأمراء، فلما جلس على السماك ليأكل، تقدم إليه أحد المماليك، وضربه بسيف فقطع أصابع يديه، ففر إلى برج على الساحل من الخشب، فاقتحموا عليه البرج، وسيوفهم مصلتة فصعد إلى أعلاه، فرموه بالنشاب وأطلقوا النار في البرج، فألقى نفسه وركض إلى البحر، وهو يقول: لا أريد ملككم دعوني أرجع إلى الحصن يا مسلمين، ما فيكم من يصطفيني ويجيرني، فلم يجبه أحد من العساكر والنشاب يأخذه من كل ناحية، وأدركوه بالسيوف، فمات قتيلاً حريقاً غريقاً (خطط المقريزي 1/ 223).

● وكان الأمير شمس الدين لؤلؤ، مقدم عسكر حلب يظهر الاستهانة بالمماليك الذين بمصر، ويقول عنهم: كل عشرة من المماليك مقابل كردي، ويقول: آخذ القاهرة بمائتي قناع (يعني مائتي امرأة) ولما حصلت المعركة بين جنده وبين المصريين، انكسر جيشه ووقع أسيراً في أيدي المماليك، وجيء به إلى المعز أيبك، فاقترح أحد المماليك الإبقاء عليه، فقالوا: هذا جعلنا مخانيث، كيف نتركه وضربوا عنقه (النجوم الزاهرة 7/ 7).

● وفي السنة 655 قتلت شجرة الدّر زوجها الملك معز الدين

أيبك سلطان مصر، قتله خدمها بأمر منها في الحمام (خطط المقريزي 2/ 238).

● وفي السنة 693 قتل بالقاهرة، الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، وزير السلطان الملك الناصر، وكان ظالماً عسوفاً، فتكاثر عليه المماليك وضربوه بالسيوف، فقتلوه ورفعوا رأسه على رمح، وأعطوه للمشاعلية فجابوا به مصر والقاهرة، وحصل للمشاعلية مال كثير لبغض الناس قاطبة له، وقيل إنهم كانوا يأخذون الرأس من المشاعلية، ويدخلونه إلى البيوت فتضربه النساء بالمداسات (النجوم الزاهرة 8/ 46).

● وفي السنة 701 قتل الفقيه فتح الدين أحمد بن محمد البقي المصري، وكان فقيهاً تأدب وناظر، وقطع المتناظرين وفاق الأقران، وكان يستخف ببعض الفقهاء والقضاة ومنهم القاضي المالكي، فتربص القاضي به وحكم بقتله بتهمة الانحلال واستحلال المحرمات، والاستهزاء بالدين، فأخذ يتلفظ بالشهادتين ويصيح يا مسلمين، كنت كافراً وأسلمت فلم يجده ذلك، وضربت رقبته بين القصرين بالقاهرة، (الدرر الكامنة 1/ 329 ـ 333).

● وغضب السلطان محمد بن محمد النصري على طائفة من مماليك أبيه فسجنهم في المطبق بحمراء غرناطة، ومنعهم القوت حتى أكل بعضهم بعضاً، وأشفق عليهم أحد حراسهم فطرح لهم خبزاً يسيراً، ونمي ذلك إلى السلطان، فأمر به فذبح على حافة الجب، فسالت عليهم دماؤه (الإحاطة 555 و556).

● وفي السنة 727 وقعت بالاسكندرية مشاجرة بين تجار من النصارى وأهل الاسكندرية، وحسب الاسكندريون أن أمير المدينة ويلقب بالكركي أعان النصارى عليهم، فثاروا به وحصروه في قصره، فاستغاث بالملك الناصر محمد ابن قلاوون، فأعانه بجيش أعاد الأمن في البلاد، وقتل من أهل البلد ستة وثلاثين رجلاً قطع بدن كل واحد منهم إلى قطعتين، وصلبهم صفين (رحلة ابن بطوطة 1/ 18).

● وذكر الرحالة ابن بطوطة عن السلطان محمد بن تغلق، سلطان الهند (725 ـ 752)، أنه كان لا يخلو بابه عن مقتول إلا نادراً، قال: وكنت كثيراً ما أرى الناس يقتلون على بابه، ويطرحون هنالك، ولقد جئت يوماً فنفر بي الفرس، ونظرت إلى قطعة بيضاء في الأرض، فقلت: ما هذه؟ فقال بعض أصحابي: هي صدر رجل، قطع ثلاث قطع، وكان يعاقب على الصغيرة والكبيرة، ولا يحترم أحداً من أهل العلم والصلاح والشرف، وفي كل يوم يرد على المشور (البلاط) من المسلسلين والمغلولين والمقيدين مئون، فمن كان للقتل قتل، أو للعذاب عذّب، أو للضرب ضرب، وعادته أن يؤتى كل يوم بجميع من في سجنه من الناس، إلى المشور ما عدا يوم الجمعة، فإنهم لا يخرجون فيه وهو يوم راحتهم، ينظفون فيه ويستريحون (مهذب رحلة ابن بطوطة 2/ 85).

● وخرج بمدينة سيوستان بالهند الأمير قيصر الرومي على ملك الهند غياث الدين محمد بن تغلق (725 ـ 752)، وأعلن العصيان واستولى على ما بها من أموال السلطان، فنهض إليهم عماد الملك

سرتيز، مملوك السلطان وهو يومئذٍ أمير أمراء السند، فانهزم قيصر وتحصن بالمدينة، ولما اشتد عليهم الحصار طلبوا الأمان، فأمنهم عماد الملك ولما نزلوا غدر بهم، وأخذ أموالهم، وأمر بقتلهم، فكان في كل يوم يضرب أعناق بعضهم، ويوسط بعضهم ويسلخ آخرين، ويملأ جلودهم تبناً ويعلقها على السور، فكان على معظم السور، تلك الجلود مصلوبة، ترعب من ينظر إليها، وجمع رؤوسهم في وسط المدينة، فكانت مثل التل هناك، ونزلتُ بتلك المدينة إثر هذه الوقيعة، بمدرسة فيها كبيرة وكنت أنام على سطحها، فإذا استيقظت في الليل أرى تلك الجلود المصلوبة، فتشمئز نفسي منها، ولم تطب بالسكن بالمدرسة فانتقلت عنها (مهذب رحلة ابن بطوطة 2/ 6 و7).

● وبلغ السلطان محمد بن تغلق سلطان الهند، أن الفقيه عفيف الدين تكلم في بعض الأمور، فسجنه ثم أطلقه، فلقيه بعد خروجه من السجن، صاحبان له من الفقهاء، فقالا له: الحمد لله على خلاصك فقال: الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين، فلم يصلوا إلى دورهم حتى بلغ السلطان الخبر، فأحضر الثلاثة بين يديه، وأمر بعفيف الدين أن تقطع عنقه حمائل (أي أن يقطع الموضع الذي تمر عليه حمالة السيف، الرأس والصدر والكتف مع إحدى اليدين)، وأمر بضرب عنق الفقيهين الآخرين أيضاً. فقالا: أما هو فيستحق العقاب لما قال، وأما نحن فبأي جريمة تقتلنا؟ فقال لهما: إنكما سمعتما كلامه فلم تنكراه، فقتلوا جميعاً (مهذب رحلة ابن بطوطة 2/ 98 و99).

● وفي السنة 780 أعلن موت الأمير بركة في سجنه بالاسكندرية، فبعثوا من القاهرة من حقق في أمر موته، فظهر أنه قتل وأن قاتله الأمير خليل بن عرام، نائب الاسكندرية، فاعتقل ابن عرام وحمل إلى القاهرة حيث عري من ثيابه، وضرب بالمقارع ستة وثمانين شيباً، ثم سمر على جمل، وطيف به في البلد، فهجم عليه جماعة من مماليك بركة، وهبروه بالسيوف فقطعوه قطعاً عديدة، وتناهبوا أعضاءه فأخذ أحدهم أذنه والآخر رجله وقطع رأسه وعلق بباب زويلة (النجوم الزاهرة، 11/ 184 و185).

● ولما فتح تيمورلنك بغداد للمرة الثانية وفي السنة 803 أمر كل نفر من عساكره بأن يحضر رأس إنسان، وقال أحد الأمراء وكان أسيراً عند تيمورلنك، إنه أمر كل واحد من عسكره أن يحضر رأسين، بحيث كان الواحد منهم إذا عجز عن إحضار رأسين يقطع رأس امرأة، ويزيل شعرها، وقد اختلفت تقديرات المؤرخين في مقدار القتلى من بغداد في هذه الواقعة، فقدروا القتلى ما بين تسعين ألفاً إلى مائتين وخمسين ألفاً، وهذه التقديرات تدل على ضخامة عدد القتلى (تاريخ الغياثي 126 ـ 127).

وفي السنة 804 فتح تيمورلنك بغداد، وأمر كل نفر من عسكره أن يحضر له رأساً وبنى منائر من الرؤوس المقطوعة، وأخرب عسكره البيوت وأحرقوها وأخربوا العمارات والمساكن (تاريخ الغياثي 203).

وفي السنة 1012 عزل السلطان وزيره الأعظم حسن باشا

اليمشجي، ونصب ياوز علي باشا وزيراً أعظم بدلاً منه، فطلب العساكر إعادة اليمشجي للوزارة فغضب السلطان من جرأتهم، وأرسل إلى اليمشجي من قتله ومن هو في بستانه (خلاصة الأثر 4/ 221).

● وفي السنة 1072 توفي محمد باشا الكوبري، الوزير الأعظم للسلطان محمد بن السلطان إبراهيم، وكانت أمور الدولة قد اختلت، وكان الوزير يولي أياماً، ثم يعزل أو يقتل، وبلغ من تفلت الأمور أن جماعة من الخدم العبيد في قصر السلطان، هجموا على جدته صاحبة الخيرات، فقتلوها ليلاً فأشار علي أغا الطويل من أغوات الحرم، باستيزار محمد باشا الكوبري، فنصبه السلطان وزيراً أعظم، فكان أول ما صنعه نفي علي آغا الطويل إلى قبرس، ولما سئل عن سبب ذلك قال: إن الذي يملك التعيين يملك العزل، ثم قتل كثيراً من رجال الدولة، حتى إن أحد الباشاوات واسمه خسرو باشا، كان بينه وبين الكوبري محبة زائدة ومواثيق، **فأحضره وقال له: إني أريد أن أقتلك فقال له: لم يحصل مني ما يستوجب القتل، وأنا على عهدك وميثاقك، فقال له: إن في قتلك إرهاباً للقوم، إذ يقولون إن الوزير قتل أقرب الناس إليه، فهو لا يتوقف في أمر القتل، فألقى بذلك الرعب في قلوبهم، فتوسل خسرو باشا إليه أن يبقي عليه، فأبى وقتله** (خلاصة الأثر 4/ 311).

● وفي السنة 1130 عين السلطان العثماني، رجب باشا والياً على مصر، وأوعز إليه بأن يقتل علي باشا والي مصر المعزول،

فلما وصل رجب باشا إلى مصر، واستقر بالقلعة، أمر بعمل حساب علي باشا، ثم أحضره وقطع رأسه وسلخها، وأرسلها إلى الباب العالي ودفنت جثته بالقرافة، وعرف قبره بقبر علي باشا المظلوم (الجبرتي 1/ 96).

● وفي السنة 1130 توفي المهدي الزيدي، محمد بن أحمد من أئمة الزيدية، وكان جباراً بطاشاً، قتل ابناً له في جرم يسير إرهاباً للناس، وقتل عالماً من الناس سفك دماءهم بمجرد الظنون والشكوك، خلع من الحكم سنة 1129 (الأعلام 6/ 239).

● في السنة 1136 لما قتل اسماعيل بك إيواظ بالقاهرة، باتفاق مع الوالي محمد باشا، قرر أن يقتل من بعده كلا من عبد الله بك زوج أخت اسماعيل إيواظ والأمير إبراهيم بك تابع الجزار، فاحتال عليهم حتى حضروا عند الكتخدا، ثم دخل الجوخدارية على عبد الله بك، فأخذوا ثيابه وما في جيوبه وأنزلوه وسلموه إلى الوالي، فأركبه على ظهر كديش ونزلوا بمحمد بك إيواظ ومعه الأمير إبراهيم بك الجزار على حمارين، وأخذ الثلاثة إلى مركب في النيل وقام المشاعلية بقتلهم وسلخوا رؤوسهم، ورموا جثثهم في البحر (الجبرتي 1/ 185 ـ 187).

● وفي السنة 1153 قتل الأمير علي كتخدا الجلفي، بمؤامرة دبرها والي مصر سليمان باشا الشامي، المعروف بابن العظم، إذ اتفق مع الأمير عمر بك بن علي بك قطامش على قتل الأمراء أصحاب الرياسة بمصر ومن جملتهم الكتخدا الأمير علي الجلفي،

فدبر الأمير عمر بك لكل واحد من الأمراء من يقوم بقتله، وكان المعين لقتل الأمير علي الجلفي شخص من أتباع يوسف كتخدا اسمه «لاظ ابراهيم» وفي الوقت المعين ترصد لاظ إبراهيم للامير علي، فلما وصل إلى الموضع خرج لاظ إبراهيم، وتقدم إلى المترجم كأنه يريد أن يقبل يده، فلما قبض على يده، ضربه بالطبنجة في صدره، فسقط إلى الارض وسحبوه إلى الخرابة، وفيه الروح فقطعوا رأسه ووضعوها تحت مصطبة الباب (الجبرتي 1/ 254)، وكان الذي قام بتدبير المؤامرة أحمد كتخدا البركاوي، فغضب الأمراء لمقتل علي بك الجلفي، وطاف أحمد كتخدا البركاوي على الأمراء طول الليل، فلم يقبله (لم يجره) أحد منهم، فضاقت الدنيا في وجهه وتوفي في تلك الليلة الأمير محمد كتخدا الطويل، فاجتمع الأمراء في بيته لحضور مشهده، فدخل عليهم أحد كتخدا البركاوي، وقال لهم: أنا في عرض هذا الميت، فأمروه بالانتظار في إحدى الحجر حتى يعودوا من الجنازة، وجلس لاظ إبراهيم (قاتل الأمير علي الجلفي) بالحوش مع اثنين من السراجين، وعندئذ قتل السراجون لاظ إبراهيم وأحمد كتخدا كذلك، أما لاظ إبراهيم فقطعوه قطعاً، وأما أحمد كتخدا فقطعوا رأسه، وأخذوها إلى رضوان كتخدا فأعطاهم البقاشيش وقطع رجل ذراعه، وذهب بها إلى الست الجلفية، زوجة علي كتخدا الجلفي، وأخذ منها بقشيشاً أيضاً، واستمر أحمد كتخدا مرمياً على الأرض بلا رأس ولا ذراع، حتى دفنوه بعد الغروب ثم دفنوا معه الرأس والذراع (الجبرتي 1/ 255 و256).

● وفي السنة 1171 تآمر قسم من الأمراء بالقاهرة، على قتل الأمير حسين بك الصابونجي، واتفقوا مع أصحابه على قتله، وحضروا عنده يوم الجمعة على جاري عادتهم، وزاروا معه ضريح الإمام الشافعي، ثم رجع صحبتهم إلى مصر القديمة، وباتوا صحبته في أنس وضحك، وفي الصباح أحضر لهم الفطور فأكلوا، وطلبوا منه إنعاماً فكتب إلى كل واحد منهم وصولاً بألف ريال وألف أردب قمح وغلال، ووضعوا الأوراق في جيوبهم ثم سحبوا عليه السلاح وقتلوه، وقطعوه قطعاً، فقام مماليكه بوضع أعضائه في خرج، وأخذوه على هجين فدخلوا به المدينة حيث غسلوه وكفنوه ودفنوه (الجبرتي 1/ 294).

● وفي السنة 1189 توجه محمد بك أبو الذهب من مصر، بعسكر لمحاربة عمر الظاهر صاحب عكا ويافا عنوة، وأمر بالقبض على أتباع عمر الظاهر، وربطهم بحبل «على بعضهم بعضاً» ثم جلس على كرسي، وأمر بضرب أعناقهم عن آخرهم وهو جالس ينظر إليهم (سلك الدرر 1/ 57).

● وأعاد صاحب سلك الدرر 3/ 184 و185 وصف كيفية فتح الجيش المصري بقيادة محمد بك أبي الذهب يافا، قال: لما حاصر محمد بك أبو الذهب يافا، كان أهلها يصعدون على السور، ويسبون الجنود المصريين وأميرهم سباً قبيحاً، فلما فتحها أبو الذهب نهبها جنده، وسبوا النساء والصبيان، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وجمعوا الأسرى خارج البلد، وقتلوهم عن آخرهم ولم

يميزوا بين الشريف والوضيع، والعالم والجاهل واليهودي والنصراني، والعامي والسوقي والظالم والمظلوم، وبنوا من رؤوس القتلى عدة صوامع، وجهها بارزة، ثم ارتحل عنها أبو الذهب قاصداً عكا، فلما بلغ الظاهر ما صنع أبو الذهب بيافا، فر من عكا هارباً، فدخل إليها أبو الذهب بلا مقاومة، ولكن القدر لم يمهله فمات في عكا.

● وفي السنة 1189 امتنع الأمير ظاهر العمر، صاحب عكا من أداء الأموال الأميرية، فأرسلت إليه الدولة قائد البحر حسن باشا الجزائري لمطالبته بالأداء، فأغراه مستشاره إبراهيم الصباغ أن لا يؤدي شيئاً، فضرب حسن باشا عكا بالقنابل، ففر الأمير ظاهر إلى خارج عكا فاغتاله أحد عبيده، وأحضر رلسه إلى القائد التركي حسن باشا، يتقرب إليه بذلك، ولما علم القائد أن هذا العبد هو عند الأمير ظاهر منذ خمس عشرة سنة، غضب منه لخيانته، وأمر بقتله فقتل وأرسل القائد رأس الأمير ظاهر العمر إلى اصطنبول (خطط الشام 2/ 310).

● وفي السنة 1192 قتل الأمير عبد الرحمن آغا أغات مستحفظان بحلوان، وكان قد نجا من خصومه الذين يحكمون القاهرة، ومر بحلوان يريد السفر إلى قبلي (الصعيد) فلما وصل إلى حلوان أرسل مملوكاً له ليجيء له بلوازم من داره، فعلم مراد بك بوجوده فسار بنفسه إلى حلوان، وحصرها وأخذوا عبد الرحمن أغا قبضاً باليد، وعروه ثيابه حتى السراويل، وسحبوه بينهم عرياناً

مكشوف الرأس والسوأتين، وأحضروه بين يدي مراد، فلما وقعت عينه عليه، أمر بقطع عنقه بسكين حزاً، وهم يقولون له: أنظر قرص البرغوت، يذكرونه بقوله لمن كان يقتله: لا تخف يا ولدي إنما هي كقرص البرغوت، ودخل مراد بك القاهرة ورأس عبد الرحمن أغا أمامه على رأس رمح (الجبرتي 1/ 532).

● وفي السنة 1211 قتل أحمد الجزار، الحاكم التركي في تبنين، زين بن خليل بن موسى الزين، الأنصاري الخزرجي العاملي (نسبة إلى جبل عامل) ولم يكتف بقتله بل أحرق جثته ومكتبته (الأعلام 3/ 104).

● وفي السنة 1214 (1799م) دخلت النجف قافلة من الوهابيين تمتار، وشاهد أفرادها شيخ الخزاعل، وهو يُقَبِّلُ عتبة باب مرقد الإمام علي بن أبي طالب، فهجموا عليه وقتلوه (حكم المماليك في العراق 55).

● وفي السنة 1216 (1801م) هاجم الوهابيون كربلاء، واقتحموها وأسرفوا في القتل والنهب، ولم يعمل عمر آغا حاكم البلدة شيئاً لحمايتها ومقاومة الغزاةفأمر ليمان باشا والي بغداد باعتقال عمر آغا، وإعدامه فأعدم (حكم المماليك في العراق 58).

● وخرج أحمد باشا الجزار ذات يوم قبل طلوع الشمس، إلى باب السراي وأمر بإغلاق أبواب المدينة، وقبض على كثيرين من العمال والكتاب والأهالي وسجنهم، وكانوا مائتين وثلاثين إنساناً، ثم قبض على النواب وسجنهم معهم، ثم أحضر الفعلة وسجن

منهم جملة، ثم أحضر التجار وأرباب الصنائع والحمالين، وسجن منهم جماعة، فامتلأت السجون، وفي غد ذلك اليوم أحضر المغاربة وأمرهم أن يخرجوا السجناء إلى خارج البلد، وأن يقتلوا الجميع ففعلوا ما أمرهم به، وكان يوماً عصيباً لم تكن تسمع فيه إلا صراخ المقتولين ظلماً، وعويلهم وأنينهم وبقي القتلى مطروحين خارج البلد، ثم أذن لأهاليهم أن يدفنونهم، وأنذر كل امرأة ترفع صوتها أن تقتل حالاً، ثم أرسل جنوده فأحضر مشايخ البلاد وأصحاب الإقطاعات فمنهم من قتله ومنهم من اكتفى بجدع أنفسه وصلم أذنه (خطط الشام 3/ 22).

● وفي السنة 1223 مر ببلاد النصريين طبيب انكليزي، فقتله الرعاع هناك، فأرسل سليمان باشا والي صيدا عسكراً بزعامة مصطفى بربر، للقبض على القتلة فاكتسح العسكر بلاد النصيرية، وقتل سبعين رجلاً من كبارهم وحشى رؤوسهم تبناً وبعث بها إلى سليمان باشا (خطط الشام 3/ 28 و29).

● ومن أغرب أنواع الفتك، الفتك بقصد الإرهاب، وقد مارسه رجل من شرار الخلف، وهو جلال الدين والي حلب في السنة 1227 فإنه كان إذا أراد النزول إلى السوق، أمر فزينت له الأسواق نهاراً فينزل ومعه البلطجية والعساكر عن يمينه وشماله، فيدور في الأسواق ومتى أدار الوالي نظره إلى رجل فإن البلطجية يأتون فيضربون رقبة صاحب ذلك الحانوت، يفعل ذلك بثلاثة أو أربعة أشخاص، ثم يعود وتكرر منه هذا الفعل **فسأله وجوه البلد**،

عن سبب قتل هؤلاء وعن ذنبهم فقال: إنهم لا ذنب لهم غير أني أريد إرهاب الناس (أعلام النبلاء 3/ 377 و378).

● ومن عجب أنواع الفتك، قتل الأبرياء بدلاً من المحكوم عليهم بالإعدام، الذين كانوا يطلقون لقاء رشوة يعطونها، ويؤخذ مكانهم أناس أبرياء فيعدمون، وكان ذلك يجري في السنة 1233 في حلب، في ولاية خورشيد باشا، وتقدمت شكاوي في الموضوع وأجري التحقيق في القضية، فظهر أن كبار موظفي الولاية لهم يد في الموضوع، فاضطر الآغا القائم بالتفتيش إلى السكوت، ومثل هذه الأمور ليست مختصة بولاية واحدة، بل يوجد كثير من هؤلاء الرجال في نفس العاصمة اصطنبول، ولم يكن للرجل قيمة ولا للدم حرمة، وكان يذبح الإنسان كما تذبح الدجاجة الصغيرة (أعلام النبلاء 3/ 386 و387).

● وفي السنة 1255 جرت في دمشق محاكمة علي أغا خزينة كاتبي (كاتب الخزينة) ونسب إليه أنه تكلم في حق الحكم بكلام غير لائق، وكان المجلس برئاسة شريف باشا متسلم دمشق، وأحد أعضائه بحري بك، وكانا راغبين في قتله لأنه «لسانه طويل، وما يعرف خاطر أحد» وكان حكم القاضي نسيب أفندي» من حيث المذكور ثبت أنه بحق الحكم، وما راعى الشرف الحاصل له من وليّ الأمر، فترتيب جزاء منوط بأولياء الأمور «ونبه شريف باشا على القواص أن يأخذ علي أغا صباح اليوم التالي، ويقطع رأسه أمام باب السراي، وفي الصباح ذهب القواص إلى علي آغا وقال

له: قم كلم أفندينا، فلما نزل من الكشك قال له: أفندينا برا في أرض السرايا، وأخذه لأودة القهوة وسكر (أغلق) الباب، وصار يعريه وأخذ ساعته وكيس الخرجية وشق قميصه، وربط له عيونه وكتفه وجاء به إلى باب السراي فبركه وقطع رأسه، وظل مرمياً بباب السراي طول النهار (مذكرات تاريخية 183 ـ 185).



القتل لاحتكار السلطة

احتكار السلطة سيئة من السيئات التي اعتاد عليها بعض الأفراد، فاستسهلوا من أجله الحزن، واستهانوا في سبيله بالصعاب، ووصفوا طيبات الدنيا بأنها «الجلوس على السرير، والسلام عليك أيها الأمير» وأوردوا في أمثالهم: أن الملك عقيم، ومعناه: أن الملك لا يعرف ابناً ولا أخاً، فإن نازعك أخ أو ابن أو قريب فعليك أن تتخلص منه بقتله.

وأول من قتل في سبيل احتكار السلطة، في الإسلام معاوية بن أبي سفيان، وكان يغتفر كل ذنب، إلا ذنب من تعرض لسلطانه، وكان يقول: إنا لا نحول بين الناس وألسنتهم، ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا، وجاء من بعده يزيد، ففعل الأفاعيل وقتل وأحرق وسبى وهدم، كل ذلك في سبيل احتكار السلطة، ثم خلف من بعده عبد الملك بن مروان، فكان ناراً محرقة، ولعل أوضح دليل على تهالكه على احتكار السلطة، غدره بعمرو بن سعيد بعد أن أعطاه الأمان، وخطبته بالمدينة من بعد ذلك، وقوله في خطبته

تلك: لست بالخليفة المستضعف ـ يعني عثمان ـ ولا الخليفة المداهن، ـ يعني معاوية ـ ولا الخليفة المأفون ـ يعني يزيد ـ ألا وإن من كان قبلي من الخلفاء، كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال، ألا وإني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف، ألا وإن الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي، والله لا يفعل أحد فعله إلا جعلتها في عنقه (تاريخ الخلفاء 219). ولما احتضر عبد الملك، فإنه بدلاً من أن يوصي ولده الوليد بالعدل في الرعية، فإنه أوصاه بقوله: إلبس للناس جلد النمر، ومن قال لك برأسه هكذا، فقل له بسيفك هكذا، وحسبك بسيرة عبد الملك بن مروان سوءاً أن الحجاج الثقفي، إنما هو سيئة من سيئاته.

● ودرج من بعد بني أمية بنو العباس، فسلكوا سبيلهم وساروا بسيرتهم، وبعد أن كانوا مع العلويين يدا واحدة، في محاربة بني أمية، دفعهم خوفهم من انتفاض العلويين عليهم، إلى التخلص منهم بالقتل والحبس والنفي والتشريد، وما صنعه المنصور بآل الحسن، وما صنعه الرشيد بآل الحسين، وما صنعه المتوكل بآل علي عامة، يدل على مقدار القسوة الكامنة في نفوس بعض طلاب الاستئثار بالسلطان.

● وفي النصف الثاني من عهد بني العباس، أصبح متعارفاً عندهم أن يقوم الخليفة باعتقال إخوانه وأعمامه، ومن يصلح للخلافة من أفراد العائلة، وأن يحجزهم في مواضع تحت المراقبة، بحيث لا يدخل إليهم إلا بإذن.

● ولما فتح هولاكو بغداد، وجد الأمراء العباسيين، من إخوة الخليفة وأعمامه وأقاربه، يقيمون في مواضع في دار الخلافة، هي بحكم المعتقلات ليكونوا دائماً تحت مراقبة من تناط به مراقبتهم، فأخرجهم إلى ظاهر سور بغداد حيث تمت عملية إبادتهم جملة.

● وكان من التقاليد المتبعة في سلطنة آل عثمان أنّ من تسلطن سارع إلى قتل إخوته، وجميع من يحتمل أن يحل محله من أفراد العائلة المالكة، وإذا سكت السلطان عن بعضهم ولم يقتلهم، فهم يستقرون في الحبوس، ينقطعون فيها عن الناس، ويمنع أن يتصل بهم أحد من الناس إلا سجانيهم.

● وقد روي عن السلطان سليم العثماني، أنه قتل أباه وإخواته بأجمعهم في سبيل السلطان، وأن ولده السلطان سليمان قتل ولده مصطفى وولده بايزيد وأولاد بايزيد الخمسة، وأن السلطان محمد بن مراد الثالث العثماني قتل يوم جلوسه تسعة عشر أخاً له، ووجد عشراً من الجواري حوامل من أبيه فقتلهن، ثم قتل ابنين من أبنائه.

● وأول ما بلغنا من أخبار هذا الصراع المؤدي للقتل، بين أفراد العائلة الواحدة، في سبيل احتكار السلطة، ما صنعه الياس بن حبيب الفهري، في السنة 136، بأخيه عبد الرحمن صاحب إفريقية، فإن عبد الرحمن مرض فدخل عليه أخوه الياس يعوده، فعدا عليه وهو مريض فقتله، واستولى على أفريقية، فوثب حبيب بن عبد الرحمن على عمه الياس فقتله بعد معارك، وانتظمت له شؤون إفريقية، وامتنع عليه عبد الملك بن أبي الجعد الأباظي، ونشبت

بينهما معركة على أبواب القيروان، فانكسر حبيب وقتل في المعركة (الأعلام 1/ 348 و2/ 171).

● وكان يعفر بن عبد الرحمن الحوالي باليمن، يحكم صنعاء منذ السنة 230 استقلالاً، فغلب ولده محمد بن يعفر، على صنعاء وبايع المعتمد العباسي، ثم أناب عنه ولده إبراهيم بن محمد، فقام يعفر الجد، وحرض الحفيد إبراهيم على قتل والده محمد، فقتله في السنة 269 في صومعة مسجد شبام وقتل عمه كذلك (الأعلام 8/ 16 و9/ 251).

● وفي السنة 252 حبس المعتز العباسي أخويه إبراهيم المؤيد، وأبا أحمد طلحة الموفق في الجوسق بسامراء، وقيد المؤيد وجعله في حجرة ضيقة، وحبس كنجور حاجب المؤيد وضربه خمسين مقرعة، وضرب خليفته أبا الهول خمسمائة سوط، وطيف به على جمل ثم ضرب أخاه المؤيد أربعين مقرعة، وأخذت منه رقعة بخلع نفسه من ولاية العهد، ثم بلغ المعتز أن الأتراك يريدون إخراج المؤيد من الحبس، فدعا القضاة والفقهاء والشهود والوجود، وأخرج لهم المؤيد ميتاً لا أثر به ولا جرح، وحمل إلى أمه أم إسحاق الأندلسية، وهي أم أبي أحمد على حمار، وحمل معه كفن وحنوط، وحول أبو أحمد إلى الحجرة التي كان المؤيد شقيقه محبوساً فيها، وذكر عن كيفية موت المؤيد أنه أدرج في لحاف، ثم أمسك طرفاه حتى مات، وقيل إنه أقعد في حجر من ثلج، ونضدت عليه حجارة الثلج فمات برداً (الطبري 9/ 361 _ 362).

● وفي السنة 290 فتك زيادة الله بن أبي العباس عبد الله، المعروف بابن الأغلب بأبيه، وكان أبوه قد ولاه إمارة صقلية، فأهمل إدارتها فعزله وسجنه، فدس لأبيه ثلاثة من خصيان الصقالية فقتلوه، ونودي بزيادة الله أميراً على إفريقية، فكان أوّل ما بدأ به أن قتل الخصيان الثلاثة، وفتك بمن قدر عليه من إخوته وأعمامه، إذ أخرج من إخوته وأعمامه سبعة وعشرين رجلاً إلى جزيرة في البحر اسمها جزيرة الكراث، فقتلوا بها في رمضان، وعاد إلى إهمال شؤون الملك، وعظم أمر أبي عبد الله الشيعي، فجمع زيادة الله ماله وأهله، وفر من إفريقية في السنة 296 فنزل بمصر، ثم قصد بغداد، فمنعه المقتدر من الوصول إليها، فعاد إلى مصر ثم قصد بيت المقدس فمات بالرملة (العيون والحدائق ج4 ق1 ص195 والأعلام 3/ 94).

● وفي السنة 339 في عيد الأضحى، أمر عبد الرحمن الناصر الأموي الخليفة بالأندلس، فأحضر أمامه أحد أولاده واسمه عبد الله، وكان قد تآمر على أبيه ليحل محله، ومعه أتباع له، **فأمر ولده أن يضطجع فاضطجع فذبحه بيده، والتفت إلى خواصه وقال: هذا ضحيتي في العيد، فليذبح كل منهم أضحيته، فاقتسموا أصحاب عبد الله وذبحوهم** (نفح الطيب 3/ 583 الأعلام 4/ 100).

● ويرى أنّ السلطان سليم العثماني قتل أباه، ليستولي على الحكم، فلما تسلطن في السنة 918، قتل أخوته جميعهم، ولما استولى على مصر، وأراد الرحيل عنها قتل وزيره حسن باشا، وفي الطريق إلى الشام غضب على الصدر الأعظم يونس باشا، فقطع عنقه (خطط الشام 2/ 92 ـ 230).

● وكان القتل عند السلطان سليم الأول العثماني من أسهل الأمور وألطفها، وأهونها، فقد قتل سبعة من وزرائه لأسباب تافهة، ولما تسلطن خنق إخوته وغيرهم من أهل بيته وعددهم سبعة عشر نفراً، حتى كان الأتراك يقولون: من أراد الموت فليكن وزيراً عند السلطان سليم (خطط الشام 2/ 230).

● يقول الأستاذ عبود الشالجي: أدركت الشيوخ البغداديين، وهم يتناقلون على سبيل الفكاهة قصة فيها عبرة، خلاصتها أنه كان من تقاليد نصب الصدر الأعظم (الوزير الأول) في سلطنة آل عثمان، أن يتقدم موكبه عند نصبه للصدارة فارس يحمل في يده رمحاً قد ركز على سنانه الرأس المقطوع لسلفه الصدر المعزول، وبعد انتهاء مراسيم نصب الصدر، وفراغه من قبول التهاني بهذه المناسبة، تقدم إليه آخر الناس رجل فقبل يده، وسلم إليه كيساً فيه عشرة آلاف دينار من الذهب، فسأله الصدر الأعظم، عن السبب الذي من أجله سلم إليه هذا المبلغ، فتلكأ في الرد فألح عليه الصدر، فطلب منه الأمان على أن يحدثه بالقصة على وجهها الصحيح، فقال له: يا سيدي إن هذا المبلغ مودع عندي منذ زمن، وقد أوصاني صاحبه أن أعطيه لأشد الناس حمقاً، فلما رأيت موكبك وفي مقدمته رأس سلفك المقطوع، وأنت تعلم بأنك في يوم من الأيام سوف تلاقي هذا المصير، وأنت مع ذلك تتقبل التهاني، أيقنت أنه لا يزاحمك أحد في استحقاق هذا المبلغ.

● وقتل السلطان سليمان القانوني ولده الأكبر مصطفى، وقتل

حفيده وقتل ولده بايزيد وأولاد بايزيد الخمسة، وفي السنة 942 قتل وزيره إبراهيم باشا وكان وزيره سبع عشرة سنة، وكان على جانب من الأخلاق الحسنة والذكاء (خطط الشام 2/ 237).

● وفي السنة 923 ولي عرش مراكش أبو العباس أحمد بن محمد السعدي الملقب بالأعرج، فأطاعته بلاد السوس كلها، ثم وثب عليه أخوه محمد، فاستولى على العرش وحبس أبا العباس وأولاده في السجن بمراكش، وحدث أن قتل محمد، فقتل من بعده أخوه أحمد وأولاه معه، مخافة أن يطالب أحدهم بالعرش (الأعلام 1/ 223).

● وفي السنة 982 توفي السلطان سليم العثماني فخلفه ولده السلطان مراد، فكان أول ما صنعه أن أمر بقتل إخوته «على ما هو قاعدة سلطنتهم» وكانوا خمسة فخنقوا في الوقت، وأمر بتجهيزهم مع والده فجهزوا، وصلى عليهم جميعهم داخل السراي ودفنوا (خلاصة الأثر 4/ 341).

● وفي السنة 1003 توفي السلطان مراد بن السلطان سليم العثماني، وخلفه ولده السلطان محمد، فكان أول ما صنعه أن عمد إلى إخوته، وهم تسعة عشر ولداً ذكراً، فخنقهم بأجمعهم، ومما بعث على التقزز أن المحبي الذي روى هذا الخبر، قال في وصف السلطان محمد أنه كان صالحاً، عابداً، ساعياً في إقامة الشعائر الدينية، مراعياً لأحكام الشريعة الشريفة، مطيعاً لأوامر الله، مداوماً للجماعة في الأوقات الخمس (خلاصة الأثر 4/ 216 ـ 354).

● يقول الأستاذ عبود الشالجي: ذكر الأستاذ جب في المجتمع الإسلامي والغرب 1/ 54 ـ 55 أن السلطان العثماني محمد الفاتح، فاتح القسطنطينية (835 ـ 856 ـ 886) كان قد شرع آيينا أوصى بموجبه كل من يتسلطن من آل عثمان، أن يقتل إخوته، وهذا ما أوصى به: **على أي واحد من أولادي تؤول إليه السلطنة، أن يقتل إخوته، فهذا يناسب نظام العالم، وإن معظم العلماء يسمحون بذلك ولهذا فعليهم أن يتصرفوا بمقتضاه.**

ونفذت هذه الوصية، وظلت متبعة حتى نهاية القرن السادس عشر (الميلادي). حتى وضع نظام آخر، أصبح لازماً بموجبه أن يحسب أفراد العائلة المالكة والأمراء كافة عدا أبناء السلطان، في مقاصير خاصة في القصر، ويحرم عليهم كل اتصال بالعالم الخارجي، وكانوا يقضون حياتهم في صحبة عدد قليل من الخصيان والجواري، والحشم، أما ما يولد لهم من الأطفال فلا يسمح لهم بالبقاء على قيد الحياة.

وكان قتل الوزراء ورجال الدولة، في العهد العثماني من السهولة بحيث أن صاحب تراجم الأعيان 2/ 282 ـ 283 روى في ثلاثة أسطر، أنّ السلطان أحمد (1012 ـ 1026) قتل وزيره قاسم باشا، وهو الذي كان قد أجلسه على سرير السلطنة عند موت أبيه، واستوزر صارقجي مصطفى باشا، ثم قتله واستوزر درويش باشا ثم قتله قتلة شنيعة.

● ويكفي للاستدلال على طراز الحياة الحافلة بالقلق، التي

كان يحياها الأمراء العثمانيون، أن نثبت ما أورده المحبي في خلاصة الأثر 4/ 363 ـ 365 قال: في السنة 1026 نصب السلطان مصطفى العثماني خلفاً لأخيه المتوفى السلطان أحمد، ثم ظهر أنه لا يصلح للملك، وكان ابن أخيه عثمان محبوساً فذهب مصطفى آغا ضابط الحرم إلى محبس عثمان، وفتح عليه الأبواب فذعر وحصل له رعب، وتخوف من أن يكون عمه قد أرسل إليه من يقتله، فقال له ضابط الحرم، لا تخف أنت صرت سلطاناً، فلم يصدق فأخذ يحلف له، وأخذه إلى موضع العرش وألبسه ثياب الملك، وأجلسه على التخت وقبل يده؛ كلّ هذا حصل، والسلطان مصطفى نائم عند والدته ولما علم بالخبر وافق على خلع نفسه، فحبس في الموضع الذي كان فيه السلطان عثمان محبوساً، ولما قتل السلطان عثمان في السنة 1031 أعيد مصطفى للسلطنة ثم عُزل في السنة 1032 ولم يعش بعد ذلك إلا قليلاً.

● وفي السنة 1027 خلع السلطان مصطفى العثماني، وبويع ابن أخيه السلطان عثمان بن السلطان أحمد، وهو ابن 14 سنة، وكان أول ما صنعه أن أمر بإحضار أخيه محمد، فأحضروه أمامه وكان السلطان جالساً على صفة وبيده كتاب يقرأ فيه، فاستعطف الأمير أخاه السلطان واستحلفه بالله أن لا يدخل في دمه، وأن لا يجعله خصمه يوم القيامة، وقال له: أنا أقنع منك برغيف في اليوم فما كان جوابه إلا أن أمر بخنق أخيه، فخنق بالوتر بين يديه، وكان آخر ما قاله الأمير لأخيه السلطان، سلط الله عليك من لا يرحمك، وفي السنة 1031 هاج العساكر، واتفقوا على قتل الوزير الأعظم دولاور

باشا، وضابط الحرم السلطاني والدفتردار، ومعلم السلطان المولى عمر، بحجة أنهم الذين حرضوا السلطان على السفر للحجّ، فامتنع السلطان عن تسليمهم، فهجموا على دار الخلافة، وأخرجوا السلطان مصطفى من سجنه وسلطنوه مجدداً، وقتلوا الصدر الأعظم دولاور باشا، وضابط الحرم وحسين باشا الصدر الأعظم السابق، وقبضوا على السلطان عثمان وأحضروه أمام عمه السلطان مصطفى، فأمر بحبسه، ونصب السلطان مصطفى زوج أخته داود باشا وزيراً أعظم، وقام بخنق السلطان عثمان وغسله وكفنه وصلى عليه، ودفنه وكانت سنه عند قتله سبع عشرة سنة (خلاصة الأثر 3/ 107 ـ 108).

● وفي السنة 1039 وثب الشريف مسعود بن إدريس بمكة، على أميرها أحمد بن عبد المطلب وقتله، واستقر في الإمرة في موضعه وتوفي في السنة 1040 (الأعلام 8/ 110).

● وفي السنة 1043 جاء إلى حلب السردار الأعظم محمد باشا، يحمل مرسوماً سلطانياً بقتل نوغاي باشا، فقتل وأرسل رأسه بلحيته البيضاء إلى جانب السلطنة، وهذا الوزير ممن سبقت لهم خدمات جلى للدين والدولة، وهو من أقدر الوزراء (خطط الشام 2/ 261).

● وروي أن السلطان مراد الرابع قتل مائة ألف إنسان، منهم خمسة وعشرون ألفاً بنفسه أو أمام عينيه (خطط الشام 2/ 267).

● وذكر صاحب مجلة لغة العرب البغدادية، أنه في السنة 1345

(1926م) بينما كان الأمير سلطان بن نايف أمير دبي، يتعشى معه أصغر أولاده فهجم عليه أخوه صقر بن نايف، وأطلق عليه الرصاص فأرداه قتيلاً وأراد الولد الصغير أن يفر فعاجله عمه صقر بضربة خنجر صرعته قتيلاً، واستولى صقر على الإمارة من بعده، وكان القتيل سلطان سبق له أن قتل أخاه حمدان في السنة 1341 (1922م) واستقر بدلاً منه في إمارة دبي (مجلة لغة العرب البغدادية ج5 سنة 4).

● وفي السنة 1377 (1958م) قامت فئة من الضباط في العراق، بعملية إبادة للعائلة المالكة، إذ حصروا قصرهم في وقت الفجر وأنزلوا الملك الشاب فيصل الثاني، وخاله الأمير عبد الإله والملكة العجوز نفيسة أم عبد الإله، وجدة الملك فيصل وابنتها الأميرة عابدة، وكانوا جميعاً في ثياب النوم، وضموا إليهم جميع خدم القصر وخادماته حتى الطباخ التركي، ثم وجهوا إلى الجميع نيران الرشاشات، فقتلوهم وأفلت من الجميع طفل يتيم اسمه جعفر، كانت الأميرة عابدية تقوم بتربيته، وأراد أن يلتجئ إلى زاوية من زوايا القصر، فعاجلوه برصاص رشاشاتهم فقتلوه (أسرار مقتل العائلة الحاكمة في بغداد 127 ـ 132).

التوسيط

● في القرن الثاني للهجرة، ظهرت عقوبة القتل بالتوسيط، أي ضرب الإنسان من وسطه بالسيف، وقطعه إلى قطعتين، ثم طوره السلطان محمد بن تعلق سلطان الهند (725 ـ 752) فكان يقتل الرجل بقطعه إلى ثلاث قطع، الرأس والصدر والبطن مع الساقين (مهذب رحلة ابن بطوطة 2/ 85).

● وفي السنة 190 قدم مرو أبو محمد زياد مولى همدان الداعية العباسي، وجعل يطعم الطعام ويدعو بني العباس، فأحضره أسد القسري عامل خراسان، وأحضر معه آخرين من أصحابه، وعرض عليهم البراءة يريد البراءة من عليّ) فتبرأ اثنان فتركا وأبى البراءة ثمانية منهم فقتلوا، ونجا اثنان كانا غلامين، ولما قدّم زياد للقتل أمر أسد أن يُقطع وسطه فمد بين اثنين وضرب فنبا السيف، فكبر أهل السوق فقال أسد: ما هذا؟ فقيل له لم يحك السيف فيه، فأعطاهم سيفاً من عنده، وأخرج زياد في سراويل، واجتمع عليه الناس فضرب فنبا السيف، ثم ضرب ثالثاً فقطعه إلى نصفين، ولما

كان من الغد، جاء أحد الغلامين وسأل أسداً أن يلحقه بأصحابه، فدعا أسد بسيف بخار خداه، فضرب عنقه بيده وذلك قبل الأضحى بأربعة أيام (الطبري 7/ 50 وابن الأثير 5/ 144).

● وفي السنة 167 أحضر المهدي العباسي، صالح بن عبد القدوس متهماً بالزندقة، وضربه بالسيف فقده نصفين، وعلقه ببغداد (الأعلام 3/ 277).

يقول الأستاذ عبود الشالجي: صالح بن عبد القدوس البصري، مولى الأزد شاعر أديب، محدّث، واعظ، قاصّ، كان يعظ بالبصرة ويقص، أحضره المهدي في السنة 167 وكان شيخاً كبيراً، **فوجه إليه تهمة الزندقة، هذه التهمة التي كان المستبدون يلجأون إليها ليتخذوا منها سبباً لقتل من أرادوا قتله من أنصار حرية الرأي**، فقال صالح للمهدي: يا أمير المؤمنين، ما أشركت بالله طرفة عين فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: إدرأوا الحدود بالشبهات، وجعل يتلو عليه القرآن حتى رق له، وأمر بتخليته فلما ولى قال له: ألست القائل:

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا أرعوى عاد إلى غيه كذي الضنى صار إلى نكسه

قال: بلى يا أمير المؤمنين، قال: فأنت لا تترك أخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك على نفسك، وضربه بالسيف فقده نصفين وصلبه ببغداد، فانظر رحمك الله إلى هذه الحجة التافهة التي احتج بها المهدي، على هذا الشيخ حتى قتله ظلما، للتفصيل راجع

وفيات الأعيان 2/ 303 وفوات الوفيات 2/ 116 وميزان الاعتدال 2/ 792 وتاريخ بغداد للخطيب 9/ 303، وصالح بن عبد القدوس هو صاحب البيت الذي أصبح مثلاً سائراً، وهو قوله:

لا يبلغ الأعداء من جاهل   ما يبلغ الجاهل من نفسه

● وروي أن غلاماً للأمير سنكلو التركي، قائد الأتراك في جيش عضد الدولة البويهي، أخذ من أحد الفلاحين بطيخاً على قارعة الطريق، ولم يؤد إليه ثمنه، وانتهى الخبر إلى عضد الدولة فطلب الغلام، فأخفاه سيده القائد رجاء أن يسكن غضب السلطان، فاستدعى عضد الدولة الأمير سنكلو، وأقسم لئن لم يحضر الغلام فسيعاقبه بدلاً منه، فملكه الرعب وأحضر الغلام، فأمر عضد الدولة فوسِّط بالسيف، وأجري الفرس بين شلويه، على سنة لهم في القتل (ذيل تجارب الأمم 51).

● وفي السنة 748 نقل أرغون شاه من نيابة حلب إلى نيابة دمشق، فوسط في طريقه مسلمين، وكان مقداماً على سفك الدم بلا تثبت، قتل بحلب خلقاً ووسط وسمر وقطع بدوياً سبع قطع بمجرد الظن، وغضب على فرس له قيمة كبيرة، مرح بالعلافة، فضربه حتى سقط ثم قام، فضربه حتى سقط وهكذا مرات، حتى عجز عن القيام، فبكى الحاضرون على الفرس (المختصر لأبي الفداء 4/ 148).



القتل بالشدخ بالعمود

الشدخ: الكسر والعمود: القضيب من الحديد، وكذلك الجرز، وهو العمود من الحديد، والبغداديون يسمونه: كراز، وإذا كان العمود من الخشب، سمي خشبا، والبغداديون يسمونه: دونكي.

● وأوّل من عذب بهذا اللون من العذاب، على ما بلغنا، أميران غلامان أمويان، هما الحكم وعثمان، ولدا الوليد بن يزيد، وكان قد بايع لهما من بعده، فلما قتل الوليد، اعتقل ولداه فلما توفي يزيد بن الوليد، المعروف بالناقص، وانتقض أمر أخيه إبراهيم من بعده، سار مروان بن محمد المعروف بالجعدي، من أرمينية إلى الشام، يطلب الخلافة فتصدى له جند الشام بقيادة سليمان بن هشام، في مائة وعشرين ألفاً، وكان مروان في ثمانين ألفاً فانكسر جند الشام، وقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً، ولما وصل سليمان إلى دمشق قال بعضهم لبعض: إن بقي الغلامان ابنا الوليد حتى يقدم مروان، ويخرجهما من الحبس ويصير الأمر إليهما، لم يستبقيا أحداً من قتلة أبيهما، والرأي أن نقتلهما وولوا ذلك يزيد ابن

خالد القسري، فأرسل يزيد مولى لأبيه يقال له خالد الأسعد، في عدة من أصحابه، فدخل السجن وقتل الغلامين شدخاً بالأعمدة، وأخرج يوسف بن عمر فضرب عنقه (الطبري 7/ 300 _ 302).

● وفي السنة 135 بلغ أبا داود القائد العباسي، أن أحد قواده عيسى بن ماهان، قد عابه في رسائل عدة كتبها إلى قوم فأحضره وحبسه، ثم دعا به وذكره صنائعه إليه وأنه كان يؤثره على أولاده، فأقر بذلك، فقال له أبو داود: فكان جزاء ما صنعته معك أن سعيت بي وأردت قتلي، فأنكر ذلك، فأخرج رسائله بخطه فضربه أبو داود حدين، ثم قال له: أما إني تركت ذنبك لك ولكن الجند أعلم، فأخرج في القيود فلما أخرج من السرادق وثب عليه حرب بن زياد، وجعفر بن دينار، فضرباه بعمود وبطبرزين فوقع إلى الأرض، وعدا عليه الآخرون فأدخلوه في جوالق، وضربوه بالأعمدة حتى مات (الطبري 7/ 467).

● ولما صار عبد الله بن علي إلى نهر أبي فطرس في فلسطين، نادى بالأمان لبني أمية، فاجتمع إلى جماعة منهم يزيد عددهم على الثمانين، فلما أخذوا مجالسهم قام سديف الشاعر، فأنشده:

لا يغرنك ما ترى من رجال إن بين الضلوع داءً دوياً

فضع السيف وارفع العفو حتى لا ترى فوق ظهرها أموياً

فأمر عبد الله بن علي الجند، فشدخوهم بالأعمدة حتى أتوا على جميعهم ثم أمر بالبسط، فبسطت على القتلى وأمر بالطعام فمد بين أيدي الناس (العيون والحدائق 3/ 207 و208).

● وذكر أن السفاح دخل عليه مشايخ بني أمية، ففاخره أحدهم ودخل الشاعر سديف فأنشده قصيدة ذكره فيها بظلم بني أمية وقتلهم بني هاشم، فأحمرت عينا السفاح، وأمر جند خراسان، فشدخهم بالخشب حتى قتلوهم، راجع التفصيل في كتاب الهفوات النادرة ص105 ـ 107.

● ولما جيء إلى المنصور في السنة 145 برأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، قتيل باخمرى، بصق في وجه إبراهيم رجل من الحرس، فأمر به المنصور، فضرب بالعمد فهشمت أنفه ووجهه، وضرب حتى خمد، ثم جروا برجله فألقوه خارج الباب (ابن الأثير 5/ 571).

● ودخل العباس بن محمد العلوي على الرشيد، فشتمه الرشيد وقال له: يا ابن الفاعلة، فقال له: تلك أمك التي تواردها النخاسون، فأمر به فأدني منه ثم ضربه بالجرز حتى مات (مقاتل الطالبيين 498).

● وظهر لدى المعتضد أن أحد وزرائه أغرى بعض الشهود، فشهدوا على زواجه بفتاة تعشقها، فأمر بصلب الشهود وأن يوضع الوزير في جلد ثور طري السلخ، ويضرب بالمزراب حتى يختلط عظمه ولحمه بدمه، ثم أمر به أن يرمى للسباع (تحفة المجالس للسيوطي 311 ـ 314).



القتل قعصا بالرماح

من الألوان الأخرى من العذاب، الطعن بالرماح، وما يشبه الرماح كالحراب والزوبنيات.

الرمح: كل عود طويل في رأسه أداة جارحة.

الحربة: والجمع حراب، آلة للحرب من الحديد، أقصر من الرمح وأخف محملاً منه.

الزوبين: حربة قصيرة ذات رأسين، والكلمة فارسية.

● وأول من مارس هذا اللون من العذاب معاوية بن أبي سفيان، ففي السنة 51 قبض عامل معاوية بالموصل على عمرو بن الحمق الخزاعي، من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب، وكان مريضاً قد أسقي بطنه، فأمر به معاوية فطعن في بطنه، فمات في الطعنة الثانية (الطبري 5/ 562).

● وقتل الحجاج بن يوسف الثقفي، ابن القرية أحد بلغاء العرب، بيده إذ أمر أربعة رجال، فأمسكوا به حتى لا يستطيع

حراكاً، ثم وضع الحجاج الحربة في ثندوءة ابن القرية ودفعها حتى خالطت جوفه، ثم خضخضها وأخرجها فأتبعها دم أسود فقال الحجاج: هكذا تشخب أوداج الإبل، وفحص ابن القرية برجليه وشخص ببصره، وجعل الحجاج ينظر إليه حتى قضى (الأخبار الطوال 322 و323).

الخنق

الخنق: الشد على الحلق، بقصد قطع النفس. وقد جرت ممارسة هذا اللون من العذاب منذ القديم.

يقول الأستاذ عبود الشالجي: كان في ماضي الأيام، قوم اتخذوا من الخنق صناعة، فإذا أحسوا بأن أحداً يحمل في ثيابه مالاً، خنقوه وأخذوا ما معه.

● خنق السجان في سجن يوسف بن عمر الثقفي بلال بن أبي بردة، في قصة بالغة الطرافة، فقد كان بلال سجيناً في سجن يوسف بن عمر الثقفي، وكان كل من مات في السجن، رفع السجان خبره إلى يوسف، فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله، فقال بلال للسجان: خذ مني عشرة آلاف درهم وأخرج اسمي في الموتى، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي، هربت في الأرض، فلم يعرف أحد خبري، فأخذ السجان المال، ورفع اسمه في الموتى، فقال يوسف: مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه، هاته فعاد إلى بلال

فقال: أعهد، قال: وما الخبر؟ قال: إن الأمير قال كيت وكيت، فإن لم أحضرك إليه ميتاً قتلني، ولا بد من قتلك خنقاً فبكى بلال، وسأله أن لا يفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق، فأوصى وصلى فأخذه السجان وخنقه، وأخرج إلى الأمير ميتاً فلما رآه، أمر بأن تسلم جثته إلى أهله فأخذوه، وهكذا فقد اشترى لنفسه القتل بعشرة آلاف درهم (نشوار المحاضرة رقم القصة 7/ 50 ج7 ص81).

● وقتل المنصور عمه عبد الله بن علي، بأن بعث إليه أبا الأزهر، فدخل عليه ومعه جارية له فبدأ بعبد الله، فخنقه حتى مات ثم مده على الفراش ثم أخذ الجارية ليخنقها فقالت: يا عبد الله، قتلة غير هذه القتلة فكان أبو الأزهر يقول: ما رحمت أحداً قتلته غيرها، فصرفت وجهي عنها وأمرت بها فخنقت، ووضعتها على الفراش وأدخلت يدها تحت جنبه، ويده تحت جنبها كالمعتنقين، ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما ثم أحضرنا القاضي ابن علاثة وغيره، فنظروا إلى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال ثم أمر به فدفن (مروج الذهب 2/ 241).

● وفي السنة 224 أراد المازيار بن قارن، صاحب طبرستان الخروج على المعتصم، فألح في استيفاء كامل الخراج، وكتب بذلك كتباً مؤكدة، وكان أحد المطالبين بالخراج واسمه علي بن يزداد، قد كسر الخراج واستتر، وترك ابنه الحسن رهينة في يد أصحاب مازيار، فأمر أبو صالح وكيل مازيار في سارية، بإحضار الغلام الحسن بن علي، فجيء به فأمر بصلبه فسأل الغلام أن يأذن

له أن يصلي ركعتين، فأذن له فطول في صلاته وهو يرعد، وقد مد له جذع، فجذبوا الغلام من صلاته ومدوه على الجذع وشدوا حلقه حتى اختنق ومات (الطبري 9/ 83).

● وفي السنة 618 بعث أمير مكة قتادة بن إدريس العلوي، ولده الحسن على رأس جيش للاستيلاء على المدينة، فوثب الحسن بن قتادة، وهو في الطريق على عمه فقتله، وكان معه في العسكر وعاد إلى أبيه بمكة، فخنقه وكان الأب في التسعين من عمره، ثم عمد الحسن إلى أخيه وكان نائباً عن أبيه بقلعة ينبع فأحضره إلى مكة، وقتله أيضاً (المختصر في أخبار البشر 3/ 131) ولم يطل أمده في الولاية إذ قصده صاحب اليمن في السنة 620 وطرده من مكة (ابن الأثير 12/ 401 - 40 و413).

● وفي السنة 624 قتل السلطان العادل في أحكام الله، أبو محمد عبد الله بن يعقوب بن يوسف الموحدي، خنقاً، اتفق الموحدون على خلعه ودخلوا عليه في قصره، وسألوه أن يخلع نفسه فامتنع، فوثبوا عليه ودسوا رأسه في خصة ماء كانت هناك، وقالوا له: لا نفارقك أو تشهد على نفسك بالخلع فقال: اصنعوا ما بدا لكم والله لا أموت إلا وأنا أمير المؤمنين، فوضعوا في عنقه عمامته وخنقوه بها (الأعلام 4/ 290).

● وفي السنة 644 قتل خنقاً الشيخ تاج العارفين شمس الدين الحسن بن عدي بن أبي البركات صخر بن مسافر، حفيد أبي البركات الشيخ العدي، قتله بدر الدين لؤلؤ، احتال عليه حتى

حضر إليه فحبسه، وخنقه بوتر، وكان تاج العارفين معظماً عند العدوية، وبلغ من تعظيمهم له أن واعظا قدم على الشيخ حسن فوعظه، فرق قلبه وبكى وغشى عليه، فوثب الأكراد على الواعظ فقتلوه، فلما أفاق الشيخ رآه يتشحط في دمه فقال: ما هذا؟ فقالوا: أيش هو هذا الكلب حتى يبكي سيدنا الشيخ، فسكت حفظاً لحرمة نفسه (شذرات الذهب 5/ 229).

● وفي السنة 646 جهز الملك الصالح أخاه العادل، وكان معتقلاً عنده بمصر، لينفيه إلى الشوبك، فدخل عليه محسن الخادم ليكلمه في السفر، فغضب منه ورماه بدواة كانت عنده، فخرج وأخبر الصالح فقال له الصالح: دبر أمره فأخذ معه ثلاثة أشخاص ودخلوا عليه، وخنقوه بشاش وعلقوه به وأظهروا أنه شنق نفسه (النجوم الزاهرة 6/ 316).

● وذكروا أن شجرة الدر أم خليل، خنقت وزيرها الأسعد شرف الدين الفائزي (الذيل على الروضتين 196) وقتلت زوجها السلطان عز الدين أيبك بمصر، أمرت مماليكها فخنقوه في الحمام في السنة 655 (الأعلام 3/ 231، والوافي بالوفيات 9/ 472)، وكانت عاقبة شجرة الدر «ملكة المسلمين وأم خليل أمير المؤمنين «أن قتلت ضرباً بالقباقيب في السنة 655 (الأعلام 3/ 231).

● وفي السنة 734 قتل السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، أخاه أبا علي عمر، فصدا وخنقا، وسبب ذلك: أنّ عمر هذا كان ولي عهد أبيه السلطان عثمان، وفي السنة 714

خرج على أبيه وقاتله وجرحه وخلعه، وتسلطن في موضعه ثم اتفق مع أبيه، فعاد الأب إلى عرشه وتولى عمر مدينة سجلماسة وما والاها مستقلاً، ثم عاود الانتفاض على أبيه فلم يفلح وعفا عنه أبوه ثانياً، كما عفا عنه أولاً، ولما مات الأب خلفه ولده أبو الحسن علي، فخامر عمر على أخيه وحاربه فانتصر عليه، وأسر أخاه عمر واعتقله ببعض حجر قصره، ثم قتله فصدا وخنقا (الأعلام 5/ 412 ونفح الطيب 5/ 156).

● وفي السنة 793 قتل خنقاً في سجن الجرائم بالقاهرة، القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر القرشي ابن الواعظ قاضي الشام، وكان قد أعان على خلع السلطان برقوق، ولما حاصر برقوق دمشق قام القرشي في وجهه، وحرض عليه العوام ولما انتصر برقوق قبض عليه، وحمل إلى مصر وحبس بسجن الجرائم في القاهرة، وقتل فيه خنقاً (الدر الكامنة 1/ 246).

● وفي السنة 799 قبض على الوزير المعروف بابن البقري (سعد الدين نصر الله، وكان والي القاهرة) وصودر وعوقب وضرب ضرباً شديداً وأخرج نهاراً وهو عاري البدن، مكشوف الرأس مربوطاً بحبل يجر به وثيابه مضمومة بيده ثم خنق (خطط المقريزي 2/ 96).

● وفي السنة 800 اتهم السلطان بمصر، الأمير علي باي بالتآمر عليه، فاعتقله وأحضره وأحضر المشاعلي، وأحضر المعاصير وعصر بحضرته، وفي اليوم الثاني عذب بين يدي السلطان عذاباً

شديداً، حتى كسرت رجلاه وركبتاه، ثم إن السلطان ضربه بعكاز كان في يده من الفولاذ، فخسف صدره فأخذ إلى الخارج وخنق (بدائع الزهور 1/ 2/ 56 و507).

● ولما فتح تيمولنك دمشق في السنة 803 كان من جملة ما عذب به الدمشقيين أن يربط رأس المعذب بحبل ثم يلوى حتى يغوص في لحمه، وكلما قارب الموت خلي عنه، ثم يعاد تعذيبه ويكرر عليه العذاب حتى يموت، ثم يعذب وهو ميت لظنهم أنه يتماوت (النجوم الزاهرة 12/ 244 و245).

● وفي السنة 982 توفي السلطان سليم بن السلطان سليمان، وفي يوم دفنه خنق أولاده الخمسة، خنقهم أخوهم مراد الذي خلف أباه في السلطنة (خطط الشام 3/ 239).

● وفي السنة 1003 قتل خنقاً في حبسه إبراهيم باشا، المعروف بدالي إبراهيم، أحد وزراء دولة السلطان العثماني مراد الثالث، وكان من الظالمين، قتل كثيراً من الناس في ديار بكر لما نصبه السلطان أميراً للأمراء فيها، وأخذ من المتاجر رجب خمسة آلاف ليرة ذهبية ثم أمر به فقطع إلى أربع قطع، واعتقل أحمد باشا وعماد الدين بك، وأهلكهما تحت العذاب فاعتقله السلطان مراد، ولما توفي السلطان مراد وخلفه ولده السلطان محمد أمر بقتل إبراهيم باشا، فدخل عليه كبير خواص خدم الديوان ومعه جماعة من الجلادين، مغيرين صورهم حتى لا يرتاب منهم، وجلس ذلك الكبير يكلمه ويشاغله، وجاء الجلادون من خلفه ووضعوا في عنقه

حبلاً، وقالوا: أمر بذلك السلطان، فرفع مسبحته مشيراً بالشهادة، ولما مات ألقوه في البحر (خلاصة الأثر 1/ 58).

● وفي السنة 1013 قتل نصوح باشا كافل حلب، السيد حسين نقيب الأشراف بحلب، قتله خنقاً وقتل معه اثنين من أصحابه، ورمى بجثتهم في الخندق، وكان المحرض له على ذلك السيد لطفي، شقيق السيد حسين، فإنه كان يحرض رجال الدولة على قتل أخيه، ويزعم لهم أنه يشرب الخمر، وأنه يلبس لبوس النصارى، ولما عاد نصوح باشا، من إحدى حروبه مكسوراً دسّ السيد لطفي إلى نصوح باشا من أخبره بأن أخاه السيد حسين قد فرح بانكساره، وأنه قد احتفل بذلك وأقام مولداً للفرح، فذهب الباشا بنفسه إلى دار السيد حسين، فسمع ضرب الدفوف وأصوات المغاني وإمارات السرور، وكان سببه أن بنت السيد حسين ولدت ولداً ذكراً، فاجتمع النساء للفرح ولكن نصوح باشا حسب أن الأمر كما ذكره له السيد لطفي، فطلب إحضار السيد حسين، فحضر ومعه اثنان من أصحابه، فأمر بهم نصوح باشا، فخنقوا ورمى بجثتهم في الخندق (خلاصة الأثر 2/ 108 و109).

● وفي السنة 1037 (1626م) أمر الشريف أحمد بن عبد المطلب، شريف مكة بالقبض على أبي الوجاهة الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي الحنفي، قاضي مكة ومفتي الحرم المكي، فحبسه ثم خنقه في الحبس (الأعلام 4/ 95 والمنجد).

● وفي السنة 1045 قتل خنقاً بقلعة دمشق، قاضي القضاة بها

المولى أحمد ابن الملاّ زين الدين المنطقي، وكان قد أطلق لسانه بحق بعض ولاة الأمور، فشكوه إلى السلطان فصدر الأمر بعزله، ثم ورد «أمر شريف» بقتله فأخذ إلى قلعة دمشق وخنق بها (خلاصة الأثر 1/ 200 و201).

● وفي السنة 1159 قتل خنقاً السيد فتحي بن السيد محمد الدفتري، تولى دفترية دمشق وكان ظالماً، وله أتباع يظلمون الناس، فلما ولي الوزير أسعد باشا العظم دمشق، كتب يشكوه إلى الدولة، وضمن تركته بألف كيس وصادف أن كان الصدر الأعظم حسن باشا، وكان يكره السيد فتحي فورد الأمر السلطاني بقتله، ولما وصل الأمر جيء بالسيد فتحي إلى سراي دمشق، وخنق في دهليز الخزنة التي عند حرم السرايا، وقطع رأسه وأرسل للدولة، وطيف بجثته في دمشق ثلاثة أيام في شوارعها وأزقتها، مكشوف البدن عرياناً وصودرت أمواله، وقتل بعض أتباعه وخدامه (سلك الدرر 3/ 279 ـ 287).

● وفي السنة 1205 أسندت ولاية دمشق إلى أحمد باشا الجزار للمرة الثانية، ودام حكمه فيها خمس سنين، فعامل الناس بقسوة عظيمة، حتى نزح كثير من السكان وتركوا أوطانهم، وكان في كل سنة يقتل في قلعة دمشق بدون تحقيق أناساً، وقد قتل في السنة 1206 مائة وستين رجلاً خنقاً، وفي السنة 1207 قتل نحو ستين (خطط الشام 3/ 8).

● وفي السنة 1223 وردت الأخبار من اصطنبول، بأن

الينكجرية تآمروا في ليلة السابع والعشرين من رمضان، وهاجموا السراي السلطاني، فقتلوا من وجدوا، أما مصطفى باشا البيرقدار فاختفى منهم في سرداب ولكنه مات تحت الردم، فسحبوه من رجله وعلقوه على شجرة، ومثلوا به وقتلوا قاضي باشا، وعبيد الله رامز قبودان باشا، وكان السلطان محمود لما شعر بمؤامرة الينكجرية عمد إلى أخيه السلطان المعزول مصطفى فخنقه (الجبرتي 3/ 245).

● وكان جلال الدين والي حلب في السنة 1227 قد عين اثنين من طرفه، يتجسسان على الناس ويقدمان قوائم بأسماء من ينبغي مصادرته، ومقدار ما يقتضي أن يصادر عليه، فيقولان هذا يستحق جرمين، والجرم أربعون كيساً، والكيس خمسمائة قرش، فيحضر ويطالب ويزج به في السجن في القلعة، ويوضع في رقبته زنجير له شوك، ويكلف بإحضار ما تقرر عليه، من جرم أو جرمين أو أكثر، فإن أدّى أطلق، ومن لم يؤد خلال ثلاثة أيام خنق ليلاً، وألقيت جثته تحت باب القلعة، وكلما خنقوا واحداً أطلقوا مدفعاً، فكان عدد المخنوقين يعرف بعدد المدافع، وكان الناس في اليوم الثاني يتحدثون بأن فلان ضربوا طوبه، أي إنه خنق، وكانوا لا يمكنون أهالي المخنوق من رفع جثته، بل يضعون عسكراً يحافظون على الجثث الملقاة في الخندق، وربما جاء بعض أهالي المخنوقين ليلاً، فيتسللون إلى حيث جثة قريبهم فيحملونه، أو يحملون بعض أعضائه إذا كانت أوصاله مقطعة إلى حيث دفن (إعلام النبلاء 3/ 375 ـ 377).

• وفي السنة 1301 (1884م) قتل أحمد مدحت باشا، أبو الأحرار في سراي الطائف، حيث كان معتقلاً، وقطع رأسه وأرسل إلى السلطان عبد الحميد (مشاهير الشرق لجرجي زيدان 1/ 480).

الشــنق

الشنق: ربط عنق المعذب بحبل، وتعليقه حتى يموت، وهذا اللون من العذاب كان يمارس منذ ابتداء العهد الأموي.

● وأول من مارس هذا اللون من العذاب في الإسلام، زياد بن أبيه، جيء إليه برشيد الهجري، من أصحاب الإمام علي، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ولسانه، ثم صلبوه خنقاً في عنقه (شرح نهج البلاغة (ص/ 294).

وسار على نهج زياد، ولده السيّئ الصيت عبيد الله بن زياد، فإنه خطب في المسجد فرد عليه عبد الله بن عفيف الأزدي، وكان شيخاً ضريراً فأمر به فصلب في المسجد (ابن الأثير 4/ 83).

● وفي السنة 118 نزل أسد القسري أمير خراسان، على بلخ وبعث الكرماني إلى قلعة التبوشكان، فحاصرهم حتى عطشوا وجاعوا، ونزلوا على حكم أسد، فحكم بأن يحمل إليه خمسون رجلاً من رؤسائهم سماهم، فحملوا إليه فقتلهم وكان حكمه في

الباقين أن يقسموا أثلاثاً، فثلث يصلبون وثلث تقطع أيديهم وثلث تقطع أيديهم وأرجلهم، وكان المصلوبون أربعمائة (الطبري 7/ 109 - 111).

● وفي السنة 188 هاج أهالي قرطبة على أميرهم الحكم، صاحب الأندلس، لتظاهره بشرب الخمر والانهماك في الملذات، فأنكروا فعله ورجموه بالحجارة، واجتمعوا على محمد بن القاسم المرواني وبايعوه، وعلم الحكم بالحال فاعتقل الذين قاموا بذلك، وصلبهم عند قصره، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً من خيار الناس (ابن الأثير 6/ 189).

وغضب هارون الرشيد على منجم يهودي، فأمر به فصلب وسبب ذلك، أن منجماً يهودياً زعم للرشيد أنه يموت في سنته التي هو فيها، فغمه ذلك غماً شديداً، فقال جعفر البرمكي وزير الرشيد للمنجم: وهل تعرف مدى عمرك؟ قال: نعم، وذكر أمداً طويلاً، فقال جعفر للرشيد: أقتله الآن لتعلم أنه كاذب في تعيين عمرك كما كذب في تعيين عمره، فأمر به الرشيد فصلب (أعلام النبلاء 1/ 159).

● وبلغ أما جور التركي أمير دمشق للمعتمد، أنّ أعرابياً أهان جندياً من جنوده، بأن نتف شعرتين من شاربه، فأمر بالأعرابي فنتف شعر بدنه كله، من أجفانه ورأسه ولحيته، وما ترك على جسمه شعرة، ثم ضربه ألف سوط وقطع يديه ورجليه وصلبه (الوافي بالوفيات 9/ 376).

التغـريق

وهو من العذاب بكتم النفس، ويتم بتغطيس المعذب في الماء حتى يختنق.

● وأوّل من مارس هذا العذاب، فيما بلغنا بسر بن أبي أرطأة العامري، أحد أتباع معاوية، بعث به معاوية بن أبي سفيان إلى الحجاز واليمن، لقتل أنصار الإمام علي بن أبي طالب، فقتل بها مقداراً عظيماً من المسلمين، ووجد قوماً من بني كعب وغلمانهم على بئر لهم، فألقاهم في البئر (الطبري 5/ 176).

● ثم مارس هذا اللون من العذاب المهدي العباسي، فإنه في السنة 166 طلب من سماهم: الزنادقة، فقتل وسبى وغرق خلقاً منهم (العيون والحدائق 3/ 279).

● من الكتّاب، هم محمد بن غالب الأصبهاني، صاحب ديوان الرسائل، ومحمد بن بشار، وابن منارة النصراني، لشيء بلغه عنهم، فأوثقهم بالحديد وأحضرهم إلى البصرة، وكان آخر العهد

بهم، وذكر أنهم غرقوا في الطريق، وفي ذلك يقول علي بن بسام:

عذرناك في قتلك المسلمين وقلنا عداوة أهل الملل

فهذا المناري ما ذنبه؟ ودينكما واحد لم يزل

● وفي السنة 747 بلغ سلطان اليمن، أن جماعة من المماليك الغرباء على وشك المناداة بابن أخيه، الملك الفائز أبي بكر بن حسن، سلطاناً بدله، فاعتقل ابن أخيه في تعز، حيث مات في سجنه بعد قليل، ثم اعتقل جماعة من المماليك الغرباء وأتلفهم قتلاً، وشنقاً وتغريقاً (العقود اللؤلؤية 2/ 79/ 80).

● وفي السنة 920 لما ظهر البرتقال في بنادر الهند، وسواحل الجزيرة العربية، جهز السلطان الغوري خمسين غراباً (نوع من السفن) مع الأمير حسين الكردي، وأرسل معه عسكراً عظيماً من الترك والمغاربة واللاوند، وجعل له جدّة إقطاعاً، فوصل الأمير حسين إلى جدة، وعسف الناس عسفاً عظيماً، ثم توجه إلى الهند في السنة 921 فاجتمع بسلطان كجرات خليل شاه فأكرمه، وعظمه وهرب الفرنج عن البنادر لما سمعوا بوصوله، ثم عاد الأمير حسين الكردي إلى اليمن، فقتل ملوكها وسلاطينها، وترك بها نائباً اسمه برسباي الجركسي، ثم عاد حسين إلى جدّة، فبلغه زوال دولة الغوري فذهب إلى مكة، فورد على شريف مكة، أمر السلطان سليم بقتل الأمير حسين الكردي، فأخذه شريف مكة بغتة وقيده، وأرسله إلى بحر جدة فغرقه فيه (شذرات الذهب 8/ 115).

وفي السنة 1228 بلغ الكتخدا أن تركياً في القاهرة اسمه حسن

لبلبي، وهو رجل درويش، يدخل إلى بيوت الأعيان والأكابر من الأتراك وغيرهم، وفي جيوبه الحمص المجوهر ويسمونه بالتركية لبلبي، فيفرق على أهل المجلس منه ويلاطفهم، فمن أعطاه شيئاً أخذه، ومن لم يُعطه لم يطلب منه شيئاً، وربما قال له بعضهم: انظر لي ضميري، أو فألي، فيعد على سبحته أزواجاً وأفراداً ثم يقول: ضميرك كذا وكذا، فيضحكون منه، فوشي بحسن أفندي هذا إلى الكتخدا بأنه كان يقول للطيف باشا إنه سيلي سيادة مصر، فلما أرسل الكتخدا العساكر لاعتقال لطيف باشا، أحضر حسن لبلبي وقال له: أين لطيف باشا؟ فقال: لا أدري، فقال له: انظر في حسابك هل نجده أم لا، فأمسك سبحته، وعدّها كعادته فقال: إنكم تجدونه وتقتلونه، فأشار الكتخدا إلى أعوانه فأخذوه، ونزلوا به وأركبوه على حماره، وذهبوا به إلى بولاق، فأنزلوه في مركب وانحدروا به إلى شلقان، وشلحوه من ثيابه وأغرقوه في البحر (الجبرتي 3/ 413 و414).



دفـن الإنسـان حيـاً

● أول من مارس هذا اللون من العذاب، زياد بن أبيه، بناء على أمر من معاوية بن أبي سفيان، حيث أمره في السنة 51 بقتل فتى أبى أن يبرأ من الإمام عليّ، إذ طلب معاوية من عبد الرحمن بن حسان، أن يتبرأ من علي، فأبى فبعث به إلى زياد وطلب منه أن يقتله شر قتلة، فدفنه زياد حيا (الطبري 5/ 25 ـ 277 والأغاني 17/ 152 و153 ابن الأثير 3/ 472).

● وفي السنة 64 لما هلك يزيد بن معاوية، وتولى بعده معاوية، خطب الناس وأخبرهم بأنه قد ضعف عن أمرهم، وأنه ابتغى لهم رجلاً مثل عمر بن الخطاب فلم يجد، وابتغى لهم ستة في الشورى مثل ستة عمر، فلم يجد، وقال لهم: أنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم، فوثب بنو أمية على عمر المقصوص، وكان معاوية يستشيره وقالوا له: أنت أفسدته ودفنوه حياً (خطط الشام 1/ 146).

وبلغ الوليد بن عبد الملك، تشبيب وضاح بزوجته أم البنين، فهم بقتله فسأله عبد العزيز ابنه من أم البنين، أن لا يقتله وقال له: إن قتلته حققت قوله، وتوهم الناس أن بينه وبين أمي ريبة، فأمسك عنه على غيظ وحنق، حتى بلغ الوليد أنه قد تعدى أم البنين إلى أخته فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز، فشبب بها. فاشتد غيظه وقال: أما لهذا الكلب مزدجر عن ذكر نسائنا وأخواتنا، ولا له عنا مذهب، ثم دعا به فأحضره وأمر ببئر فحفرت ودفنه فيها حياً (الأغاني 6/ 277).

● وكان الشاعر سديف من أشد المحرضين للسفاح على قتل بني أمية دخل عليه وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك، فأنشده:

لا يغرنك ما ترى من رجال ... إن تحت الضلوع داءً دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأمر السفاح بسليمان فأخذ وقتل، ودخل سديف على عبد الله بن علي وعنده نحو تسعين رجلاً من بني أمية على الطعام، فأنشده:

أصبح الملك ثابت الأساس ... بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميلٍ من الزمان وباس
لا تقيلن عبد شمس عثاراً ... واقطعن كل رقلة وغراس
واذكروا مصرع الحسين وزيداً ... وقتيلاً بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى ... ثاوياً بين غربة وتناسي

● فأمر بهم عبد الله، فضربوا بالعمد حتى قتلوا، وبسط عليهم الأنطاع فأكل الطعام عليها، وهو يسمع أنين بعضهم، حتى ماتوا جميعاً (ابن الأثير 5/ 429 ـ 431) ثم أخذ سديف يحض العلويين من آل الحسين، على العباسيين فلما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة، قال سديف:

إنا لنأمل أن ترتد إلفتنا   بعد التباعد والشحناء والإحن

وتنقضي دولة أحكام قادتها   فينا كأحكام قومٍ عابدي وثن

فانهض ببعتكم ننهض بطاعتنا   إن الخلافة فيكم يا بني حسن

فبلغت الأبيات أبا جعفر المنصور، فكتب إلى عبد الصمد بن علي، عامله بالحجاز أن يأخذ سديفاً، فيدفنه حياً ففعل (العقد الفريد 5/ 87 و88).

● وفي السنة 223 تآمر بعض القواد على المعتصم، وبايعوا العباس بن المأمون، وكان منهم عمرو الفرغاني، فلما نزل المعتصم بنصيبين، في بستان دعا صاحب البستان، وأمره فحفر بئراً قدر قامة، ثم عاد بعمرو وقال جردوه، فجرد وضربوه بالسياط، والبئر تحفر حتى إذا فرغ من حفرها، أمر المعتصم فضرب وجه عمرو وجسده بالخشب، فلم يزل يضرب حتى سقط، ثم قال: جروه إلى البئر فاطرحوه فيها، فطرح في البئر وطمت عليه (ابن خلدون 3/ 265 وتجارب الأمم 6/ 501 والطبري 9/ 77).

● وكان المعتضد قليل الرحمة، إذا غضب على قائد أمر بأن يلقى في حفرة ويطم عليه (تاريخ الخلفاء 368).

● وكان المعتضد إذا غضب على القائد النبيل أو من يختصه من غلمانه، أمر أن تحفر له حفرة بحضرته ثم يدلى رأسه فيها ويطرح التراب عليه، ونصفه الأسفل على التراب، ويداس التراب، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره (مروج الذهب 2/ 496).

● وفي السنة 322 قتل إسحاق بن اسماعيل النوبختي، وكان سبب قتله أنه كان أراد شراء الجارية المعروفة برتبة، قبل الخلافة، وكانت موصوفة بالجمال والغناء، فزايده إسحاق فيها واشتراها، فلما استخلف القاهر اعتقل إسحاق، وأحضره وهو مقيد فأمر بطرحه في بئر في الدار، فرمي فيها بقيده وهو حي، ثم أمر بطم البئر عليه (ابن الأثير 8/ 295 و296 وتجارب الأمم 1/ 284 وتاريخ الخلفاء 387).

● وكذلك قتل القاهر في السنة 322 أبا السرايا الحمداني، لأنه كان قبل الخلافة أراد شراء جارية، فاشتراها أبو السرايا فاعتقله لما استخلف، وأحضره وهو مقيد وأمر برميه في بئر هناك، فما زال أبو السرايا يتضرع إليه ويسأله العفو، وهو لا يلتفت إليه وتعلق بسعف نخلة كانت بقرب البئر، فأمر القاهر بضرب يده، فضربت فخلى عن السعفة، ودفع في البئر ثم أمر بطم البئر فطمت (تجارب الأمم 1/ 284 ـ 285).

● وفي السنة 738 أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمل متواضع لتربية البقر والضأن بقلعة الجبل، ورسم لوالي القاهرة بتسخير العامة، وكان المشرف على العمل الأمير أقبغا وكان ظالماً غشوما فعسف بالرجال، وكلفهم السرعة في أعمالهم من غير

رخصة، ولم يمكنهم من الاستراحة، وكان الوقت صيفاً حاراً، فهلك جماعة كثيرة منهم في العمل لعجز قدرتهم عما كلفوه، وكان أحدهم إذا عجز ألقى بنفسه إلى الأرض، فيرمي أصحابه عليه التراب، فيموت لوقته (بدائع الزهور 9/ 120) وكذلك حصل الأمر لما أراد السلطان حفر الخليج، فإنه رسم لوالي القاهرة بتسخير العامة للعمل، فقبض على أعداد كثيرة منهم، وأخذ الناس من المساجد والجوامع والأسواق، حتى تستر الناس في بيوتهم خوفاً من السخرة، حتى إن الرجل منهم كان يخر إلى الأرض وهو يعمل، لعجزه عن الحركة فيردم رفاقه عليه الرمل فيموت من ساعته، واتفق ذلك لخلائق كثيرة (النجوم الزاهرة 9/ 127).



البناء على المعذّب

● أول من مارس هذا اللون من العذاب، عبيد الله بن زياد، فإنه لما بني داره بالبصرة مر بها رجل، فتلا آية من القرآن: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: 26] فأحضره عبيد الله وأمر فبنى عليه ركناً من أركان القصر (الهفوات النادرة 117 ـ 118 والمحاسن والمساوئ 2/ 165).

● ولما اعتقل المنصور بني الحسن في السنة 144 نظر إلى محمد بن إبراهيم بن الحسن وكان من أجمل الناس صورة، فقال له: أنت الديباج الأصفر؟ قال: نعم، قال: أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك، ثم أمر بأسطوانة مبنية ففرغت، ثم أدخل فيها فبنى عليه وهو حي (الفخري 164 وابن الأثير 5/ 526 والطبري 7/ 546).

● ويروى أن الرشيد أمر بيحيى بن عبد الله بن الحسن، فشد إلى جدار وسمر على يديه ورجليه، وسد عليه المنافذ بأن بنى عليه ركناً بالجص والحجر وهو حيّ (مروج الذهب 2/ 271 وشذرات الذهب 1/ 339).



هدم البناء على المعذّب

وهو من ألوان العذاب بكتم النفس، ويتم بإسكان المعذب في بناء متداع، أو مبني على أساس من الرمل أو الملح، وتسليط الماء عليه حين غفلة، لينهدم على ساكنه فيقتله.

● وأول من مارس هذا اللون من العذاب المنصور العباسي، إذ قبض في السنة 139 على عمه عبد الله بن علي، وكان قد أمنه فوضعه في بيت أساسه من الملح، وأجرى عليه الماء، فسقط عليه وقتله (الطبري 8/ 7 ـ 9 والعيون والحدائق 3/ 227).

● وفي السنة 387 قتل حسن بن عمار، أمين دولة الحاكم بمصر عيسى بن نسطورس، بأن رمى عليه حائطاً وعذب أصحابه وقتلهم (النجوم الزاهرة 55).

وفي السنة 796 حاصر تيمورلنك تكريت، وكان متوليها حسن بن بولتمور، فاستسلم بعد أن عاهده تيمورلنك أن لا يريق دمه، فلما استسلم بعث به إلى دار، ودس له من هدمها عليه (تاريخ العراق للعزاوي 2/ 210 ـ 211).



القتل بالسم

● أوّل من مارس دس السم في الإسلام، على ما ذكر المؤرخون معاوية ابن أبي سفيان، فإنه لما بلغه أن الإمام علياً ولى مالك الأشتر على مصر، كتب إلى دهقان القلزم، أن الأشتر قد ولي مصر، فإن أنت كفيتني إياه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت، فلما وصل الأشتر، استقبله الدهقان وأنزله وسقاه شربة عسل جعل فيها سماً، فلما شعر به مات، فلما بلغ معاوية وعمرو بن العاص موت الأشتر، قال عمرو بن العاص: إن لله جنوداً من عسل (دائرة المعارف الإسلامية 2/ 211 ومروج الذهب 1/ 605 والنجوم الزاهرة 1/ 103 ـ 104 وأسماء المغتالين 159 ـ 160 والطبري 5/ 95 و96).

● وكان معاوية دس إلى خالد بن المعمر السدوسي بالعراق، أن يدعو ربيعة إلى الوثوب بعليّ بن أبي طالب، ووعده ـ إن فعل ـ أن يوليه خراسان، ففعل خالد ذلك، فلما قتل علي، طالب خالد معاوية بخراسان، فاضطر أن يكتب له بعهده على خراسان، ودس

إليه رجلاً، فسقاه شربة بظهر الكوفة بقصر بني مقاتل فقتله (كتاب المغتالين 164).

● ولما أراد معاوية الناس على البيعة ليزيد، ورأى أن أشخاصاً لا يمكن أن يشايعوه على ما يريد، قرر إزاحتهم من الطريق، وعلى ذلك قيل إنه دس السم للإمام الحسن، ولسعد بن أبي وقاص، فماتا في أيام متقاربة (مقاتل الطالبيين 50 ومروج الذهب 1(619) والإمامة والسياسة (1/ 140).

● وكان الصلح بين الحسن ومعاوية، قد تم على أساس أن لمعاوية الخلافة، ما كان حياً فإذا مات فالأمر للحسن (الإمامة والسياسة 1/ 140 وتاريخ الخلفاء 192، 191)، فلما أراد أن يبايع بالعهد ليزيد من بعده، عرف أن ذلك لا يتم له ما دام الحسين حيا، فأرسل إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، امرأة الحسن: إنك إن احتلت في قتل الحسن زوجتك من يزيد، فبعثها ذلك على سمه (مروج الذهب 1/ 619).

● وذكر ابن أبي الحديد، في شرح نهج البلاغة 16/ 11 و49 أن الحسن توفي في السنة 49 عن سبع وأربعين سنة، دس إليه معاوية بن أبي سفيان سما على يد جعدة بنت الأشعث زوجة الحسن، وقال لها: إن قتلته بالسم فلك مائة ألف وأزوجك بيزيد، فلما مات وفى لها بالمال، ولم يزوجها من يزيد فخلف عليها رجل من آل طلحة، فأولدها فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام، عيروهم وقالوا: يا بني مسممة الأزواج.

● ولما حسب معاوية أنه قد أمن جانب المعارضة، خطب في أهل الشام، وقال لهم: إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه، ورق جلده ودق عظمه واقترب أجله، ويريد أن يستخلف عليكم فمن ترون؟ فقالوا: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فسكت ثم دس ابن أثال الطبيب إلى عبد الرحمن، فسقاه سماه فمات (كتاب المغتالين 168 ـ 169، الأغاني 16/ 197 والطبري 5/ 227 ـ 228).

● وفي السنة 73 توفي عبد الله بن عمر، وكان سبب موته أن الحجاج أمر بعض أصحابه، فضرب ظهر قدمه بزج مسموم فمات منها (الكامل لابن الأثير 4/ 363).

● واتهم يزيد بن عبد الملك نفراً بالخلع والخروج فأخذهم عمه محمد بن مروان وسجنهم، ودس لهم السم فماتوا جميعاً (الإمامة والسياسة 2/ 103 ـ 104).

● وفي السنة 141 كان الصميل بن حاتم رأس مضر محبوساً بقرطبة في سجن عبد الرحمن الداخل، فسم ومات وأدخل عليه مشيخة مضر، فوجدوه ميتاً وعنده كأس نقل، لإيهام الناس بأنه مات وهو سكران، فقالوا: يا أبا جوشن إنا لنعلم أنك ما شربت ولكن سقيت (ابن الأثير 5/ 499).

● وذكر أن المنصور قتل أبا حنيفة بالسم، دسه إليه وهو في حبسه، إذ كان أبو حنيفة قد نصر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن قتيل باخمري، وظفر المنصور بكتاب بعث به أبو حنيفة إلى إبراهيم لما ظهر، فحبسه وسقاه السم فمات (مقاتل الطالبين 367 ـ 368 وتاريخ الخلفاء 259).

● وذكر أن الهادي دس السم للربيع بن يونس الحاجب، وسبب ذلك أن الربيع كان قد أهدى للمهدي جارية اسمها أمة العزيز، فائقة الجمال فلما رأى المهدي جمالها قال: هذه لموسى أصلح ووهبها له، فكانت أحب الخلق إليه، وولدت له بنيه الأكابر، فبلغه أن الربيع يقول: ما خلوت بامرأة قط، أطيب خلوة من أمة العزيز، فدعاه فتغدى عنده ثم سقاه في الشراب سما فانصرف، ومات من ليلته، وأمة العزيز هذه تزوجها الرشيد من بعد الهادي، وهي أم علي بن الرشيد (كتاب المغتالين 196 ـ 197 والطبري 8/ 228).

● وفي السنة 416 ثار أهل قرطبة على خليفتهم محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر، الملقب بالمستكفي، وهو والد ولادة الشاعرة صاحبة ابن زيدون، وكان المستكفي قد استقر في الخلافة ستة عشر شهراً، وكان غاية في التخلف وقبيح الذكر فطرده القرطبيون وضجر منه أصحابه فشوى له أحدهم دجاجة، ووضع فيها شيئاً من البيش (حشيش سام ـ مفردات ابن البيطار 1/ 132 ـ 133). فأكلها ومات (المعجب للمراكشي 107 ـ 108 وابن الأثير 9/ 277 ـ 278).

● وفي السنة 419 توفي قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة البويهي، صاحب كرمان وكان ظالماً سيّئ السيرة، تكرهه الرعية وكان إذا شرب ضرب أصحابه، وضرب يوماً وزيره مائتي مقرعة، وحلفه بالطلاق أن لا يتأوه، قيل إنهم سموه فمات (ابن الأثير 9/ 368).

● وفي السنة 833 قتل الظاهر صاحب اليمن، اسماعيل بن عبد

الله العلوي الزبيدي بالسم، وتفصيل ذلك: إن الملك الظاهر يحيى بن اسماعيل رأى زوجة اسماعيل العلوي فأعجبه جمالها، فأمر زوجها اسماعيل بطلاقها، وضيق عليه حتى اضطر إلى طلاقها، فتزوجها الظاهر، وفر إسماعيل إلى مكة فلما بلغ الظاهر فراره، قتل أخا إسماعيل وهو شهاب الدين أحمد بن عبد الله العلوي الزبيدي، ونهب بيوتهم وأزال نعمتهم، ثم إنه دس إلى اسماعيل من قتله بالسم بمكة (الضوء اللامع 1/ 360 و2/ 301).



الإحراق والتعذيب بالنار والماء المغلي

كان الإحراق بالنار لوناً واحداً لا يتبدل، أما التعذيب بالنار فكان على أشكال وألوان، من تقريب إلى كوانين الفحم في شدة الحر، إلى صب الزيت على الرؤوس وإقامة المعذب في الشمس، إلى الكي بالسيخ المحمي، إلى ملء الطست جمراً وإقعاد المعذب عليه، أو وضعه على رأسه أو بطنه، إلى إلباس الرأس خوذة من الحديد المحمى بالنار، وقد عاقب أحد محتسبي القاهرة بائع كنافة، خالف التسعيرة فوضع صينية الكنافة على النار وأقعده عليها، أما السلطان محمد بن تغلق سلطان الهند، فكان من جملة ما يعذب به الناس، أن تحمى صفيحة الحديد ثم تلصق على صدر المعذب فإذا قلعت، ذهبت بجلد الصدر وبعض اللحم، فيذر على الجرح البول والرماد ليكون ألم المعذب أشد.

أما التعذيب بحبس الإنسان في حمام حار، فقد كان متعارفاً في جميع الأوقات.

● وثمة لون آخر من العذاب بالنار، وهو العذاب بالماء المغلي، ويكون بسلق المعذب في ماء مغلي، وهذا اللون من العذاب فضلاً عن كونه قليل الحدوث، فهو لون ليس بالقديم، وأول ما بلغنا عنه، ما صنعه الخوارج الذين خرجوا على الإمام عليّ، على أثر التحكيم فإنهم صبحوا حياً من أحياء العرب، فقتلوا الرجال والنساء والأطفال وأخذوا قسماً من الصبيان فألقوهم في قدور الأقط وهي تفور (مروج الذهب 2/ 149).

● وذكر ابن الأبار في تحفة القادم، أن إبراهيم بن أحمد بن همشك، كان قد ملك في الفتنة جيان، وشقورة، وكثيراً من أعمال غرب الأندلس، كان يعذب الناس بإحراقهم وبرميهم بالمجانيق، ودهدهتهم كالحجارة من أعالي النيق (الوافي بالوفيات 1/ 214).

● وفي السنة 768 رسم السلطان بالقاهرة بتعذيب الصاحب فخر الدين بن قروينة لاستخراج ما عليه من الأموال المقررة، فضرب غير ما مرة بالمقارع، ولفت أصابعه اليمنى بالمشاق، وغمست في الزيت ثم أشعلت بالنار، حتى احترقت يده كلها، واستمر يعاقب حتى مات تحت العقوبة (بدائع الزهور 1/ 2/ 55 و64).

● ولما استولى تيمورلنك على بغداد في السنة 795 فرض على الناس في بغداد مال الأمان، وعذبهم على أدائه وكان يشوي الناس على النار، كما يشوى طائر الإوز أو طائر الدجاج (تاريخ الغياثي ص113 حاشية ونزهة النفوس ص366).

القتل بتمزيق البدن

ويتم هذا اللون من العذاب بأن يربط البدن من طرفيه، ثم يجذب كل طرف إلى جهة جذباً عنيفاً، فتتمزق أوصال البدن تبعاً لقوة الجذب.

● وأول من مارس هذا اللون من العذاب طاهر بن الحسين، القائد المعروف بابن حمزة الخارجي، دخل في السنة 180 إلى بوشنج، وهي بلدة طاهر بن الحسين، فانتهى إلى مكتب فيه ثلاثون غلاماً فقتلهم، مع معلمهم فغضب طاهر، وكان يلي بوشنج فأتى بلدة فيها قعدة الخوارج فقتلهم، وكان يشد الرجل منهم في شجرتين يجمعهما ثم يرسلهما، فتذهب كل شجرة بجزء منه (ابن الأثير 6/ 151).

● وكان من جملة ألوان العذاب التي يعذب بها إبراهيم بن محمد بن همشك صاحب شقورة رعاياه، أن يربط الواحد منهم إلى أغصان شجرتين مضمومتين ثم يطلقها، فتذهب أغصان كل شجرة بقسم من الأعضاء.

● وذكر الوزير لسان الدين بن الخطيب إبراهيم هذا، في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة (305 ـ 311) وقال عنه: إنه كان رئيساً جريئاً شجاعاً مقداماً، شديد الحزم سديد الرأي، عارفاً بتدبير الحروب، حمي الأنف، عظيم السطوة، مرتكباً للعظائم، وكان جباراً قاسياً، فظاً غليظاً، شديد النكال عظيم الجرأة، والعبث بالخلق، كان يعذب ويحرق بالنار، ويقذف الناس من الشواهق والأبراج، ويخرج الأعصاب والرباطات عن الظهور، وكان يضم أغصان الشجر العادي، بعضها إلى بعض، ويربط الإنسان بينها ثم يطلقها، فيذهب كل غصن بقسم من الأعضاء، وفي السنة 556 حصر غرناطة وفتحها عنوة، وأسر من جندها جماعة فأفحش فيهم المثلة، بمرأى من إخوانهم المحصورين، ثم نهض إليه جيش من مراكش، فطرده عن غرناطة، ثم حاربه صهره الأمير محمد بن مردنيش، بعد أن طلق ابنته فانكسر إبراهيم، ولاذ بالموحدين في السنة 565 وأقام بمكناسة إلى أن مات.

● وكان والي القاهرة علاء الدين البرواني، المتوفى سنة 740 ظالماً عسوفاً وكان يعلق الرجل بيديه، ويعلق الأثقال في رجليه، فتنخلع أعضاؤه ويموت (النجوم الزاهرة 9/ 323).

● وكان رافع بن الليث بن نصار بن سيار، خرج إلى الريد، ولبس البياض وتغلب على بلاد ما وراء النهر، وذلك في السنة 190 وحاربه عامل خراسان، علي بن عيسى بن ماهان، فكان الظفر لرافع فخرج إليه الرشيد في السنة 193، فلما بلغ طوس اشتد به

المرض، وأدخل عليه أخو رافع أسيراً ومعه آخر من قرابته، فدعا الرشيد بقصاب وقال له: لا تشحذ مديتك وفصله عضواً عضواً، وعجل لئلا يحضرني أجلي، وعضو من أعضائه في جسده، ففصله ثم جعله أشلاء، فقال له: عدّ ما فصلت منه، فإذا هو أربعة عشر عضواً، راجع التفصيل في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي تحقيق عبود الشالجي، رقم القصة 358.

● وبعث الحاكم الفاطمي في السنة 397 جيشاً بقيادة ينال الطويل، لقتال الثائر أبي ركوة، فانتصر أبو ركوة، وأسر ينال الطويل فأحضره، وقال له: إلعن الحاكم، فبصق ينال في وجه أبي ركوة، فأمر به أبو ركوة فقطع إربا إربا (النجوم الزاهرة 4/ 216).

● وفي السنة 500 تقدم أحد الباطنية للوزير فخر الملك بن نظام الملك، وناوله قصة ثم ضربه بسكين فقتله، فأخذ الباطني وفصل على قبر فخر الملك عضواً عضواً (النجوم الزاهرة 5/ 194).

● وفي السنة 566 لما توفي المستنجد، وبويع ولده المستضيء، استدعي وزير المستنجد أبو جعفر بن البلدي للمبايعة، فلما دخل إلى دار الخلافة، صرف إلى موضع وقطع قطعاً وألقي في دجلة (ابن الأثير 11/ 362).



القتل والتعذيب بالسلخ

السلخ (بفتح السين) كشط الجلد. والسلخ (بكسر السين) جلد المسلوخ. والتعذيب بسلخ الجلد، من أشد ألوان العذاب، وقد مارسه أناس عظيمو القسوة.

● وأول ما بلغنا من أخبار هذا اللون من العذاب، ما ذكره صاحب أنساب الأشراف 5/ 932 عما عذب به ابن كامل، أحد قواد المختار الثقفي، زياد بن رقاد الجنبي، أحد من شارك في مقاتلة الحسين وأصحابه في معركة الطف في السنة 60، وكان زياد هذا قد رمى فتى من آل الحسين، كانت يده على جبهته، فأثبت يده في جبهته، ثم رماه بسهم آخر ففلق قلبه، ثم عاد فنزع أسهمه منه، وهو ميت فبعث إليه المختار قائده ابن كامل في جماعة، فأحاطوا بداره فخرج إليهم مشهراً سيفه، فقال ابن كامل: لا تضربوه ولا تطعنوه، ولكن ارموه بالنبل والحجارة، ففعلوا ذلك حتى سقط، ودعا له ابن كامل بنار فأحرقه بها، ويقال أنه سلخ جلده وهو حيّ حتى مات (أنساب الأشراف 5/ 239).

• وممن سلخ جلده أبو نخيلة الراجز، دس إليه المنصور العباسي، أن ينظم شعراً في تقديم المهدي لولاية عهده، وتنحية عيسى بن موسى، فنظم رجزاً ودخل على المنصور وعيسى بن موسى حاضر، وأنشده:

دونك عبد الله أهل ذاكا   خلافة الله التي أعطاكا

إنا تنظرنا لها أباكا   ثم انتظرنا بعده إيّاكا

أسند إلى محمد عصاكا   فابنك ما استرعيته كفاكا

ثم أنشده رجزاً آخر منه:

ليس ولي عهدها بالأسعد   عيسى فزحلقها إلى محمد

فقد رضينا بالهمام الأمرد   فرده منك رداءً يرتدي

وبادر البيعة ورد الحشد   حتى تؤدي من يد إلى يد

فلما أنشدها المنصور سر وفرح، وكتب لأبي نخيلة بمائة ألف درهم على الري، فخرج إلى الري لأخذها فوجه إليه عيسى بن موسى مولى له اسمه قطري، فظفر به بساوة، دخل عليه وهو في بيت خمار وقد ثمل، وقال له وقد أضجعه ليذبحه: يا ابن المومسة هذا أوان صر الجندب ثم ذبحه، وسلخ وجهه وهرب غلمانه بماله ودوابه (الهفوات النادرة 85 ـ 89 والأوراق للصولي 314).

• وقد وصف لنا التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، كيفية سلخ الجلد، وفقاً لما مارسه المعتضد في قرطاس، أحد رماة صاحب الزنج وهو رامٍ بالسهم، مشتهر بإصابته ومن اسمه

اشتقت القرطسة، أي الإصابة الدقيقة، يقال: رماه فقرطسه، وقد رمى قرطاس الموقف والد المعتضد بسهم فأصاب ثندوءته، وقال له: خذها مني وأنا قرطاس، فذهبت مثلاً وحمل الموفق صريعاً في حد التلف، ونزع السهم مقطناً فبقي الزج في مكانه وجمع وانتفخ وأمد (جمع مدة) وأجمع الأطباء على بط الجرح والموفق لا يمكنهم، ثم احتالوا عليه فربطوه ونجا الموفق، فلم يزل المعتضد ابن الموفق يجهد نفسه، حتى وقع قرطاس في يده، فأخذه فقدّ من أصابعه الخمس أوتاراً، بأن قلع أظفاره وسلخ جلد أصابع كفه من رؤوسها إلى أكتافه، وعبر بها صلبه وكتفيه إلى آخر أصابعه الأخرى، وجلد بني آدم غليظ فخرج له ذلك فأمر بأن تفتل أوتاراً وصلب بها قرطاس. راجع القصة مفصلة في كتاب نشوار المحاضرة ج1 ص153 ـ 155 رقم القصة 1/ 78.

● وفي السنة 341 أسر معبد بن حرز الزناتي بالمغرب، وجيء به إلى المنصورية وطيف به وبابنه وقد أشهرا وقطعت يدا ولده ورجلاه وهو يرى ذلك في باب أبي الربيع ثم صلب، أما معبد فقد سلخ جلده وهو حي، فلم يتحرك وحشي جلده تبنا (العيون والحدائق ج4 و28 ص195).

● وفي السنة 824 قتل الشيخ عماد الدين علي النسيمي الصوفي، بأن سلخ جلده، **وكانت التهمة الموجهة إليه الزندقة، هذه التهمة التي يحتج بها كل حاكم متسلط، لقتل خصومه السياسيين، أو من يخاف منه لسبب من الأسباب**، وكان النسيمي على علاقة

بعلي باك ذي الغادر (ذي القدر) وأخيه ناصر الدين، وعثمان قرايلوك وكان هؤلاء خصوم الملك الظاهر، سلطان مصر والشام، والظاهر أن السلطان أراد أن ينتقم منهم بقتل عماد الدين، فأوعز بأن يحاكم أمام القضاة بحلب، وتصدى لاتهامه ابن الشنقشي الحنفي فادعى عليه بالزندقة، فقال الأمير يشبك نائب السلطنة، إن أنت لم تثبت ما تقول فإني أقتلك، فأحجم ونكص عند سماعه ذلك، هذا والنسيمي يكرر التلفظ بالشهادتين، وينفي التهمة الموجهة إليه، فحضر شهاب الدين بن هلال وأفتى في المجلس بأن النسيمي زنديق، وأنه يجب قتله، وكتب بذلك فتوى فلم يوافقه القضاة على ذلك، وامتنع الأمير يشبك من تأييد الفتوى، وكتب إلى السلطان بقصته فكتب إليه السلطان يأمره بأن يشهره بحلب سبعة أيام، وينادي عليه ثم يسلخ جلده، وتقطع أعضاؤه ويرسل قسم منها لعلي بك ذي الغادر وأخيه ناصر الدين، وقسم لعثمان قرايلوك، ففعل ذلك (أعلام النبلاء 3/ 15 ـ 16).

● وفي السنة 1008 قتل إمام اليمن عامر بن علي بأن سلخ جلده، إذ أسره الأتراك وأشهروه في كوكبان وشبام، وأرسله علي بن شمس الدين، أمير كوكبان مع جماعة من الرتك إلى الكتخدا سنان في حمومة، فأمر به الكتخدا فسلخ جلده، وصبر فلم يسمع له أنين ولا شكوى، إلا قراءة قل هو الله أحد، ثم إن سناناً ملأ جلده تبناً وحمله على جمل إلى الوزير حسن باشا في صنعاء، فشهر جلده على الدهابر ودفن سائر جسمه بحمومة، ثم نقل إلى خمر (خلاصة الأثر 2/ 264).

القتل بألوان أخرى من العذاب

وقد سجل لنا التاريخ حوادث، ذكر فيها قتل أشخاص بالعذاب، ولكنه لم يذكر ألوانها وأصنافها، وهي من الكثرة بحيث لا يتسع مؤلف لاستيعابها وفيما يلي أمثلة منها:

● أمر الحجاج بن يوسف الثقفي بأحد عماله، وهو آزاد مرد بن الفرند، فحمل إلى معد صاحب عذابه، فدق يده ودهقه ودق ساقه، وحمل على بغل معترضاً، يدار به في الدروب، راجع تفصيل القصة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي (ج1 ص136 ـ 147 رقم القصة 1/ 69).

● وفي السنة 97 قتل في العذاب جميع الرجال من آل الحجاج الثقفي، آل أبي عقيل، منهم محمد بن القاسم الثقفي، أمير السند، والحكم بن أيوب الثقفي، وهو ابن عم الحجاج، كان الحجاج قد زوجه أخته زينب، وولاه البصرة، فلما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة، أمر صالح بن عبد الرحمن عامل واسط، وكان الحجاج

قد قتل أخاه آدم، أن يجمع آل الحجاج جميعهم، وأن يعرضهم على العذاب، فجمعهم وبسط عليهم العذاب حتى قتلهم جميعاً، نالهم شؤم الحجاج، وكان الحكم ومحمد بن القاسم، من جملة من مات تحت العذاب (ابن الأثير 4/ 588 و589 والأعلام 2/ 294 ـ 7/ 225).

● كان المتوكل يحقد على محمد بن عبد الملك الزيات أمورا، فلما ولي الخلافة قبض عليه وعذبه في تنور كان ابن الزيات قد اتخذه لتعذيب من يريد تعذيبه، وهو من خشب فيه مسامير من حديد، أطرافها إلى داخل التنور وتمنع من في داخله من الحركة، وكان ضيقاً بحيث أن الإنسان كان يمد يديه إلى فوق رأسه ليقدر على دخوله لضيقه، ولا يقدر من يكون فيه أن يجلس فيه، فبقي فيه أياماً ومات، وكان ذلك في السنة 233 (الكامل لابن الأثير 6/ 454 ـ 525 و7/ 29 ـ 43). راجع في نشوار المحاضرة للتنوخي، في القصة 1/ 2 المحاورة التي جرت بين ابن الزيات وهو في التنور، وأحد أتباعه، وراجع الطبري 9/ 145 ـ 160 ووفيات الأعيان 5/ 100 ومروج الذهب 2/ 393).

● وقبض المعتضد على شخص اتهمه بسرقة عشر بدر، كانت معدة في منزل صاحب الجيش، لتصرف في الجند فرفق به، **فأنكر فتهدده فأنكر فضربه بالسوط، والقلوس، والمقارع والدرة، على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه وأسفل رجليه، وكعابه وعضله، حتى لم يكن للضرب موقع فلم يقر، فأمر بترفيهه وأطعمه فلما نام، أيقظه سريعاً وقرره فأقر ودله على موضع المال المسروق، فأمر به فقبض**

على يديه ورجليه وأوثق، ثم أمر بمنفاخ فنفخ في دبره، وأتي بقطن فحشي في أذنيه، وفمه وخيشومه، وأقبل ينفخ، وخلي عن يديه ورجليه من الوثاق، وأمسك بالأيدي وقد صار كأعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة، وقد عظم جسمه وورمت سائر أعضائه، وامتلأت عيناه وبرزتا، حتى كاد أن ينشق، ثم أمر ففصد في عرقين فوق الحاجبين، فأقبلت الريح تخرج مع الدم ولها صوت وصفير إلى أن خمد وتلف (مروج الذهب 2/ 507 _ 509).

● وكان المعتضد يأمر بالرجل فيكتف ويقيد، ويؤخذ القطن فيحشى في أذنه وخيشومه وفمه، وتوضع المنافخ في دبره حتى ينتفخ ويعظم جسمه، فيسد الدبر بشيء من القطن، ثم يفصد، وقد صار كالجمل العظيم من العرقين اللذين فوق الحاجبين، فتخرج النفس من ذلك الموضع (مروج الذهب 2/ 496).

● وفي السنة 333 ورد أبو الحسين البريدي الحضرة، وسعى في ضمان البصرة، فبلغ ذلك ابن أخيه أبا القاسم، فأنفذ إلى توزون مالاً، فأقره على عمله، فسعى أبو الحسين في خطبة كتابة توزون، وبلغ ذلك ابن شيرزاد فاعتقله، وضرب بدار صافي مولى توزون، ضرباً مبرحاً وقرض لحم فخذيه بالمقاريض، وانتزعت أظفاره وعقد المستكفي مجلساً، حضره الفقهاء والقضاة، وأحضر البريدي وبسط النطع وجرد السيف، وتليت فتوى سابقة بإباحة دمه، وأبو الحسين يسمع ورأسه مشدود، ثم ضربت عنقه من غير أن يحتج لنفسه بحجة.

● وفي السنة 366 قبض مؤيد الدولة على وزيره أبي الفتح بن العميد، وسمل عينه الواحدة وقطع أنفه، وجز لحيته وقطع يديه، وما زال يعرضه على أنواع العذاب حتى تلف (وفيات الأعيان 4/ 196 ومعجم الأدباء 5/ 349 ـ 350).

ألوان من المُثْلة

● وأوّل مثلة حصلت في الإسلام، جرت في موقعة أحد، فإن هند أمّ معاوية، والنسوة اللاتي معها مثلن بالقتلى من المسلمين، فجدعن أنوفهم وصلمن آذانهم، واتخذت هند منها خدماً وقلائد، وبقرت هند بطن حمزة عم النبي صلوات الله عليه، وأخرجت كبده فلاكتها ثم لفظتها (الأغاني 15/ 197).

● وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 14/ 271 و15/ 12 لما قتل حمزة عم النبي صلوات الله عليه، جاءت إليه هند بنت عتبة، أم معاوية بن أبي سفيان، فمثلت به، قطعت مذاكيره وجدعت أنفه، وقطعت أذنيه، ثم جعلت ذلك مسكتين (سوارين) ومعضدين (دملجين) وخدمتين (خلخالين) حتى قدمت بذلك مكة، وأمرت نساء قريش ممن كن معها بالمثلة وبجدع أنوف وآذان من قتل من المسلمين في موقعة أحد، فلم تبق امرأة إلا وعليها معضدان ومسكتان وخدمتان.

أما أول رأس حمل في الإسلام لرجل مسلم، **فهو رأس محمد بن أبي بكر الصديق**، أمير مصر، قتله معاوية بن خديج بالاتفاق مع عمرو بن العاص، وحمل رأسه إلى معاوية بن أبي سفيان بدمشق.

وقد وصف المؤرخون كيفية قتله قالوا: في السنة 38 قتل محمد بن أبي بكر الصديق، عامل الإمام علي على مصر، قتله معاوية بن خديج من أصحاب معاوية بن أبي سفيان، أسره وقد كاد يموت عطشا، فطلب محمد أن يسقى ماءً، فأبى عليه معاوية وقال له: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً، حتى تسقى من الحميم والغساق، أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك جوف حمار ثم أحرقك بالنار، ثم قتله ووضعه في جيفة حمار، ثم أحرقه، وذكر بعض المؤرخين أن محمداً كان ما يزال حياً عندما أحرق في جوف الحمار، وبعث معاوية بن خديج سليماً مولاه، بشيراً بحمل محمد بن أبي بكر إلى المدينة، ومعه قميص محمد فدخل به دار عثمان، فاجتمع آل عثمان من الرجال والنسا، وأظهروا السرور بقتله، وأمرت أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان، بكبش فشوي، وبعثت به إلى أم المؤمنين عائشة تقول لها: هكذا شوي أخوك، فجزعت عائشة على أخيها محمد جزعاً شديداً، وقنتت في دبر الصلاة، تدعو على معاوية وعمرو بن العاص، وأخذت عيال محمد إليها، ولم تأكل منذ ذلك الوقت شواءً حتى توفيت، ولما بلغ السيدة أسماء أم محمد خبر قتل ابنها، وإنه أحرق بالنار، قامت إلى مسجدها تصلي، وكظمت غيظها، حتى شخب ثديها دماً، ولما بلغ معاوية خبر قتل محمد، أظهر الفرح والسرور وبلغ علياً قتل

محمد وسرور معاوية، فقال: جزعنا عليه على قدر سرورهم، وما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحروب، جزعي عليه كان لي ربيبا، وعند الله نحتسبه، ولما وافى معاوية بن خديج المدينة، قامت إليه نائلة امرأة عثمان وقبّلت رجله، وقالت له: بك أدركت ثأري من ابن الخثعمية، تعني محمد بن أبي بكر (مروج الذهب 1/ 406 والولاة للكندي 30 و31 وابن الأثير 3/ 357).

● ولما قتل عبيد الله بن زياد عامل الكوفة ليزيد بن معاوية، مسلم عقيل في السنة 61 أمر بجثته فصلبت، وأمر برأسه فقطع، وبعث به إلى دمشق، فكان أول قتيل صلبت جثته من بني هاشم، وأول رأس حمل من رؤوسهم إلى دمشق (مروج الذهب 2/ 46).

● ومن أشد ألوان المثلة إيلاماً، ما قام به قتلة الحسين عليه السلام، في وقعة الطف، إذ أوطؤا الخيل صدره وظهره، ثم قطعوا رأسه ورؤوس أصحابه، ونصبوها على رؤوس الرماح إلى الكوفة، ثم إلى دمشق، وحمل معها نساء الحسين وبناته وأطفاله، وتفصيل ذلك: إن الحسين لما ورد الطف، في اثنين وسبعين رجلاً، سير إليه عبيد الله بن زياد عمر بن سعد في أربعة آلاف، وكتب إليه: إذا قتلت حسيناً فأوطئ الخيل صدره وظهره، فلما قتل الحسين وأصحابه انتدب عمر بن سعد منهم عشرة، فداسوا بالخيل بدن الحسين، حتى رضوا صدره وظهره، وقطعت رؤوس القتلى، وسلبوا ما كان عليهم من الثياب، وتركت جثثهم عارية، ومالوا على ثقل الحسين ومتاعه، فنهبوه ومالوا على النساء، وكانت المرأة

منهم تنازع ثوبها عن ظهرها، حتى تغلب عليه، فيذهب به منها، وبعث عمر بن سعد برأس الحسين إلى ابن زياد من ساعته، وأقام بعد المذبحة يومين، ثم ارتحل إلى الكوفة ومعه رؤوس القتلى على أطراف الرماح، وحمل معه بنات الحسين وأخواته، ومن كان معه من الصبيان، فاجتازوا بهن على الحسين وأصحابه صرعى، فصاح النساء ولطمن خدودهن، ثم أدخلوا الرؤوس ومعها النساء والأطفال على ابن زياد، فأبدى ابن زياد للنساء والأطفال من التشفي والشماتة، ما لم يكن عجيباً منه، وطينته الخبيثة، فإنه خاطب النساء والأطفال بقوله: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم، وأكذب أحدوثتكم، ثم وجه كلامه إلى إحدى الفتيات، فقال لها: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قد شفى الله نفسي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك، فبكت الفتاة، وقالت له: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت، ونصب عبيد الله بن زياد، رأس الحسين بالكوفة، وداروا به فيها، ثم سرح رأس الحسين، ورؤوس أصحابه مع نساء الحسين وبناته وأطفاله إلى يزيد بن معاوية بدمشق، للتفصيل راجع الطبري 5/ 400 ـ 470 وابن الأثير 4/ 64 ـ 94 واليعقوبي 2/ 243 ـ 246 الأخبار الطوال 231 ـ 261 ومروج الذهب 2/ 41 ـ 47.

ولما قتل الحسين عليه السلام، صعد عبيد الله بن زياد المنبر، وقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذاب بن الكذاب، الحسين بن علي وشيعته، فلم

يفرغ من مقاله، حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، فقال له: يا ابن مرجانة، إن الكذاب بن الكذاب هو أنت وأبوك، والذي ولاك وأبوه، فقال عبيد الله بن زياد علي به، فوثب فتية من الأزد فانتزعوه من الشرط وأخذوه إلى أهله، فأرسل عبيد الله إليه من أتاه به، فقتله وصلبه في السبخة (الطبري 5/ 458 و459).

● وفي السنة 67 لما انتصر مصعب بن الزبير بالكوفة، وقتل المختار بن أبي عبيد الثقفي، وأمر بكف المختار فقطعت، ثم سمرت بمسمار من حديد إلى جنب المسجد، فما زالت هناك حتى جاء الحجاج بن يوسف الثقفي أميراً على العراق، ونظر إليها فقال: ما هذه؟ قالوا: كف المختار فأمر بنزعها (الطبري 6/ 93 ـ 110).

● ولما قتل عبد الله بن الزبير في المعركة، في السنة 73 وقتل معه جمع من أنصاره منهم عبد الله بن صفوان، بعث الحجاج برؤوسهم إلى المدينة، فنصبوها للناس، فجعلوا يقربون رأس ابن صفوان إلى رأس ابن الزبير، كأنه يُسَارُّه ويلعبون بذلك (العقد الفريد 4/ 416).

● وفي السنة 121 قتل نصر بن سيار، كور صول سلطان الترك، جاء أتباعه بابنتيه فأحرقوها وقطعوا آذانهم، وخددوا وجوههم، وطفقوا يبكون عليه، فلما أمسى نصر وأراد الرحلة، بعث إلى جثة كوصول بقارورة نفط وأشعل فيها النار، لئلا يحملوا عظامه، وكان ذلك أشد عليهم من قتله (الطبري 7/ 175).

● وفي السنة 121 قتل عبد الملك بن قطن الفهري، زياد بن

عمرو اللخمي، ومثل به بأن صلبه وصلب معه خنزيراً، وفي السنة 123 قتل عبد الملك بن قطن، وصلب وصلبوا معه على يمينه خنزيراً وعلى يساره كلباً (نفح الطيب 1/ 19 ـ 20).

● ولما قتل الوليد أحضر رأسه إلى خلفه ابن عمه، يزيد بن الوليد، فأمر بأن ينصب الرأس على رمح وطافوا به في مدينة دمشق، وأدخلوه في دار أبيه، فصاح النساء وأهل البلد، ثم ردوه إلى يزيد (الطبري 7/ 251 والعيون والحدائق 3/ 144).

● ونبش عبد الله بن علي العباسي، عم السفاح والمنصور، قبور الموتى من بني أمية، وقد نبش قبر معاوية بن أبي سفيان، فلم يجد إلا خيطاً مثل الهباء، ونبش قبر يزيد بن معاوية، فوجد فيه عظماً واحداً، ووجد في لحده خطاً أسود كأنما خط بالرماد بالطول في لحده، ونبش قبر عبد الملك بن مروان، فلم يجد فيه إلا شؤون رأسه، ونبش قبر الوليد بن عبد الملك، فما وجد في قبره قليلاً ولا كثيراً، ونبش قبر سليمان بن عبد الملك، فلم يجد فيه إلا صلبه وأضلاعه ورأسه، فأحرقها، وانتهى إلى قبر هشام بن عبد الملك، فاستخرجه صحيحاً، ما فقد منه إلا خرمة أنفه، فضرب الجثة ثمانين سوطاً، ثم أحرقها، ثم تتبع قبور بني أمية في جميع البلدان، فأحرق ما وجد فيها (ابن الأثير 5/ 430 والعيون والحدائق 3/ 206 ـ 207 ووفيات الأعيان 6/ 109 ـ 110 ومروج الذهب 2/ 163).

● ولما فتح عبد الله بن علي العباسي الشام، نبشت قبور بني أمية، في دمشق وغيرها وأحرقت بالنار، ولم يبقوا على غير قبر

عمر بن عبد العزيز في دير سمعان، اعترافاً بفضله وتقواه (خطط الشام 1/ 173).

● وكان التتر الذين اجتاحوا البلاد الإسلامية في القرن السابع، لا يكتفون بقتل من قاتلهم، وإنما كانوا ينبشون قبور من دفن من الملوك، ويحرقون رممهم، صنعوا ذلك برمة خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش، نبشوها من قبره بقلعة ازدهن وأحرقوها، وكذلك صنعوا برمة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي، فإنهم نبشوا قبره وأخرجوا عظامه وأحرقوها (تاريخ أبي الفدا 3/ 150).

● واتهم المهدي صالح بن عبد القدوس، الشاعر الحكيم بالزندقة، وضربه بالسيف بيده، فشطره شطرين وعلق بضعة أيام للناس، ثم دفن (معجم الأدباء 4/ 268).

● وفي إحدى المعارك بين الموفق أبي أحمد وبين صاحب الزنج، قتل من الزنج خلق كثير، وأسر منهم جماعة، فأمر أبو العباس (المعتضد فيما بعد) فعلقت رؤوس المقتولين في الشذا (السفن الصغيرة) وصلب الأسرى أحياء فيها، واعترض بهم مدينتهم إرهاباً لأصحابهم، واتصل بأبي أحمد أن صاحب الزنج موه على أصحابه، وقال لهم: إن هذه الرؤوس المعلقة في الشذا هي مثل (تماثيل) وليست رؤوس قتلى، فأمر أبو أحمد بالرؤوس فجمعت ورماها بالمنجنيق إلى صاحب الزنج، فلما سقطت عندهم ورأى أصحابه رؤوس قتلاهم، علا بكاؤهم وصراخهم (شرح نهج البلاغة 8/ 189).

● وفي إحدى المعارك مع صاحب الزنج، جاء البشير إلى أبي أحمد، بأن صاحب الزنج قد قتل، ووافاه بشير آخر ومعه كف زعم أنها كف صاحب الزنج، ثم جاءه غلام من غلمان لؤلؤ، يركض ومعه رأس صاحب الزنج فألقاه بين يديه، فعرضه الموفق على من كان حاضراً عنده من قواد الزنج المستأمنين فعرفوه، وشهدوا أنه رأس صاحب الزنج، فأمر برفع الرأس على قناة، ونصبه بين يديه، ثم انصرف إلى الموفقية ورأس صاحب الزنج منصوب بين يديه على قناة في شذاة، وسليمان بن جامع والهمذاني، من كبار قواد الزنج مصلوبين أحياء في شذاتين عن جانبيه، حتى وافى قصره بالموفقية، ثم بعث بالرأس مع ولده أبي العباس (المعتضد) إلى بغداد، فدخل المدينة ومعه رأس صاحب الزنج بين يديه على قناة (شرح نهج البلاغة 8/ 210 ـ 212).

● وفي السنة 272 كانت للزنج حركة بواسط، وصاحوا: أنكلاي يا منصور، وأنكلاي هو ابن صاحب الزنج، وكان أنكلاي وآخرون من كبار قواد صاحب الزنج وهم المهلبي وسليمان بن جامع والشعراني والهمداني وآخرون معهم من قواد الزنج محتبسين في دار محمد بن عبد الله بن طاهر بمدينة السلام، فكتب الموفق فيهم إلى فتح أن يوجه إليه برؤوس هؤلاء الستة، فدخل إليهم فتح فجعل يخرج الأول فالأول منهم، فذبحهم غلام له، وقلع رأس بالوعة في الدار، وطرحت أجسادهم فيها، وسد رأسها، ووجه بروؤسهم إلى الموفق، ثم ورد كتاب من الموفق بصلب جثثهم، فأخرجوها من البالوعة وقد انتفخت، وتغيرت روائحها، وتقشر

بعض جلودها، فحملوا في المحامل، وصلب ثلاثة منهم في الجانب الشرقي وثلاثة بالجانب الغربي، وكان صلبهم بحضرة الأمير محمد بن طاهر وهو راكب (الطبري 10/ 11).

● وفي السنة 287 خرج العباس بن عمرو الغنوي على رأس جيش من البصرة لقتال القرامطة، فلقيهم أبو سعيد القرمطي، فاستأسر العباس وأسر من أصحابه سبعمائة رجل، فلما كان من الغد أحضر الجنابي الأسرى، فقتلهم جميعاً ثم أمر بحطب فطرح عليهم وأحرقهم، ثم مَنَّ على العباس الغنوي، وأطلقه وحده وبعثه برسالة إلى المعتضد (الطبري 10/ 77 ـ 79).

● وفي السنة 309 لما قتل الحلاج، ضرب ألف سوط، ثم قطعت أطرافه ثم قطعت عنقه، ثم أحرقت جثته، وألقي رماده في دجلة (المنتظم 6/ 163).

● وفي السنة 336 قتل أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي البربري، الثائر بأفريقية، وكان قد عظم أمره، واستولى على رقادة والقيروان وسوسة، وحصر باغاية، ثم تراجع وحصر في قلعة كتامة، ثم حمل إلى المنصور جريحاً فمات من جراحه، فأمر المنصور فصنع له قفص وسلخ جلده، وحشي تبناً وجعلوا معه قردين يلعبان عليه (ابن الأثير 8/ 422 ـ 441).

● وفي السنة 377 سار المنصور بن يوسف صاحب إفريقية، إلى كتامة لأن داعية فاطمياً جاء إليهم، ودعاهم إلى محاربة المنصور، فقابلهم في مدينة سطيف، فاقتتلوا قتالاً عظيماً،

فانهزمت كتامة، وهرب أبو الفهم الداعية الفاطمي إلى جبل وعر، فيه قوم يقال لهم بنو إبراهيم، فأرسل إليهم المنصور يتهددهم إن لم يسلموه، فقالوا: هو ضيفنا ولا نسلمه، ولكن أرسل أنت فخذه ونحن لا نمنعه، فأرسل فأخذه وضربه ضرباً شديداً ثم قتله، وسلخه وأكلت صنهاجة وعبيد المنصور لحمه، وقتل معه جماعة من الدعاة ووجوه كتامة (ابن الأثير 9/ 53 _ 54).

● وفي السنة 451 قتل القائد التركي أرسلان البساسيري وقطع رأسه، وحمل إلى دار السلطان، فأمر بحمله إلى دار الخلافة فنظف وغسل وجعل على قناة، وطيف به وصلب قبالة باب النوبي، وكان البساسيري من أعظم قواد الدولة العباسية في عهد القائم، فأفسد بينه وبين الخليفة المدعو رئيس الرؤساء ابن المسلمة، فبارح البساسيري بغداد، ثم دخلها فاتحاً باسم المستنصر الخليفة الفاطمي، ولما استولى البساسيري على بغداد أحسن إلى الناس، وأجرى الجرايات على المتفقهة ولم يتعصب لمذهب، على خلاف رئيس الرؤساء ابن المسلمة الذي كان شديد التعصب على الشيعة، حتى إنه قتل بعضهم من أجل التشيع، وأفرد البساسيري لوالدة القائم داراً، وكانت قد قاربت التسعين، وأعطاها جاريتين تخدمانها، وأجرى لها جراية، فلما عاد السلطان طغرل بك إلى بغداد سير جيوشاً لقتال البساسيري، فقاتل حتى قتل، وحمل رأسه إلى دار السلطان، فأمر بحمله إلى دار الخلافة، فنظف وغسل وجعل على قناة وطيف به، وصلب قبالة باب النوبي (ابن الأثير 9/ 640 _ 649).

● ولما قتل الوزير نظام الملك في السنة 485 اتهم أصحابه تاج الملك مستوفي السلطان، بأنه هو المحرض على قتله، وبينما كان تاج الملك يستعد ليكون وزيراً للسلطان ملكشاه خلفاً لنظام الملك، هجم عليه جماعة من أتباع نظام الملك، فقتلوه وفصلوه أجزاء، وحملت إلى بغداد إحدى أصابعه، وكان عمره حين قتل سبعاً وأربعين سنة (ابن الأثير 10/ 216).

● وفي السنة 529 وقعت بدايمرج معركة بين الخليفة المسترشد، والسلطان مسعود السلجوقي، فانكسر جيش المسترشد وأسر، وأنزل في خيمة وغفل عنه حراسه، فدخل عليه أربعة وعشرون رجلاً، قيل إنهم باطنية وقتلوه، ووجد في جسده ما يزيد على عشرين جرحاً كما أنهم مثلوا به فجدعوا أنفه وقطعوا أذنيه، وتركوه عرياناً وقتلوا معه نفراً من أصحابه (ابن الأثير 11/ 27).

● وكان مجد الملك قد رفع على الصاحب علاء الدين صاحب الديوان، ثم تغير الحال بموت السلطان، فاعتقل مجد الملك وسلم إلى الصاحب علاء الدين، فتولى ابن أخيه شرف الدين هارون قتله، وحملت أطرافه إلى البلاد، وسلخ رأسه وحمل إلى بغداد، وشوى الخبرندية لحمه، وأكلوا منه وشربوا الخمر في قحف رأسه (الحوادث الجامعة 419).

● وفي السنة 702 كانت معركة بين جيش التتار، وجيش السلطان محمد بن قلاوون، صاحب مصر والشام، وانكسر التتار وقتل منهم كثير، وجيء بالأسرى إلى القاهرة، وعددهم ألف

وستمائة أسير، وقد علق في عنق كل واحد منهم رأس أحد القتلى من التتار، كما حمل أمامهم ألف رأس على ألف رمح، وكانت طبولهم أمامهم مخرقة (النجوم الزاهرة 8/ 167).

● وفي السنة 748 توفي الأمير شجاع آغرلو من أمراء المماليك بمصر، وكان ظالماً حتى إنه قتل في مدة أربعين يوماً، واحداً وثلاثين أميراً، فاعتقل وقتل وقام الحرافيش في القاهرة ومصر، بنبش قبره وأخرجوا جثته ومثلوا بها، ونوعوا به المثلة والنكال، فغضب السلطان وأمر الأوشاقية فقتلوا منهم وقطعوا، فكان الأمير آغرلو مشؤوماً في حياته وبعد مماته (الوافي بالوفيات 9/ 295 و296).

● وفي السنة 763 قتل السلطان أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن فرج النصري، صاحب غرناطة، وكان قد لجأ إلى صاحب قشتالة فقتله، وقتل أصحابه الثلثمائة، وقطع رؤوسهم، وبعث بها إلى غرناطة، حيث نصبت على سور قلعة الحمراء (الإحاطة 406 ـ 412 و531 ـ 540).

● وفي السنة 866 عقد لحمزة بن غيث مجلس في بيت الدوادار، حضره القضاة ونظروا في التهم الموجهة إليه وهي أخذ الأموال، وارتكاب المحرمات وضرب الفضة الزغل، فحكم القاضي المالكي بقتله، وأنفذ بقية القضاة الحكم، وأودع المقشرة، وسلخ جلده وحشي تبناً، وطيف به من الغد على جمل بشوارع القاهرة، وحمل إلى بلاد الريف وطيف به في القرى والبلاد (الضوء اللامع 3/ 166).

● وفي السنة 872 قتل جهان شاه بن قرايوسف، وخلفه ولده حسن علي، فظلم الناس وأساء التصرف، وقبض على زوجة أبيه فعلقها من ثديها حتى ماتت، فقصده حسن بيك، واشتبك معه في المعركة، فأنفل جيش حسن علي، وفر إلى باكو، ثم عثر عليه في جبال الوند بهمذان، واعتقله أصحاب حسن بيك، وأحس بما ينتظره فانتحر بأن ذبح نفسه بموسى، وعندئذ قطعوا رأسه، وقطعوا ذكره، وحطوه في فمه «وجاءوا برأسه إلى حسن بيك، وقطعوا جسده أربع قطع، وعلقوها على أبواب همذان على كل باب قطعة (تاريخ الغياثي 380 و381).

المثلة بسحب الجثث

ومن ألوان المثلة، سحب جثث القتلى والموتى في الشوارع . .
وأول ما بلغنا عن هذا اللون من المثلة، ما صنع بيوسف بن عمر، الذي كان أمير العراقين للوليد بن يزيد، فلما قتل الوليد، هرب يوسف من العراق وورد البلقاء فاستخفى بها، ولبس زي النساء، وجلس بين نسائه، وبلغ يزيد بن الوليد خبره، فبعث إليه من وجده بهذا الزي بين نسائه، فأخذ وحبس بدمشق، ولما ظهر أمر مروان بن الأموي، الملقب بمروان الحمار، عمد يزيد بن خالد القسري إلى السجن، فأخرج يوسف بن عمر، وقتله انتقاماً لأبيه خالد الذي قتله يوسف، ولما قطعت عنق يوسف، شدوا في رجله حبلاً طويلاً، وجعل الصبيان يجرونه في شارع دمشق، فتمر به المرأة فترى جسداً صغيراً، وكان قصير القامة جداً، فتقول: في أي شيء قتل هذا الصبي المسكين.

وقال بعضهم: رأيت يوسف بن عمر، وفي مذاكيره حبل، وهو يجر في دمشق، ثم رأيت بعد ذلك يزيد بن خالد القسري

قاتله، وفي مذاكيره حبل وهو يجر في ذلك الموضع (وفيات الأعيان 7/ 111 و112).

● ولما قتل الأمين ببغداد في السنة 198، قطع رأسه وعلق على حائط بستان، وسحبت جثته ببغداد وهي مربوطة بحبل (تاريخ الخلفاء 300).

● وفي السنة 201 قتل محمد بن أبي خالد، في معركة بينه وبين جيش المأمون، وكان زهير بن المسيب أحد قواد المأمون، محبوساً عند جعفر بن محمد بن أبي خالد، فأخرج زهير من الحبس وذبح وطيف برأسه، ثم أخذ جسده وربط في رجليه بحبل، وطيف به في بغداد ومروا به على دوره ودور أهل بيته عند باب الكوفة، وطيف به في الكوخ ثم طرحوه ليلاً في دجلة (الطبري 8/ 548).

● وفي السنة 604 قتل أبو الغنائم نصر بن ساوا النصراني، الناظر في أعمال دجيل، وقطعت أطرافه وصلب، ثم أنزل وسحبت جثته في محلات ببغداد ثم أحرق (الجامع المختصر 219 ـ 220).

● وفي السنة 690 قبض ببغداد على مهذب الدولة، أخي سعد الدولة الماشعيري، وطولب بالأموال وضرب، ثم طعن بالسكاكين والسيوف، وكان في الديوان نجار، فضربه بفأس عدة ضربات، ثم قطع إرباً إرباً وطافوا به في شوارع بغداد ودروبها ثم أحرق بباب جامع الخليفة (جامع سوق الغزل، وبابه من جهة المنارة التي ما زالت قائمة إلى الآن) وسلخ رأسه وحشي تبناً، وطيف به في جانبي بغداد وحمل إلى واسط، وعلق على جسرها (تاريخ العراق للعزاوي 1/ 350).

● وشكا الدمشقيون إلى الباب العالي (السلطان العثماني) من مظالم الدفتر دار فتحي أفندي، فأمر السلطان فأحضر إلى اسطنبول، فأخذ يمنح المنائح حتى أدخلوا على السلطان شخصاً آخر بدلاً منه، فأمر السلطان بقتله فقتل، أما فتحي أفندي فأعادوه إلى دمشق، فعاد إلى ظلمه فعاودوا الشكوى، فورد الأمر بقطع رأسه، فقطع رأسه وجرت جثته في شوارع المدينة، وترك للكلاب تنهشه، ومثل ببعض أعوانه وصودرت أمواله (خطط الشام 2/ 298).

● ولما قتل الأمير عبد الإله في بغداد، في حادث السنة 1958م قامت فئة من العامة بتسليم جثته، وربطوها بالحبل وسحبوها ثم علقت أمام وزارة الدفاع ثم أحرقت (أسرار مقتل العائلة الحاكمة في العراق 134 ـ 136).

● وآخر ما بلغنا عن هذا اللون من المثلة، ما صنعه بعض أفراد من العامة ببغداد، بجثة نوري السعيد رئيس الوزراء بالعراق، فإنه لما حصل انقلاب السنة 1958 على يد عبد الكريم قاسم، أحد الضباط استتر نوري، وبلغه خبر مقتل ولده الوحيد وهو مستتر، ولما أوشك أن يعتقل انتحر، فتصدى قوم من العامة، وربطوا في جثته حبلاً وسحبوها في شوارع بغداد.

المثلة بصلب الجثة

ومن ألوان المثلة صلب جثة القتيل بعد قتله، وهذا اللون من المثلة يكاد يكون عاماً في جميع الأوقات، وفي جميع البلدان، وكان المقصود بصلب الجثة أن يطلع الناس على أن المصلوب قد مات وانتهى، لئلا تكثر بشأنه الأقاويل، وتختلف في مصيره الآراء، ذلك أن العامة ما دام لهم رأي في المقتول، فهم يتصورون له مصيراً وفق أمانيهم، كما حصل في موضوع الحلاج، فإنه قتل وصلب وأحرق وذري رماده، وحصل ذلك أمام عشرات الألوف من الناس، ولكن كثيراً منهم استقر في أذهانهم أنه لم يقتل، وإنما قتل شخص آخر غيره يشبهه، وأعجب من ذلك أن عبد الكريم قاسم، الضابط الذي قام بالانقلاب السنة 1958 في العراق، قتل في السنة 1963 رمياً بالرصاص وعرضت جثته على شاشة التلفزيون، وبالرغم من ذلك فإن بعض العامة من الناس في بغداد كانوا إلى أمد قريب، على قناعة تامة بأنه ما زال حياً، وأنه شوهد في الوقت الفلاني في الموضع الفلاني.

وعلى أن المثلة بصلب الجثث أمر يدل على لؤم، وينبئ عن نقص في المروءة، فإن بعض المتسلطين القساة زادوا في الطنبور نغمة، وبالغوا في إظهار لؤمهم، كما صنع الحجاج بجثة عبد الله بن الزبير، فإنه صلب مع جثته جيفة كلب، وكما صنع مسلمة بن عبد الملك بيزيد بن المهلب، فإنه صلب مع جثته خنزيراً، وفاق هؤلاء جميعاً في التصرف المخزي، زياد بن أبيه، فإنه كان يقتل النساء ويصلبهن ولم يكتف بذلك، فزاد بأن أخذ يصلبهن عاريات.

● وكانت النساء تشترك في حروب الخوارج، إلى أن قام زياد بصلب المرأة عارية بعد قتلها، فلم تخرج النساء بعد زياد، وكن إذا طولبن بالخروج قلن: لولا التعرية لسارعنا (العقد الفريد 1/ 221 ـ 222).

● ولما استباح مسلم بن عقبة قائد الجيش الأموي، المدينة وقتل رجالها، خرج منها يريد مكة، فمات في الطريق ودفن فخرجت إليه زوجة أحد قتلاه، فنبشت قبره وأحرقت جثته، ومزقت أكفانه وعلقتها على شجرة هناك، فكان كل من يمر بالأكفان يرجمها بالحجارة (الإمامة والسياسة 2/ 9).

● ولما قتل عبد الله بن الزبير، بعث الحجاج برأسه إلى عبد الملك، وصلب جثته منكوسة وصلب معه كلباً ميتاً (أنساب الأشراف 5/ 368 ـ 369 ـ 370 ـ 374).

● وصلب يوسف بن عمر عامل هشام بن عبد الملك على العراق، زيد بن علي بن الحسين، وبقي معلقاً أربعة أيام ثم أنزل وأحرق.

● ويحيى بن زيد بن علي، صلب بالجوزجان، في أيام الوليد بن يزيد، وأنزله أبو مسلم الخراساني وصلى عليه، وواراه وأخذ كل من خرج إلى قتاله، فقتله.

● وصلب مسلمة بن عبد الملك يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، بجسر بابل وعلق معه خنزيراً وسمكة وزق خمر (الغيث المجسم 2/ 182).

● وفي السنة 123 عبر بلج بجيش أموي إلى الأندلس، فقبض على عبد الملك بن قطن الفهري، أمير الأندلس وصلبه بقرطبة، وصلب معه كلباً وخنزيراً، ذلك لأنه أراد الاستقلال بالأندلس، وصلب زياد بن عمرو اللخمي بعد أن سلمه، وصلب عن يساره كلباً (نفح الطيب 3/ 19 ـ 21).

● ولما قتل الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي، أمر برأسه فنصب على الجسر الأوسط، وقطعت جثته إلى قطعتين، صلب قطعة على الجسر الأعلى وقطعة على الجسر الأسفل (الطبري 8/ 296).

● وفي السنة 221 أحضر إمام المعتصم الثائر الفارسي بابك الخرمي، فأمر به فقطعت أطرافه ثم قطع رأسه، وصلبت جثته على خشبة، ثم أحرقت وسمي الموضع الذي صلبت جثته فيه «خشبة بابك» وأخذ عبد الله أخو بابك إلى بغداد حيث قتل مثل قتلة أخيه، وصلب بدنه على الجسر ببغداد. . (المستطرف من أخبار الجواري 33).

أول من عذب النساء في الإسلام

● وأول من عذب النساء في الإسلام معاوية بن أبي سفيان، فإنه لما صالح الحسن اشترط على نفسه أن لا يؤاخذ أحداً من أصحاب علي، بما كان منه قبل المصالحة، فلما تمكن واستتب له الأمر، تتبع من كان من أنصار علي، ففر منه عمرو بن الحمق الخزاعي، فأذكى عليه العيون والأرصاد واعتقل امرأته، وحبسها في سجن بدمشق ثم أمسك بعمرو فقتله، وقطع رأسه وأمر أحد أعوانه بأن يدخل على المرأة في سجنها وأن يضع رأس زوجها في حجرها (بلاغات النساء 64 والديارات 179 و180).

● وكان النعمان بن بشير الأنصاري على حمص، وكان قد بايع لابن الزبير، فلما بلغه خبر واقعة مرج راهط، خرج من حمص مع أهله يريد المدينة، وأصبح أهل حمص فطلبه أحد الكلاعيين يقال له عمرو بن الخلي، ومعه غوغاء فلحقوه فقتلوه سنة 65 وألقوا برأسه في حجر ابنته أم أبان بنت النعمان، فقالت نائلة زوجة النعمان: ألقوا الرأس إليّ فأنا أحق به، فألقي في حجرها (أنساب الأشراف 5/ 147).

● وسار هشام بن عبد الملك على سنة معاوية بن أبي سفيان، في وضع الرأس المقطوعة في حجر المرأة المفجوعة، إذ أمر برأس الإمام زيد بن علي بن الحسين، فوضع في حجر والدته ربطة بنت عبد الله بن محمد بن الحنفية.

● فقابل عامر بن إسماعيل قائد الجيش العباسي، ذلك بأن أمر أن يوضع رأس مروان الحمار، آخر الحكام الأمويين في حجر ابنته (بلاغات النساء 145).

● ولما قتل المستعين العباسي أمر المعتز فوضع رأسه بين يدي جاريته التي كان يتحظاها (الديارات 170).

قتل المرأة بالسيف

● كان القتل بالسيف مقصوراً على الرجال، ولذلك فإن مصعب بن الزبير لما قتل عمرة بن النعمان، بن بشير الأنصاري بالسيف، أنكر الناس ذلك وأعظموه، واعتبره عمر بن أبي ربيعة المخزومي «من أكبر الكبائر» ولما قتلت جارية ببغداد في السنة 549 سيدتها، ذكر ابن الجوزي في المنتظم 10/ 159 أنها أخرجت إلى الرحبة وقتلت «كما يقتل الرجال» أي أن عنقها قطع بالسيف، ما يدل على أن قتل المرأة بالسيف كان منكراً عند الناس.

«إلا أن التاريخ سجل لنا أسماء أشخاص فاضت فيهم القسوة، فمارسوا أعمال قتل النساء، منهم زياد بن أبيه، وابنه عبيد الله فحازا بذلك لعنة التاريخ على كرّ الزمان.

● ويروي لنا التاريخ أن زياد بن أبيه، قتل عدداً من النساء، كالشجاء وحمادة والصفرية (الحيوان للجاحظ 5/ 589 و590) أخذ الشجاء فقطع يديها ورجليها ثم قتلها (الحيوان 5/ 589) ولم يكتف بقطع

الأطراف والقتل، فدفعته القسوة إلى صلبهن عاريات (العقد الفريد 1/ 221 و222) وكان يشتمهن عندما يباشر قتلهن فكن يجبنه إجابات جارحة.

● قال زياد لامرأة من الخوارج وقد أمر بقتلها: أما والله لأحصدنكم حصداً، ولأفنينكم عداً فقالت له: كلا والله إن القتل ليزرعنا، فلما هم بقتلها تسترت بثوبها، فقال لها: أتتسترين وقد هتك الله سترك، وأهلك قومك؟ فقالت: إي والله أتستر ولكن الله أبدى عورة أمك على لسانك، إذ أقررت بأن أبا سفيان زنى بها ثم قتلت (بلاغات النساء 143).

وولي بعد زياد ولده عبيد الله، فكان مثلاً لوالده في القسوة والفسولة والبغي، فقد أخذ عبيد الله بن زياد عروة بن أدية، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه، ثم أمر أن يصلب على باب داره فصلب، ثم قطع رأسه وبعث به إلى ابنته فجاءت الابنة وجثة أبيها مطروحة بين يدي ابن زياد، لتأخذها فتدفنها فقال لها ابن زياد: أنت على دينه؟ فقالت: كيف لا أكون على دينه، وما رأيت قط خيراً منه فأمر بها فقتلت مع أبيها (أنساب الأشراف 4/ 2/ 88 و89).

● وكان عبيد الله بن زياد يتلذذ بتعذيب النساء، وقطع أطرافهن بمحضر منه، وقد جيء إليه بامرأة فقطع رجلها وقال لها: كيف ترين؟ فقالت: إن في الفكر في هول المطلع لشغلا عن حديدتكم هذه ثم أمر فقطعت رجلها الأخرى، وجذبت فوضعت يدها على فرجها فقال: لتسترينه، فقالت له: لكن سمية أمك لم تكن تستره (بلاغات النساء 134).

● وروى علي بن يقطين أن موسى الهادي، كان جالساً ذات ليلة فجاء خادم فساره بشيء فنهض، ثم جاء وهو يتنفس ومعه خادم يحمل طبقاً مغطى بمنديل، فقال للخادم: ارفع المنديل وإذا على الطبق رأسا جاريتين لم ير أحسن منهما وجهاً وشعراً فأعظم الحاضرون ذلك، فقال: بلغني أنهما تحابا فوكلت بهما هذا الخادم ليرفع إلي أخبارهما، فجاءني فأخبرني بأنهما قد اجتمعتا فوجدتهما كذلك، نائمتين في لحاف واحد فقتلتهما، ثم قال: يا غلام إرفع، ورجع إلى حديثه كأن لم يصنع شيئاً (الطبري 8/ 221 ـ 222 تحفة المجالس 93 ـ 94).

● وفي السنة 406 تحرك على الأمير باديس بن المنصور بن بلكين، عمه حماد بن بلكين فبعث إليه أخا حماد، واسمه إبراهيم بن بلكين، لكي يصلح أمره، فاتفق حماد وإبراهيم وجاهرا باديس بالخلاف، وسفكا الدماء وقتلا الأطفال، وأحرقا الزروع والمساكن وسبيا النساء، وحدث أن فر إلى باديس جماعة من جند قلعة حماد، وكان فيها أخوه إبراهيم فأخذ إبراهيم أبناءهم، وذبحهم على صدور أمهاتهم، فقيل إنه ذبح منهم بيده ستين طفلاً، فلما فرغ من الأطفال ذبح الأمهات (ابن الأثير 9/ 254).

● وفي السنة 504 في أيام الأمير الفاطمي، قصد بردويل الإفرنجي صاحب القدس مصراً، فدخل الفرما وأحرقها وأحرق جامعها ومسجدها، وقتل بها رجلاً مقعداً، وذبح ابنته على صدره، ثم رحل وهو مريض فهلك في طريقه قبل وصوله إلى العريش،

فشق أصحابه بطنه ورموا حشوته هناك (وفيات الأعيان 5/ 301).

وفي السنة 666 قتلت ببغداد امرأة تسمى عروس خاتون، كانت زوجة بعض أصحاب توكال بخشي، شحنة بغداد اسمه حسين آغا، وسبب ذلك أنها هويت غلاماً أمرد مليحاً، فلما عرف بذلك أراد قتله فأبى الشحنة ذلك وقال: يقتلان جميعاً أو يستبقيان بعد أخذ الحد منهما، فأخرج الغلام إلى ظاهر السور وضرب له وتد في الأرض فأقعد عليه فمات، ثم قدم المرأة وقتلها بيده وهو يبكي أسفاً عليها (الحوادث الجامعة 361).

● وفي السنة 873 قتل حسن علي بن جهان شاه زوجة أبيه، في تبريز بأن علقها من ثديها فظلت ثلاثة أيام ثم ماتت، وبلغ ذلك أوزون حسن بك، وكان يحاصر بغداد فترك حصارها وقصد حسن علي في تبريز، وحصره فيها وفي أثناء الحصار، فر قائدان من قواده إلى أوزون حسن بك، فقبض حسن علي على أولادهما ونسائهما وقتلهم جميعاً، كما قتل كل من له علاقة بالقائدين المذكورين (التاريخ الغياثي 326 ـ 331).

قتل المرأة خنقاً

● اتهم ابن الدمينة امرأته، فطرح على وجهها قطيفة وجلس عليها حتى قتلها (الأغاني 17/ 96).

● وذكر أبو الأزهر المهلب بن عيسى أنه خنق جارية عبد الله بن علي العباسي عم المنصور، وكان المنصور قد حبس عمه عند أبي الأزهر هذا ثم أمره بقتله، فدخل عليه ومعه جارية له فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات، ثم مده على الفراش وأخذ الجارية ليخنقها فقالت: يا عبد الله قتله غير هذه، فكان أبو الأزهر يقول: ما رحمت أحداً قتلته غيرها فصرفت وجهي عنها، وأمرت بها فخنقت ووضعتها معه على الفراش، وأدخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمتعانقين، ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما (مروج الذهب 2/ 421).

● وفي السنة 801 قصد تيمورلنك بغداد، فتشوش السلطان أحمد بن أويس ملك العراق، فأخذ في قتل أمرائه وقواده ورجاله،

حتى قتل أكثر الخدم والحرم الذين كانوا عنده، قتلهم بيده وألقاهم في دجلة، وكانت منهم خالته وفا خاتون وهي بمثابة أمه، لأنها هي التي ربته فتشوش منها أيضاً وقتلها بأن وضعها وبعض الحريم في قارب بحجة إرسالهم إلى واسط، وأغرق القارب في وسط دجلة فغرقوا بأجمعهم (التاريخ الغياثي 121).

● وفي السنة 841 بلغ الأمير أصبهان سلطان العراق، أن ميرزا علي ابن أخي قرايوسف وزاهد وقطوبك، قد تآمروا عليه، فقبض عليهم وأمر بقتلهم وقتل ميرزا علي وأولاده جميعاً، حتى الأطفال الذين في المهد، وكانت بلقيس باشا بنت ميرزا علي تحت أصبهان، فلما قتلوا بكت وصاحت فأمر بخنقها فخنقت (تاريخ العراق للعزاوي 3/ 99).

● وفي السنة 869 بعث جهان شاه إلى ولده بير بوداق صاحب بغداد، أن يعنى بزوجته فاستاء من هذه الوصية، ولما تقدم جهان شاه لحصار بغداد أمر بير بوداق بخنق زوجته، وكانت طول نهارها وليلها مشغولة بتلاوة القرآن والصلاة، فخنقت، ولما قتل بيربوداق زوجته قام كل أمرائه والمقربين منه فقتل كل منهم نساءه تأسياً بسيدهم (التاريخ الغياثي 319، 320).

ألوان أخرى من قتل المرأة

● في معركة الطف في السنة 61 كان من أنصار الحسين عليه السلام رجل من كلب، فحمل عليه اثنان من رجال الجند الأموي فقتلاه، فخرجت امرأته تمشي إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول: هنيئاً لك الجنة، فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام يسمى رستم: اضرب رأسها بالعمود فضربها به فماتت (الطبري 5/ 438).

● وذكر السيوطي في كتابه نزهة المجالس (ص122 و123) أن الأمين أمر بجارية من جواريه فطرحت للسباع ففصلت عضواً عضواً، وخلاصة القصة أن إبراهيم بن المهدي اشترى جارية بارعة الحسن، كاملة الصفات بعشرة آلاف دينار، وحملها إلى زبيدة فعوضته عنها ثلاثين ألف دينار وبلغ الأمين خبرها، فأمر بإحضارها واختبرها فأعجب بها وبسطها فانبسطت، وكايدت بحري الخادم وكان أثيراً عند الأمين وعبثت به حتى بكى، فغضب الأمين عليها وأمر بأن تطرح للسباع فطرحت للسبع ففصلها عضواً عضوا.

● وفي السنة 333 فتح أبو يزيد الخارجي بإفريقية مدينة سوسة فأحرقها أصحابه وقتلوا الرجال وسبوا النساء، وشقوا فروج النساء وبقروا البطون (ابن الأثير 8/ 426).

● وفي السنة 655 قتلت ملكة مصر عصمة الدين، ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين شجرة الدر، بالقاهرة ضرباً بالقباقيب لأنها اتهمت بأنها قتلت زوجها عز الدين أيبك خنقاً في الحمام (الأعلام 3/ 231).

يقول الأستاذ عبود الشالجي: شجرة الدر أم خليل، جارية الملك الصالح جارية تركية ذات شهامة، وإقدام وجرأة وذكاء وعقل ودهاء، بارعة الحسن وكان الملك الصالح مغرماً بها، فلما مات في أشد الأوقات حراجة، وجيشه مقابل جيش الإفرنج في مصر، أخفت شجرة الدر خبر موته وأخذت تعلم بخطها مثل علامته، ونالت من السعادة أعلى الرتب بحيث أنها خطب لها على المنابر وملكوها عليهم أياماً، ثم بلغها اعتراض الخلافة ببغداد على تمليك امرأة، فاختارت عز الدين أيبك وسلطنته، وتزوج بها وكان الأمر إليها، ثم بلغها أنه خطب ابنة صاحب الموصل فعظم ذلك عليها، وعزمت على الفتك به، وجاء أيبك تعبان من ملعب الكرة، ودخل الحمام فأمرت خدمها، فاقتحموا عليه الحمام وقتلوه خنقاً وهو عريان، وتسلطن ولده علي من بعده وهو ابن 15 سنة، وكان أول ما صنعه أن أمر خدمه بقتل شجرة الدر فقتلت، وألقيت مسلوبة تحت قلعة مصر، دفنت في تربتها (شذرات الذهب 5/ 267 ـ 268).

● وفي السنة 873 كان حسن بيك يحاصر بغداد، فكتبت إليه امرأة جهان شاه بيكم خاتون من قلعة النجق، تحثه على المجيء إلى تبريز لتسلمه القلعة والخزائن فرحل عن بغداد، قاصداً تبريز، وقبل وصوله قصد حسن علي بن جهان شاه قلعة النجق، وحصر زوجة أبيه وقال للموكلين بالقلعة: أنا حسن علي بن جهان شاه، جلست على التخت وملكت الدنيا وما فيها، وأنتم تعصون علي لأجل امرأة، فخافوا منه، وفتحوا له أبواب القلعة فاستولى عليها، وأخذ زوجة أبيه (أم بيربوداق) إلى تبريز، وصلبها من ثدييها حتى ماتت، وقصد حسن بيك، حسن علي بن جهان شاه، واشتبك معه في معركة حامية، فانفل عسكر حسن علي، وفر هو إلى باكو ثم إلى جبال ألوند بهمذان، حيث اعتقله هناك ثلاثة من أتباع حسن بيك، وكان حسن علي يدرك ما له عند حسن بيك فأزمع أن ينتحر، وطلب منهم موسى ليحلق عانته فذبح بالموسى نفسه، وعندئذ قطعوا رأسه وقطعوا ذكره وحطوه في فمه، وجاءوا برأسه إلى حسن بيك وقطعوا جسده أربع قطع، وعلقوه على أبواب همذان على كل باب قطعة (تاريخ الغياثي 380 ـ 381).

● وفي السنة 925 اتهمت صبية مصرية بأنها كانت مع نصراني، فأمر بها ملك الأمراء بمصر، نائب السلطان العثماني فعريت من أثوابها وكتفت، وربطت من رجليها إلى ذنب إكديش، وسحبت على وجهها فماتت في الطريق (بدائع الزهور 5/ 290).

● وفي السنة 1098 كان والي حماة إذا غضب على رجل أمر به

فأعدم بإقعاده على الخازوق، وإذا غضب على امرأة وضعها في كيس مع شيء من الكلس وألقاها في نهر العاصي (خطط الشام 2/ 277).

● وممن حاز قصب السبق في هذا المورد الذميم، مخلوق اسمه المير مهنا حاكم بندر ريق، وهي بليدة تقع شمالي مدينة بوشهر، على الساحل الشرقي لخليج البصرة، فإن هذا المير مهنا، بدأ جرائمه في السنة 1168 (1654م) باعتقال أبيه المير ناصر، حاكم البليدة وأمر به فقتل بمحضر منه، ثم قتل من بعد ذلك أخاه وستة عشر شخصاً من أفراد عائلته، ولما عنفته أمه على جرائمه أمر بها فقتلت، وأغرق أختين له لأن أميراً من جيرانه خطب إحداهن للزواج بها، وكان يئد (يدفن بالحياة) كافة البنات اللاتي يولدن له، أما ما كان يمارسه في رعيته من أساليب العذاب بجدع الأنوف وصلم الآذان فلا يحصى لكثرته (رحلة نيبور 2/ 146 ـ 149).

ألوان أخرى من تعذيب المرأة

● لما استخلف القاهر عذب امرأة أبيه، السيدة أم المقتدر وضربها بيده مائة مقرعة، وعلقها بثدييها ثم علقها وهي منكسة، فكان بولها يجرى على وجهها، راجع التفصيل في كتاب (نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي المرقمة 2/ 33).

● وفي السنة 740 قبض السلطان الناصر محمد بن قلاوون على ناظر الخاص النشو، وهو شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله، وعلى أمه وأفراد عائلته وعرضوا على العذاب، فماتت أمه في العذاب، وكذلك مات أخوه المخلص، ومات النشو كذلك (الدرر الكامنة 3/ 33 و34).

● وفي السنة 753 قبض الأمير صرغتمس بالقاهرة على الوزير علم الدين ابن زنبور، وصادره ونهب أمواله وأخذ ابنه الصغير، وضربه بمرأى من أمه، فأسمعته الأم كلاماً جافياً، فأمر بها فعريت وعصرت (النجوم الزاهرة 10/ 2384 وخطط المقريزي 2/ 61 و62).

● ولما اعتقل الوزير الصاحب شمس الدين موسى، وعذب عُذبت معه زوجته وكانت ضعيفة حاملاً، فولدت وهي تعصر بالمعصرة، وعاش ولدها حتى كبر (النجوم الزاهرة 11/ 110 ـ 112).

● وفي السنة 812 لما قبض السلطان الناصر على الأمير جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن أحمد الأستادار، قبض على امرأته سارة وهي ابنة الأمير بجاس، وعذبت وكانت حاملاً فوضعت على دست نار، فأسقطت ورأت من الذل ما لا يوصف، وماتت بعد ذلك قهراً (الضوء اللامع 10/ 297).

● وفي السنة 824 أمر السلطان المؤيد سلطان مصر، فقبض على الأمير الأستادار الحسن بن عبد الله، البدر الطرابلسي فعصر، وعذب وعوقب أتباعه حتى إن زوجته الشريفة عذبت معه أيضاً (الضوء اللامع 3/ 102).

● ولما قتل جهان شاه في السنة 872، حكم بعده ولده حسن علي ميرزا، فحاصر زوجة أبيه في قلعة النجا وقبض عليها، وصلبها معلقة بثدييها، فظلت ثلاثة أيام حتى ماتت، ولما دخل تبريز أمر بالقبض على أخويها قاسم وحمزة، وسائر أقاربها فقتلهم جميعاً، بعد أن عذبهم وصلبهم (تاريخ العراق للعزاوي 3/ 185 ـ 187 ـ 189).

تعذيب المرأة بالتعرض للعورة

● وفي السنة 802 لما اقترب تيمورلنك من حلب، أرسل قصّاداً إلى نائب حلب، فأمر نائب حلب بضرب أعناق رسل تيمورلنك، فلما بلغ تيمورلنك الخبر بقتل قصاده، أحاط بمدينة حلب واقتحمها بجنده، وأسرف في القتل والسبي، واحتمى النساء والأطفال بالمساجد فاقتحمها التتار عليهم، وأخذوا يفتضون الأبكار في المساجد، وصاروا يأخذون المرأة وهي تحمل ولدها الصغير فيلقونه من يدها، ويفترشونها، والتجأ كثير من النساء إلى الجوامع ولطخن وجوههن بالطين، حتى لا ترى بشرتهن، فكان التتار يأخذون المرأة فيغسلون وجهها، ويفترشونها في الجامع (خطط الشام 2/ 173 _ 174).

● وفي السنة 832 حصرت جيوش سلطان مصر ونواب الشام، مدينة الرها فنزل من في القلعة على أمانهم، فغدروا بهم واعتقلوهم، وقتلوا الرجال ونهبوا الأموال، وأحرقوا المدينة والقلعة وفجروا بالنساء، فكانت الواحدة منهن تقوم من تحت الواحد

منهم، وتأخذ طفلها فتختبئ في تبن هناك، فلما أتموا فجورهم أشعلوا النار في التبن فاحترق النسوة وأطفالهن.

● وفي السنة 838 حاصر اسكندر بن قرايوسف مدينة شماخي، حاضرة بلاد شروان وقاتل صاحبها خليل بن إبراهيم شيخ الدربندي، فلما كان في أحد الأيام، توجه إسكندر من معسكره يتصيّد، فهجم خليل في غيبته على معسكر إسكندر وقتل، وأسر ابنة إسكندر وزوجته فوضعهما في إحدى الخرابات، وأمر عسكره فارتكبوا معهما الفاحشة، فلما رجع إسكندر من الصيد وبلغه ما حصل، ألح في القتال حتى استولى على شماخي، ودكها دكاً، ونهب أموال أهلها وأفحش في قتلهم وسبيهم، وظفر في شماخي بابنة خليل وامرأته، فأمر بأن يزني بهما في كل يوم خمسون رجلاً «نكاية في خليل» (حوليات دمشقية 127).

● وكان الملك الناصر محمد بن قايتباي (قتل سنة 904) مجنوناً وكان يعذب النساء، بأن يقطع حاشية «أعضائهن» وينظمها في خيط أعده لذلك، وسلخ مرة جلد جارية من جواريه ليظهر أستاذيته في السلخ (شذرات الذهب 8/ 23).

تعذيب المرأة بالاسترقاق

في السنة 65 قتل عبيد الله بن بشير بن الماحوز، أحد رؤساء الخوارج فوجه المهلب برأسه إلى البصرة، فلما صار الرسول بكربج، لقيه أخوة عبيد الله، وهم حبيب وعبد الملك وعلي بنو بشير، فقالوا له: ما الخبر؟ فقال: قتل الله ابن الماحوز المارق وهذا رأسه معي، وأراهم الرأس فوثبوا عليه فقتلوه، ودفنوا رأس أخيهم، فلما ولي الحجاج بن يوسف الثقفي دخل عليه علي بن بشير، وكان وسيماً جسيماً، فقال: من هذا؟ فأخبروه فقتله ووهب ابنه الأزهر وابنته لأهل الرسول الأزدي المقتول، وكانت زينب بنت بشير لهم مواصلة، فوهبوهما لها (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 4/ 158 ـ 159).

● وفي السنة 102 لما خرج يزيد بن المهلب، ومعه آل المهلب على يزيد ابن عبد الملك، وقتل في معركة العقر، جمع نساء آل المهلب وصبيانهم بالحيرة، فأعلن مسلمة بن عبد الملك أنه يريد أن يبيعهم، فقال له الجراح بن عبد الله: أنا أشتريهم منك لأبر يمينك، واشتراهم منه بمائة ألف درهم، فقال له مسلمة: هاتها فقال له: إذا

شئت فخذها فلم يأخذ منه شيئاً، وخلى سبيلهم إلا تسعة فتية أحداث من آل المهلب، بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك، فضرب رقابهم (الطبري 6/ 602).

● وكان صندل الزنجي أحد قواد صاحب الزنج، يكشف وجوه الحرائر المسلمات الأسيرات ورؤوسهن، ويقلبهن تقليب الإماء فإن امتنعت منهم امرأة لطم وجهها، ودفعها إلى بعض علوج الزنج يواقعها، ثم أخرجها إلى سوق الرقيق، فباعها بأوكس الأثمان، وفي إحدى الوقائع وقع صندل الزنجي أسيراً في يدي أبي أحمد الموفق، فأمر فشد كتافاً، ورمي بالسهام حتى هلك (شرح نهج البلاغة 8/ 187).

شَرُّ البَلِيَّةِ مَا يُضْحِكُ

● أتى عبد الصمد بن علي بأناس من الشطار، فأمر بضربهم، حلق رؤوسهم ولحاهم، ففعل ذلك بهم وكان فيهم رجل سناط، فقيل له: إن هذا ليست له لحية، فهل نزيده في الضرب؟ قال: لا، ولكن احلقوا لحية هذا الشرطي مكانه (المحاسن والمساوئ 2/ 154).

● دخل ابن هرمة على المنصور العباسي فامتدحه، وقال: حاجتي أن تكتب إلى عاملك بالمدينة، أن لا يحدني متى وجدني سكراناً، فقال: هذا حد ولا سبيل إلى إبطاله، قال: مالي حاجة غير ذلك، فأمر المنصور بأن يكتب إلى عامل المدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران، فأجلده ثمانين وأجلد الذي جاء به مائة، قال: وكان الشرطة يمرون به وهو سكران فيقولون: من يشتري ثمانين بمائة، فيمرون ويتركونه (تحفة المجالس للسيوطي 81).

● كان زياد بن عبيد الله الحارثي والياً على المدينة، وكان فيه بخل وجفاء، فأهدى إليه كاتب له سلالا فيها أطعمة، وقد تنوق فيها فوافته وقد تغدى، فقال: ما هذه؟ قالوا: غذاء بعث به فلان

الكاتب فغضب وقال: يبعث أحدهم الشيء في غير وقته، يا خيثم (يريد صاحب شرطته) أدع لي أهل الصفة، يأكلون هذا، فبعث خيثم الحرس يدعونهم، فقال الرسول الذي جاء بالسلال: أصلح الله الأمير لو أمرت بهذه السلال أن تفتح، وتنظر ما فيها، قال: أكشفوها فإذا طعام حسن من دجاج وفراخ وجداء وسمك وأخصبة، وحلواء فقال: ارفعوا هذه السلال، وجاء أهل الصفة فأخبر بهم فأمر بإحضارهم، وقال: يا خيثم اضرب كل واحد منهم عشرة أسواط، فقد بلغني أنهم يفسون في مسجد رسول الله ويؤذون المصلين (الأغاني 19/ 175 ونهاية الأرب 3/ 53).

● روى الإمام الشافعي أنه كان بالمدينة والٍ، وكان صالحاً، فقال: ما للناس لا يجتمعون على بابي، كما يجتمعون على أبواب الولاة، فقالوا: لأنك لا تضرب أحداً، ولا تؤذي الناس فصاح: علي بالإمام فنصب بين العقابين وأمر بضربه فضرب، وأخذ يصيح: أيش ذنبي أعز الله الأمير، والأمير يقول: جملنا بنفسك حتى اجتمع الناس على بابه (معجم الأدباء 6/ 392).

● قصد رجل الخصيب بن عبد الحميد عامل مصر، مستميحاً فلم يعطه شيئاً فانصرف، فأخذه أبو الندى اللص وكان يقطع الطريق، فقال: هات ما أعطاك الخصيب؟ قال: لم يعطني شيئاً فضربه مائتي مقرعة، يقرره على ما ظن أنه ستره عنه، ثم قدم على الخصيب بعد ذلك زائراً فلم يعطه شيئاً، فقال له: جعلت فداك تكتب إلى أبي الندى أنك لم تعطني شيئاً لئلا يضربني (الملح والنوادر 201).

● قال أبو الحسن الهمداني: كان والدي إذا أراد أن يؤدبني،

يأخذ العصا بيده ويقول: نويت أن أضرب ابني تأديباً كما أمر الله، وإلى أن ينوي ويتم النية كنت أهرب (المنتظم 9/ 100).

● كان صاحب ربع يتشيع، فارتفع إليه خصمان اسم أحدهما علي، واسم الآخر معاوية فانحنى على معاوية، فضربه مائة سوط من دون أن تتجه عليه حجة، ففطن من أين أتى وقال: أصلحك الله سل خصمي عن كنيته، فإذا هو أبو عبد الرحمن، وهي كنية معاوية بن أبي سفيان، فضربه فقال لصاحبه، ما أخذته مني بالاسم استرجعه منك بالكنية (شرح البلاغة 19/ 371).

● اختصم اثنان إلى أحد الولاة، فلم يحسن أن يقضي بينهما فضربهما معاً، وقال: الحمد لله إذ لم يفتني الظالم منهما (أخبار الحمقى 93).

● عرض أبو خندف دوابه، فأصاب فيها واحدة عجفاء مهزولة، فقال: هاتوا الطباخ، فبطحه وضربه خمسين مقرعة، ثم سأله: ما لهذه الدابة على هذه الحال؟ فقال له: يا سيدي أنا طباخ، ما علمي بأمر الدواب؟ قال: بالله أنت طباخ فلم لم تقل لي؟ إذهب الآن، فإذا كان غدا إضرب السائس ستين مقرعة، يفضل لك عشرون فطب نفساً (أخبار الحمقى 97).

● من طريف ما يذكر أن أبا العباس الحويزي، رتب ناظراً في بعض الأعمال فظلم الناس، وتعدى وكان كثير التهجد والصلاة، وربما أتاه الأعوان فقالوا: لقد ضربنا فلان ضرباً عظيماً، ولم يؤد شيئاً فيبكي ويقول: قطعتم علي وردي، يا سبحان الله واصلوا عليه الضرب، ثم يعود إلى ورده (الوافي بالوفيات 8/ 120).

يقول الأستاذ الشالجي: أبو العباس هذا أحمد بن محمد الحويزي، عامل نهر ملك، وثب عليه في السنة 550 ثلاثة نفر، فقتلوه وكان ظالماً يضرب الناس، ويعلقهم، وكان مع ظلمه كثير التلاوة للقرآن، مع الظلم الخارج عن الحد فلما قتل، جيء به إلى بغداد ودفن وحفظ قبره حتى لا تنبشه العوام، فظهر بعده من سبه ولعنه (المنتظم 10/ 161 و162).

● قيل ليزيد بن المهلب: لم لا تتخذ لك داراً؟ فقال: وما أصنع بها، ولي حاصلة مجهزة على الدوام؟ فقيل له: وأين هي؟ قال: إن كنت متوليا فدار الإمارة، وإن كنت معزولاً فالسجن (وفيات الأعيان 6/ 294).

● حبس المصعب بن الزبير، عبيد الله بن الحر الجعفي، فكلم الأحنف مصعباً فأطلقه، فقال عبيد الله للأحنف: يا أبا بحر جعلني الله فداك، ما أدري ما أكافئك به، إلا أن أقتلك فتدخل الجنة شهيداً، وأدخل أنا النار، فضحك الأحنف وقال: لا حاجة لي في مكافأتك يا ابن أخي (أنساب الأشراف 5/ 288).

● قرأ الحجاج في سورة هود: يا نوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح، فلم يدر كيف يقرأ: عمل، بالضم أو بالفتح، فقال لحرسي: إئتني بقارئ فأتي به، وقد ارتفع من مجلسه، فحبس، واعترض الحجاج أهل الحبس بعد ستة أشهر، فلما انتهى إليه، قال له: فيم حبست؟ قال: في ابن نوح أصلح الله الأمير، فأمر بإطلاقه (العقد الفريد 5/ 36)§.

● لما كان الشيء بالشيء يذكر فإن البغداديين، يتندرون بقصة

يروونها عن الحاكم العسكري، الذي كان ببغداد في عهد عبد الكريم قاسم، فقد ذكروا أن أحد أولاد الحاكم احتاج إلى أستاذ يلقي عليه درساً إضافياً في أحد المواضيع المدرسية، وذكر له اسم الأستاذ، فدونه على ورقة، وسلمها لأحد أتباعه، وكلفه بإحضاره، وبعد مرور أسبوع، تذكر أن المدرس لم يحضر، فسأل تابعه: أين فلان، أما أحضرتموه؟ فقال له: لقد أحضرناه يا سيدي، وأشبعناه ضرباً طيلة الأسبوع، ولكنه إلى الآن لم يعترف بشيء.

● روى القاضي حيان بن بشر، وكان قد تولى قضاء بغداد وأصفهان، أن عرفجة قطع أنفه يوم الكلام (بالميم) وكان مستمليه رجلاً من أهل كجة فقال له: أيها القاضي إنما هو يوم الكلاب (بالباء)، فأمر القاضي بحبسه فدخل الناس إليه وقالوا: ما دهاك؟ فقال: قطع أنف عرفجة في الجاهلية وأبتليت أنا به في الإسلام (أخبار الحمقى 83).

● غضب الرشيد على ثمامة بن أشرس، فدفعه إلى سلام الأبرش، وأمره أن يضيق عليه وأن يدخله بيتاً ويطين عليه، ويترك فيه ثقباً ففعل ذلك، وكان يدس إليه الطعام من الثقب، وجلس سلام عشية يقرأ في المصحف فقرأ ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذَّبِينَ﴾ (بفتح الذال) فقال له ثمامة: اقرأ (المكذِّبين) ـ بكسر الذال ـ وجعل يشرح له ويقول: المكذبين بالفتح هم الأنبياء، والمكذبين بالكسر، هم الكفار، فقال له سلام، قد قيل لي أنك زنديق ولم أقبل وضيق عليه أشد التضييق، ثم رضي الرشيد عن ثمامة وأطلقه، فكان يحضر مجلسه، فسأل الرشيد جلساءه يوماً، فقال: أخبروني عن

أسوأ الناس حالاً؟ فقال كل واحد شيئاً، فلما بلغ القول إلى ثمامة، قال: أسوأ الناس حالاً عاقل يجري عليه حكم جاهل، فتبين الغضب في وجه الرشيد. فقال: يا أمير المؤمنين ما أحسبني وقعت بحيث أردت، قال: لا والله فحدثه سلام الأبرش، فضحك وقال: صدقت ولقد كنت أسوأ الناس حالاً (أخبار الحمقى 151).

● حبس فقيه ظلماً فكان يعظ المسجونين، ويحضهم على التمسك بالدين والأخلاق، فلا يرى تجاوباً من أحد منهم إلا من شخص واحد، كان يقبل على الواعظ وينصت إليه باهتمام عظيم، ويبكي بكاءً شديداً، فأعجب به الواعظ وقال له مرة: بارك الله فيك يا ولدي، فإن وعظي ـ على ما يظهر لي ـ عظيم الأثر فيك، ولا بد أنك قد انتفعت به، فقال له: إني يا سيدي، لم أفهم شيئاً من وعظك، أما سبب بكائي، فلأنني لما حبست فارقت تيساً قد ربيته، وأحببته حبي لولدي، وكلما رأيتك تحرك لحيتك وأنت تعظ تذكرت لحية تيسي الذي فارقته، فبكيت حزناً على فراقه.

● روي أن افلح بن أفلح ناظر قوسان، المتوفى سنة 595 خرج مع هيئة لتخمين المزروعات، فضايق المعاملين، واستوفى منهم عشرة آلاف دينار لنفسه، فسأله أحد أعضاء الهيئة عن المال الذي جمعه، فقال له: هذا المال جمعته لي ولأعضاء الهيئة وللكتاب والبراطيل ونفقة الحبس، ولما سأله إيضاحاً، قال له: هذه عشرة آلاف دينار أعطيك منها ألفاً، وللكاتب ألفاً وللمشرف ألفاً، وأبرطل بألف، وأنفق على نفسي في الحبس ألفاً، وأبقي لعيالي منها خمسة

آلاف، فإن خسرت في آخر السنة أكون قد رتبت لنفسي ما يكفيني (الجامع المختصر 16 و17).

● ومن عجائب جلال الدين والي حلب، في السنة 1227 أنه بلغه ذات يوم إشاعة سرت في حلب، بأنه قد عزل من منصبه، فأمر أعوانه بالقبض على من أشاعها، فقبض أعوانه على واحد واتهموه بأنه هو الذي اخترع هذه الإشاعة، فأنكر وحلف لهم فلم يصدقوه، فادعى أنه سمعها من شخص آخر، فتركوه وقبضوا على ذلك الشخص، فعزا ذلك إلى شخص آخر فتركوه، وقبضوا على ذلك الشخص، فعزا ذلك إلى شخص آخر فتركوه، وقبضوا على ذلك الشخص، وهكذا إلى أن قبضوا على شخص اسمه الحاج بدور الخيمي فأنكر، ولم يعز ذلك إلى أحد فجيء به إلى السوق، ونصبوا له خشبات الصلب واستنطقوه، وهو يحلف لهم بالإيمان المغلظة أنه لم يقل ذلك، ولا علم له بما قيل وبمن قال، فلم يجده ذلك نفعاً وصلبوه بمحضر من الناس (أعلام النبلاء 3/ 378).

● أنفذ عضد الدولة إلى مكة أحمالاً، فسلبها الأعراب، ولما قيل لهم إنها للملك عضد الدولة سبوه، فتقدم عضد الدولة بعمل شيء كثير من الحلاوات المسمومة، وبعث بها صحبة أمتعة ومروا بها أمام أولئك الأعراب، فعادوا سلبها وأكلوا منها فهلكوا (ذيل تجارب الأمم 3/ 57).

● كان أول ظهور ابن حمدي وهو لص بغدادي مشهور في السنة 332، وكان حمالاً بناحية سوق الحديد، باب الشوك بحضرة المزملة، ثم احترف اللصوصية ببغداد وأخذ يقطع طريق واسط، في

موضع قريب من بغداد فاضطر أبو جعفر بن شيرزاد إلى أن يوليه طريق واسط وخلع عليه (الأوراق 250) وكانت في ابن حمدي فتوة وظرف، إذ لم يكن يعرض لأصحاب البضائع اليسيرة التي تكون دون ألف درهم، وإذا أخذ من ضعيف الحال شيئاً قاسمه عليه، وترك له شطر المال، واشتهر عنه أنه لا يفتش امرأة ولا يسلبها، وروى القاضي التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة، في القصة رقم 450 قصة تاجر بغدادي خرج بمتاع له إلى واسط فقطع ابن حمدي عليه، وعلى الكار الذي كان فيه (الكار: القافلة من السفن تسير مجتمعة) وسلب متاعه فطرح التاجر نفسه على ابن حمدي، وخاطبه ورققه فقاسمه ما أخذ منه، وأوصله إلى مأمنه، ثم إن أبا جعفر بن شيرزاد خلع على ابن حمدي وأثبته برسم الجند، ووافقه على أن يؤدي للسلطان في كل شهر خمسة عشر ألف دينار، مما يسرقه هو وأصحابه، وأخذ خطه بذلك وكان يستوفيها منه، ويأخذ البراءات وروزات الجهبذ، أي الوصولات الرسمية (تجارب الأمم 1/52) وكان ابن شيرزاد يستعين به في سلب أموال الناس، إذ بلغه خبر خزانة لأبي الحسين علي بن محمد بن مقلة، بناحية سوق العطش، فوجه إليها ابن حمدي فأخذ جميع ما فيها، ثم عمد ابن حمدي إلى دار ابن مقلة بمربعة أبي عبيد الله، فأخذ جميع ما فيها (الأوراق 256) وكان أبو العباس اشكورج الديلمي صاحب الشرطة ببغداد، قد اصطنع ابن حمدي، وأمل أن يرتدع ويقصر وأن يعرف به جميع المتلصصة، فكان ابن حمدي يرسل أصحابه على الناس، فكانت لهم في كل يوم حادثة عظيمة وكبس، وغارة على الأموال ووقف

اشكورج على ابن حمدي أصل ذلك كله، وكلم الأمير توزون أمير الأمراء بشأنه، فأحضره في داره وأمر به فضرب وسطه، أي قتل توسيطاً، في دار الأمير توزون، وحمل إلى الجسر على جمل، ونودي عليه. هذا ابن حمدي اللص، فاعرفوه (الأوراق 259) فخفف مكروه اللصوص عن الناس وانقطع شرهم، بعد أن كانوا يتحارسون بالبوقات، وقد امتنع عنهم النوم خوفاً من كبساته (تجارب الأمم 2/ 55).

● في السنة 479 فتح السلطان ملك شاه السلجوقي قلعة جعبر، وقبض على صاحبها واسمه سابق وأرادوا قتله بالسيف فوقعت عليه زوجته وقالت: لا أفارقه أو تقتلوني معه، فألقوه من أعلى السور فتكسر ثم ضرب بالسيف فقد إلى نصفين، فألقت زوجته نفسها وراءه، فسلمت وقال لها السلطان: ما حملك على هذا؟ فقالت: إنا قوم لم يتحدث عنا بالخنا، فخفت أن يخلو بي الترك في القلعة، فيقول الناس ما شاءوا، فاستحسن ذلك منها (التنظيم 9/ 28).

● روى أسامة في كتاب الاعتبار قصة أمير ظالم، هو صلاح الدين الغسياني من أمراء الأتابك عماد الدين زنكي، وكان الأتابك يقول: لي ثلاثة غلمان أحدهم يخاف الله تعالى، ولا يخافني، يعني زين الدين علي كوجك، والآخر يخافني ولا يخاف الله تعالى، يعني نصير الدين سنقر، والآخر لا يخاف الله ولا يخافني يعني صلاح الدين الغسياني، ويقول أسامة أنه شاهد من صلاح الدين هذا ما حقق قول أتابك فيه، أنه لا يخافه ولا يخاف الله تعالى، وذكر أن أحد رجالة الأمير صلاح الدين فر من عسكره خلال الحرب، فأمر بإحضار الذي كان إلى جانبه، وأمر بتوسيطه فحاول أتباعه صرف

نيته عن قتل هذا الجندي، فأبى إلا أن يقتل، فقتل توسيطاً مع أنه لا علاقة به بالجندي الهارب، وذكر أنه حضر معه حصار حصن ماسر، فوقع أحد رجال الحصن أسيراً في يده، فأمر بتوسيطه فحاول أسامة أن يخلصه من يده، فلم يستطع وقتل أمامه توسيطاً، وكان هذا الذي قتل توسيطاً ابن امرأة عجوز، جاءت بعد فتح الحصن تسأل عن ولديها، فإذا أحدهما قتل في المعركة والثاني وسطه الأمير، فصاحت وكشفت رأسها وشعرها كالقطة المندوفة، فقال لها الناطور: اسكتي لأجل الأمير، قالت: وأي شيء بقي الأمير يعمل بي، كان لي ولدان فقتلهما (الاعتبار 156 ـ 159).

● سار جحا لما مات جاره، فأرسل جحا للحفار يحفر له قبراً، فجرى بينهما لجاج في أجرة الحفر، فمضى جحا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين، وجاء بها فسئل عنها، فقال: إن الحفار لا يحفر القبر بأقل من خمسة دراهم، وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها، ونربح ثلاثة دراهم ويستريح من ضغطة القبر، وسؤال منكر ونكير (أخبار الحمقى 46).

● وفي السنة 338 مات أبو جعفر النحاس النحوي، غرقاً في النيل جلس على درج المقياس بالنيل يقطع شعراً بالعروض، فسمعه جاهل فقال: هذا يسحر النيل حتى لا يزيد، فدفعه برجله في النيل فمات غرقاً (الوافي بالوفيات 7/ 364).

● وكان أحد رجال معز الدولة، تعهد له أن يقتل خصمه ناصر الدولة الحمداني غيلة، وقصده ودخل إلى خيمته ليلاً، فتأمل موضع رأسه وأطفأ شمعة كانت مشعلة، ثم طعن بخنجر رأس ناصر

الدولة بأقصى قوته، وخرج وصادف أن ناصر الدولة كان قد حول رأسه وهو نائم، فغاصت الطعنة في الوسادة، ونجا ناصر الدولة، ولما عاد الرجل إلى معز الدولة، يريد الجائزة أسلمه إلى وزيره الصيمري، وقال له: من يقدم على الملوك هذا الإقدام، لا يجوز استبقاؤه، فأخذ الصيمري وغرقه (وفيات الأعيان 2/ 115).

● ولما ولي سيما الطويل أنطاكية في السنة 258 قبض على الفضل بن صالح العباسي وعلى ولده، ودفنهما حيّين في صندوقين، وبصر رجل بالصندوق الذي دفن فيه الفضل، فظن أن فيه مالا، فلما خلا الموضع عمد إلى الصندوق فاستخرجه، وبالفضل رمق فعاش الفضل بعد ذلك عشرين سنة، وصار إلى مصر، واتصل بأحمد بن طولون، وحركه على احتلال أنطاكية، فقصدها في السنة 265 واستولى عليها، وقتل في المعركة (أعلام النبلاء 1/ 213).

● في السنة 571 وقعت حرب بمكة بين أمير الحج العراقي، والأمير مكثر أمير مكة، ومن أعجب ما جرى فيها أن إنساناً ضرب داراً بقارورة نفط، فأحرقها وكانت لأيتام، ثم أخذ قارورة أخرى ليضرب بها مكاناً آخر فأتاه حجر، فأصاب القارورة فكسرها، فاحترق هو بها وبقي ثلاثة أيام، يعاني عذاب الحريق ثم مات (ابن الأثير 11/ 432).

● في السنة 380 هاجم باد الكردي الموصل، ونشبت معركة بينه وبين الحمدانيين، أصحاب الموصل، فسقط باد عن فرسه وانكسرت ترقوته وقتل، فصلب الحمدانيون بدنه على باب دار الإمارة بالموصل،

فثار العامة بالموصل وقالوا: هذا رجل غاز فلا تحل المثلة به، فحط وكفن وصلي عليه ودفن، وظهر من محبة العامة له بعد هلاكه شيء طريف (ابن الأثير 9/ 70 ـ 71 وذيل تجارب الأمم 176 ـ 178).

● جاءت امرأة إلى أبي العطوف القاضي، برجل وقالت: هذا افتض ابنتي، فقال للرجل: أفعلت؟ قال: نعم، قال: لم؟ قال: لاعبتني امرأة مطاعة، فقمرتني فأدخلت في استي مدقة الهاون، ولاعبتها فقمرتها فافتضتها، فقال أبو العطوف: يا هذه إن الذي أدخلت ابنتك في إست هذا، أشد مما أدخل هذا في حر ابنتك (البصائر والذخائر 4/ 233).

● وفي السنة 845 هلك الأشراف إسماعيل بن الأفضل يحيى ملك اليمن، وكان ظالماً جائراً سمل عين شقيقه أحمد خوفاً منه على الملك، وقتل أخاه حسن، وقتل من أقربائه أحد عشر نفساً، بل إنه قتل عمته شقيقة أبيه،وقتل بيده امرأة أخرى لاتهامه إياها بمصاحبتها، وقطع يد امرأة أخرى تضرب بالرمل، كل ذلك لتخوفه أنهم يسعون في نصب غيره للملك، وكان لا يخلو يوم من قتل وعقوبة ومصادرة (الضوء اللامع 2/ 308).

المصادر والمراجع

- د. محمد الزحيلي، **تاريخ القضاء في الإسلام**، طبعة دار الفكر المعاصر.
- د. حسين الحاج حسن، **النظم الإسلامية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- د. أحمد عبد الله مفتاح، **نظام الحكم في الإسلام**، ، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- د. شوكت محمد عليان، **النظام السياسي في الإسلام**، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- د. حسن ضياء الدين عتر، **الشورى في ضوء القرآن والسنة**، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث.
- جمال البنا، **الإسلام وحرية الفكر**، دار الفكر الإسلامي.
- د. حاكم المطيري، **الحرية أو الطوفان**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- د. حمدي شاهين **الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين**، دار القاهرة.
- أحمد حسين يعقوب، **النظام السياسي في الإسلام**، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر.

- د. أسعد القاسم، **أزمة الخلافة والإمامة**، للطباعة والنشر والتوزيع.
- سامي الغريري، **البيعة وولاية العهد والشورى**، دليل ما (قم).
- د. محسن باقر القزويني، **علي بن أبي طالب رجل المعارضة والدولة**، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع.
- قطب إبراهيم محمد، **السياسة المالية لأبي بكر الصديق**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- قطب إبراهيم محمد، **السياسة المالية لعمر بن الخطاب**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- قطب إبراهيم محمد، **السياسة المالية لعثمان بن عفان**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- قطب إبراهيم محمد، **السياسة المالية لعلي بن أبي طالب**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- فراس محمد شعور، **النفقات المالية في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.
- طارق محمد العزام، **النفقات المالية في عهد عثمان بن عفان وأثرها في الأحداث السياسية**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.
- الخطيب علي بن الحسين الهاشمي النجفي، **تاريخ مَنْ دفن في العراق من الصحابة**، المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات.
- محمد بحر العلوم، **الحجاج سيف الأمويين في العراق**، دار الزهراء.

مصادر ومراجع أخرى:

لقد ذكرت أسماء المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها بالاسم ورقم الصفحة عند ذكر الممارسات الاستبدادية التي تمت في تاريخ المسلمين للأسف الشديد..

الفهرس

فاتحة الكتاب 5

المحور الأول: المرحلة النبوية

النظام السياسي في الإسلام 11

النظام السياسي في المرحلة النبوية 13

قواعد النظام السياسي في المرحلة النبوية 17

المحور الثاني: المرحلة الراشدة

النظام السياسي في المرحلة الراشدة 49

السياسة المالية في المرحلة الراشدة 65

المحور الثالث: المرحلة الاستبدادية

نشأة المرحلة الاستبدادية 77

أقوال تدل على الاستبداد 87

مظاهر الاستبداد 93

فكرة عامة عن الممارسات الاستبدادية 97
أشكال التعذيب 101
الممارسات الاستبدادية 105
الحبوس الضيقّة 117
الحبس في السرداب 119
التعليق منكّساً 121
التعذيب بعصر الخصية 123
التعذيب بِجَبّ الذَّكَر 127
السَّـمْـلُ 129
قطع الأطراف 135
الـدَّهـقُ 143
قطع أجزاء من لحم البدن 145
قتل الأسير ووضع رأسه في حجر أقرب الناس إليه 147
القتـل 151
القتل بالسيف 153
القتل لاحتكار السلطة 187
التوسيط 199
القتل بالشدخ بالعمود 203
القتل قعصا بالرماح 207

الخنق 209
الشـنق 219
التغريق 221
دفن الإنسان حياً 225
البناء على المعذّب 231
هدم البناء على المعذّب 233
القتل بالسم 235
الإحراق والتعذيب بالنار والماء المغلي 241
القتل بتمزيق البدن 243
القتل والتعذيب بالسلخ 247
القتل بألوان أخرى من العذاب 251
ألوان من المُثْلة 255
المثلة بسحب الجثث 269
المثلة بصلب الجثة 273
أول من عذب النساء في الإسلام 277
قتل المرأة بالسيف 279
قتل المرأة خنقاً 283
ألوان أخرى من قتل المرأة 285
ألوان أخرى من تعذيب المرأة 289

تعذيب المرأة بالتعرض للعورة 291

تعذيب المرأة بالاسترقاق 293

شَرُّ البَلِيَّةِ مَا يُضْحِكُ 295

المصادر والمراجع 307